

المبحث الثاني

معركة صفين (٣٧ هـ)

أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

(١) أم حبيبة بنت أبي سفيان، ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام:

لما قُتل عثمان رضي الله عنه: أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان: أرسلوا إليّ بشياب عثمان التي قُتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مضرّجاً بالدم، ويخصله الشعر التي نتفت من لحيته، ثم دعت النعمان بن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها^(١)، وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها^(٢)، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية^(٣)، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره^(٤)، وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية: كان عثمان خليفتنا؛ فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا،^(٥) وآلى رجال الشام ألاّ يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش، حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم^(٦)، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة: مقتل الخليفة، سيوفاً مصلته من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال متتهكاً مسلوباً، وأصابع نائلة مقطوعة؛ فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون، ولا غرابة بعد هذا إطلاقاً أن نرى إصرار معاوية ومن معه

(١) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٥٣٩) . (٢) «البداية والنهاية» (٥٣٩/٧) .

(٣) «تاريخ الدعوة الإسلامية» لمحمد جميل ص (٣٩٨) . (٤) «البداية والنهاية» (٥٣٩/٧) سندها ضعيف .

(٥) «الأنساب» (٤١٨/٤) ، و«تاريخ الدعوة الإسلامية» ص (٣٩٨) . (٦) «تاريخ الطبري» (٦٠٠/٥) .

من أهل الشام على المطالبة بدم عثمان ، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة ، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقلين محتلين متآمرين ، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة^(١) .؟

(٢) دوافع معاوية رضي الله عنه في عدم البيعة:

كان معاوية رضي الله عنه والياً على الشام في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، ولما تولى الخلافة علي رضي الله عنه أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فاعتذر ابن عمر، فأرسل علي رضي الله عنه سهل ابن حنيف بدلاً منه ، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادي القرى) حتى عاد من حيث جاء؛ إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري ، فقالوا له : إن كان بعثك عثمان فحيهلاً بك وإن كان بعثك غيره فارجع^(٢) . لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتصر علي رضي الله عنه من قتلة عثمان رضي الله عنه ثم يدخلون البيعة^(٣)، وقالوا: لا نبايع من يأوي القتلة^(٤)، وتخوفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي ، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم ، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين ، قالوا: لأن عثمان قتل مظلوماً باتفاق المسلمين ، وقتلته في عسكر علي ، وهم غالبون لهم شوكة؛ فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان ، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه ، فهو ولي دمه والله يقول : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] لذلك جمع معاوية الناس ، وخطبهم بشأن عثمان ، وأنه قتل مظلوماً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام؛ إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام ، فثار الناس ، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا

(٢) «تاريخ الطبري» (٤٦٦/٥) .

(١) «معاوية بن أبي سفيان» للغضبان من (١٧٨ ، ١٨٣) .

(٤) «العواصم من القواصم» ص (١٦٢) .

(٣) «اللبداية والنهاية» (١٢٩/٧) .

حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تكلمت: . . . وذكر الفتن وقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدى»، فقامت إليه، فإذا هو عثمان ابن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «نعم»^(١). وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان، ومنشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: «يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثاً، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته؛ حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبني إلي به، فكتبت إليه به كتاباً^(٢).

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتل السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق؛ إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر منه^(٣)، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب.

(٣) معاوية يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما:

بعث علي رضي الله عنه كتباً كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان رضي الله عنه في صفر، ثم بعث معاوية طُوماراً^(٤) مع رجل، فدخل به على علي رضي الله عنه فقال له علي: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود،^(٥) كلهم موتور^(٦)، تركت ستين ألف

(١) «صحيح سنن ابن ماجه» (١/ ٢٤٠).

(٢) «مسند أحمد» رقم (٢٤٠٤٥)، حديث صحيح.

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص (١١٢).

(٤) الطومار: الصحيفة

(٦) الموتور: صاحب الثار.

(٥) القود: القتل بالقتيل.

شيخ سيكون تحت قميص عثمان ، وهو على منبر دمشق ، فقال علي : اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . ثم خرج رسول معاوية من بين يدي علي ، فهم به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فما أفلت إلا بعد جهد^(١) .

(٤) تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك :

بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين علي ، عزم الخليفة على قتال أهل الشام ، كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم ، وإلى أبي موسى بالكوفة ، وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطب الناس فحثهم على ذلك ، وعزم على التجهز ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قثم بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس ، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي رضي الله عنه فقال : يا أبتِ دَعُ هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم ، فلم يقبل منه ذلك ، بل صمم على القتال ، ورتب الجيش ، فدفع اللواء إلى محمد بن الحنفية ، وجعل ابن العباس على الميمنة ، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة ، وقيل : جعل على الميسرة عمرو بن سفيان ابن عبد الأسد ، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخ أبي عبيدة ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ، ولم يبق شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً الشام ، حتى جاءه ما شغله عن ذلك^(٢) ، وقد تم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم إلى البصرة إلى معركة الجمل .

(٥) بعد معركة الجمل ، أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى

معاوية :

ذكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين علي إلى فتنة السبئية الثانية أو ما يُسمى البصرة أو معركة الجمل ، خمسة أشهر وواحد وعشرون يوماً ، وبين دخوله الكوفة شهر^(٣) ، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر^(٤) ، وروي شهران أو ثلاثة^(٤) ،

(٢) «البدية والنهاية» (٧/ ٢٤٠، ٢٤١) .

(١) «البدية والنهاية» (٧/ ٢٤٠) .

(٤) «التاريخ الصغير» للبخاري (١/ ١٠٢) .

(٣) «مروج الذهب» (٢/ ٣٦٠) .

وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقبل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا إن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يكره نزوله؛ فأنا أكره لذلك، فنزل في الرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبدالله وكان على همدان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان، يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هنالك ثم يُقبلا إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد عليّ أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلي: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين؛ فإن بيني وبينه وُدًّا، فأخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر: لا تبعته يا أمير المؤمنين؛ فإني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه، فبعته وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلما انتهى إليه جرير بن عبدالله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم. فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يعنني جواب معاوية ولأعجلته عن الفكرة ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين؛ لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة.

فقام جرير مُغضباً فأقام بقرقيسياً، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه^(١).

وهكذا كان الأشتر سبباً في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله، الذي كان والياً

على قرقيسياء وعلى غيرها ورأساً في قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما رأي رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي، وقال ﷺ «يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن، على وجهه مسحة مُلْك»^(١).

(٦) مسير أمير المؤمنين إلى الشام:

استعد أمير المؤمنين عليّ لغزو الشام، فبعث يستنفر الناس^(٢)، وجهاز جيشاً ضخماً اختلفت الروايات في تقديره، وكلها روايات ضعيفة^(٣) إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفاً^(٤)

وكان مكان تجمع جند أمير المؤمنين بالنخيلية^(٥)، وهو على ميلين من الكوفة آنذاك، فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق^(٦)، واستعمل أمير المؤمنين عليّ ﷺ أبا مسعود الأنصاري، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ في أربعة آلاف، ثم خرج علي ﷺ بجيشه إلى المدائن (بغداد) فانضم إليه من فيها من المقاتلة، وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي، ووجه منها طليعة في ثلاثة آلاف إلى الموصل^(٧)، وسلك علي ﷺ طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي حتى بلغ قرب قرقيسياء^(٨)، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين، فتقدم علي ﷺ إلى الرقة^(٩)، وعبر منها الفرات غرباً ونزل على صفين^(١٠).

(١) «مسلم» رقم (٢٤٧٥) (٢) «الإصابة» (١/١٢٣ - ١٢٤) نقلاً عن الحاكم بسند حسن

(٣) من قال: مائة وخمسين ألف أو يزيدون «البداية والنهاية» (٧/٢٦٠)، ومائة وعشرون ألف «المعرفة والتاريخ»

(١٣/٣) بسند منقطع، وقد بتسعين ألف، «تاريخ خليفة بن خياط» ص (١٩٣)

(٤) «تاريخ خليفة» ص (١٩٣) بسند حسن .

(٥) موقع قرب الكوفة من جهة الشام، «معجم البلدان» (٥/٢٧٨)

(٦) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٨٨)

(٧) «تاريخ الطبري» (٥/٦٠٣) بسند حسن إلى عوانة منقطعاً

(٨) قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات «معجم البلدان» (٤/٣٢٨)

(٩) الرقة: مدينة مشهورة - في سوريا اليوم - على نهر الفرات الشرقي «معجم البلدان» (٣/١٥٣)

(١٠) «تاريخ الطبري» (٥/٦٠٤)

(٧) خروج معاوية إلى صفين:

كان معاوية جاداً في مطاردة قتلة عثمان رضي الله عنه، فقد استطاع أن يترصد بجماعة من غزا المدينة من المصريين أثناء عودتهم وقتلهم ومنهم: أبو عمرو بن بديل الخزاعي^(١)، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل «خربتا» تطالب بدم عثمان رضي الله عنه، وقد استطاعت هذه الفرقة من إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام ٣٦هـ، كما استطاع أيضاً أن يوقع برؤوس مدبري ومخططي غزو المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن ابن عديسي، وكنانة بن بشر، ومحمد ابن حذيفة، فحبسهم في فلسطين، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلى صفين، ثم قتلهم في شهر ذي الحجة عام ٣٦هـ^(٢) وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق نحو صفين جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن علياً نهد إليكم في أهل العراق... فقال ذو الكلاع الحميري: «عليك أمر علي وعلينا أمر معاوية»^(٣).

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه والقتال^(٤)، وقد قام عمرو بن العاص رضي الله عنه بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام في الجيش خطيباً يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم، وفلوا حدهم، ثم إن أهل البصرة المخالفين لعلي قد وترهم وقتلهم، وقد تفانت صنائدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار في شردمة قليلة ومنهم من قد قتل خليفتمكم، فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تبطلوه^(٥).

وسار معاوية في جيش ضخم، اختلفت الروايات في تقديره وكلها روايات منقطة أسانيداً، وهي عين الروايات التي قدرت جيش علي رضي الله عنه، فقدر بمائة

(١) «اللمح» لأبي العرب التميمي ص ١٢٤، و«الخلافة علي»، لعبد الحميد ص (١٩١)

(٢) «خلافة علي»، لعبد الحميد ص (١٩١)

(٣) «الإصابة» (١/٤٨٠)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٩٢)

(٤) «أنساب الأشراف» (٢/٥٢) بسند منقطع، و«خلافة علي» ص (١٩٢)

(٥) «تاريخ الطبري» (٥/٦٠١) بسند منقطع

ألف وعشرين ألفاً^(١)، وقدر بسبعين ألف مقاتل، وقدر بأكثر من ذلك بكثير^(٢) إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف مقاتل، فهي وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسي، حمصي من أهل الشام ولد عام (٧٢هـ) وهو ثبت ثقة، وقد أدرك خلق من شهد صفين، كما يتبين من دراسة ترجمته^(٣)، والإسناد إليه صحيح^(٤)، وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص، على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميري، على ميمنة الجيش، وحبیب ابن مسلمة على مسيرة الجيش، وأبو الأعور السلمي على المقدمة، هؤلاء هم القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل، وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرين مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر^(٥).

وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق، ولما بلغ صفين أسفل الفرات، عسكر في مكان سهل فسيح، إلى جانب شريعة في الفرات، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها في حيزه^(٦).

(٨) القتال على الماء:

وصل جيش علي رضي الله عنه إلى صفين، حيث عسكر معاوية، ولم يجد موضعاً فسيحاً سهلاً يكفي الجيش، فعسكر في موضع وعر نوعاً ما إذ أغلب الأرض صخور ذات كدى وأكمام^(٧)، ففوجئ جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء،

(١) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٩٤)، و«المعرفة والتاريخ» (٣/٣١٣).

(٢) المصدر نفسه في ص (١٩٤)، و«تاريخ خليفة» ص (١٩٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/٣٨٠).

(٤) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٩٤).

(٥) «امتداد العرب في صدر الإسلام»، لصالح العلي ص (٧٣)، و«خلافة علي» ص (١٩٤).

(٦) «صفين»، لنصر بن مزاحم ص ١٦٠ - ١٦١.

(٧) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٩٦).

فهرع البعض إلى علي رضي الله عنه يشكون إليه هذا الأمر، فأرسل علي إلى الأشعث ابن قيس فخرج في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين، انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء،^(١) إلا أنه قد وردت رواية تنفي وقوع القتال من أصله مفادها: أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية في أمة محمد صلوات الله عليه ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذراري؟ إن الله يقول: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الحجرات: ٩ قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خل بين إخواننا وبين الماء^(٢)، وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجهها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين من المسلمين؛ إذ استمر القتال بينهما متواصلًا طوال هذا الشهر، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان علي رضي الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميرًا، فيقتتلان مرة واحدة في اليوم في الغداة أو العشي، وفي بعض الأحيان يقتتلان مرتين في اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي، الأشتر وحجر بن عدي وشيث ابن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي، ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله ابن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرجيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال؛ وأملاً في وقوع صلح بين الطرفين، تصان به الأرواح والدماء^(٣).

(٩) المودعة بينهما ومحاولات الصلح:

ما إن دخل شهر المحرم، حتى بادر الفريقان إلى المودعة والهدنة؛ طمعاً في صلح يحفظ دماء المسلمين، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم ولكن

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٩٤/١٥) بسند حسن .

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤١/٢)، و«مرويات أبي مخنف» ص (٢٩٦) .

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (١٩٧، ١٩٨)، و«البداية والنهاية» (٢٦٦/٧)، و«تاريخ الطبري»

المعلومات عن مراسلات هذه الفترة -شهر المحرم- وردت من طرق ضعيفة^(١)، مشهورة، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها. كان البادئ بالمراسلة، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية رضي الله عنه يدعوهم كما دعاه من قبل، إلى الدخول في الجماعة والمبايعة فرد معاوية عليه برده السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً، ثم يدخل في البيعة، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية^(٢)، كما أن قراء الفريقين، قد عسكروا في ناحية من صفين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه^(٣)، وقد حاول اثنان من الصحابة وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة رضي الله عنهما الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضاً لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما^(٤)، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع أحد كبار التابعين فوعظ، وخوف ولم يقاتل^(٥)، وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: «... ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر، فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه، وأنهم إنما دخلوا في الإسلام ولم يزلوا في تردد فيه، وغير ذلك وأنه قال في غضون ذلك: لا أقول إن عثمان قُتل مظلوماً ولا ظالماً، وهذا عندي لا يصح من علي رضي الله عنه»^(٦).

وموقف علي رضي الله عنه من قتل عثمان رضي الله عنه واضح، وقد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفي هذا الكتاب.

(١) «تاريخ الطبري» (٦١٢/٥، ٦١٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٩٩).

(٢) «تاريخ الطبري» (٦١٣/٥)، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (١٩٩).

(٣) المصدر نفسه (٦١٤/٥).

(٤) «البداية والنهاية» (٧/٢٧٠).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٤/٦٧) بدون إسناد.

(٦) «البداية والنهاية» (٧/٢٦٩).

ثانياً: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية؛ خشية الالتحام الكلي إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة وذكر أنها تسعون^(١)، إلا أن علياً أعلن في جيشه أن غداً الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك^(٢)، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فل سلاحه، وهو يحرض الناس على الاستبسال في القتال^(٣) وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

١ - اليوم الأول:

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرى، قلب، وميمنة، وميسرة، فكان جيش علي رضي الله عنه على النحو التالي^(٤): علي بن أبي طالب على القلب، وعبد الله بن عباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجالة، ومحمد بن الحنفية حامل الراية وهشام بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث ابن قيس على الميمنة وأما جيش الشام، فمعاوية في كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مضر، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء^(٥)، وتقابلت الجيوش الإسلامية ومن كثرتها قد سدت الأفق، ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب^(٦)،

(١) «الأنباء بتواريخ الخلفاء» ص (٥٩)، و«صفتين» ص (٢٠٢)، و«شذرات الذهب» (١/٤٥).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٢٧٣). (٣) «سنن سعيد بن منصور» (٢/٢٤٠) ضعيف.

(٤) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.

(٦) شاعر تغلب في عصره، مخضرم، شهد صفين مع معاوية وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام،

«الأعلام» للزركلي (٦/١٨٠).

وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد ثبتوا إلى نباهم وسيوفهم يصلحونها استعداداً لهذا اليوم :

أَصْبَحَتْ الْأُمَّةُ فِي أَمْرٍ عَجَبٍ
وَالْمَلِكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ
إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ^(١)

وتذكر بعض الروايات الضعيفة أن علياً خطب في جيشه، وحرصهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله^(٢)، وتذكر أيضاً أن عمرو بن العاص، قد استعرض جيشه، وأمرهم بتسوية الصفوف وإقامتها^(٣)، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها؛ لأن كل قائد يحرض جيشه ويحمسه، ويهتم بكل ما يؤدي به إلى النصر. والتحم الجيشان في قتال عنيف، استمر محتدماً إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة، ويصل كل فريق في معسكره، وبينهما جث القتلى في الميدان تفصل بينهما، وسأل أحد أفراد جيش علي عليه السلام حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول في قتالنا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة^(٤)، وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحداً، ولم ير مولياً حتى انتهى ذلك اليوم.

وفي المساء خرج علي عليه السلام إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلاً: اللهم اغفر لي ولهم^(٥).

٢ - اليوم الثاني:

في يوم الخميس تذكر الروايات أن علياً عليه السلام قد غلس بصلاة الفجر واستعد

(١) «البداية والنهاية» (٢٧٣/٧)، و«تاريخ الطبري» (٦٢٦/٥).

(٢) «تاريخ الطبري» (٦٢٢/٥) من طريق أبي مخنف. (٣) «لطبقات» (٢٥٥/٤) من طريق الواقدي.

(٤) «سنن سعيد بن منصور» (٣٤٤/٢ - ٣٤٥) بسند ضعيف.

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٩٧/١٥) بسند ضعيف.

للهجوم، وغير بعض القيادات، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلاً من الأشعث ابن قيس الكندي الذي تحول إلى الميسرة^(١)، وزحف الفريقان نحو بعضهما واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه، وبدأ أهل العراق في التقدم وأظهروا تفوقاً على أهل الشام واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية وعليها حبيب ابن مسلمة، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء) وأظهر شجاعة وحماساً منقطع النظر، وصاحب هذا التقدم الجزئي، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أَبَتْ لِي عِفَّتِي وَأَبَى بَلَائِي
وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالثَمَنِ الرَّبِيحِ
وَإِكْرَاهِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي
وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَأَشَتْ
مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي^(٢)

واستحث كتيبته الشهباء واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم بعضاً على الموت، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة وقتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع، وحوشب وعبيد الله بن الخطاب رضي الله عنه وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدماً، وبدأ جيش العراق في التراجع، واستحضر القتال في أهل العراق، وكثرت الجراحات ولما رأى علي جيشه في تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالاً شديداً واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيهم الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال^(٢).

(٢) « تاريخ الطبري » (٥/٦٣٦).

(١) « تاريخ الطبري » (٥/٦٣٠).

(٣) « الإصابة » (١/٤٥٤)، و« أنساب الأشراف » (٢/٥٦) بسند حسن إلى قتادة مرسلأ.

وكان عمّار بن ياسر رضي الله عنه قد جاوز الرابعة والتسعين عاماً ، وكان يحارب بحماس ، يحرض الناس ، ويستنهض الهمم ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو ، فقد سمع رجلاً بجواره يقول : كفر أهل الشام ، فنهاه عمار عن ذلك وقال : إنما بغوا علينا ، فنحن نقاتلهم لبغيهم ، فإلهنا واحد ونبينا واحد ، وقلبتنا واحدة^(١) .

ولما رأى عمار رضي الله عنه تقهقر أصحابه ، وتقدم خصومه ، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة ، فيقول رضي الله عنه : من سره أن تكتنفه الحور العين ، فليقدم بين الصفيين محتسباً ، فإني لأرى صفّاً يضربكم ضرباً يرتاب منه المبطلون والذي نفسي بيده ، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر ، لعلمنا أننا على الحق وأنهم على الباطل ولعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل^(٢) .

ثم أخذ في التقدم ، وفي يده الخربة ترعد لكبر سنه ، ويشد على حامل الراية هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص ويستحثه في التقدم ، ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم ، ويطمع أصحابه أيضاً فيقول : أزفت الجنة وازينت الحور العين ، من سره أن تكتنفه الحور العين ، فليتقدم بين الصفيين محتسباً ، وكان منظرًا مؤثراً فهو صحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتسعين ، يمتلك كل هذا الحماس وهذا العزم والروح المعنوية العالية واليقين الثابت ، فكان عاملاً هاماً من عوامل حماس جيش العراق ، ورفع روحهم المعنوية مما زادهم عنفاً وضراوة وتضحية في القتال ، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم وتقدم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز بقوله :

أَعْوَرٌ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا

قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ

لَا بُدَّ أَنْ يُفِلَّ أَوْ يُفَلَّ^(٣)

(١) (المصنف ابن أبي شيبة) (٢٩٠/١٥) والإسناد حسن لغيره .

(٢) (مجمع الزوائد) (٢٤٣/٧) ، والخلافة علي بن أبي طالب ، لعبد الحميد ص (٢١٩) إسناده حسن .

(٣) (التاريخ الطبري) (٦٥٢/٥) .

وعمار يقول: تقدم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسل^(١)، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

اليوم ألقى الأحبة
محمداً وحزبه^(٢)

وعند غروب شمس يوم الخميس، طلب عمار رضي الله عنه شربة من لبن، ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: «إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن»^(٣). ثم تقدم واستحث معه حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، فلم يرجعا وقتلا^(٤)، رحمهما الله ورضي الله عنهما.

٣- ليلة الهيرير يوم الجمعة:

عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدا الأيام السابقة، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية، حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم، وقاتل أمير المؤمنين علي قتالاً شديداً وبأبع على الموت^(٥) وذكر أن علياً رضي الله عنه صلى بجيشه المغرب صلاة الخوف^(٦)، وقال الشافعي: وحفظ عن علي أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهيرير^(٧)، يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليالي حتى تكسرت الرماح ونفذت السهام، ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل، حتى صرنا نعانق بعضنا بعض ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم ثم ترامينا بالحجارة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادنا بالأفواه، إلى أن أصبحوا.

وفي يوم الجمعة ارتفعت الشمس وإن كانت لا ترى من غبار المعركة، وسقطت الألوية والرايات وأنهك الجيش التعب وكلت الأيدي وجفت الخلق^(٨).

- (١) الأسل: الرماح.
(٢) «تاريخ الطبري» (٥/٦٥٢).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٠٢/١٥، ٣٠٣) بسند منقطع.
(٤) «تاريخ الطبري» (٥/٦٥٣).
(٥) «المستدرک» (٣/٤٠٢) قال الذهبي: ضعيف، و«خلافة علي» ص (٢٢٦).
(٦) «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/٢٥٢)، قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة التمريض، و«إرواء الغليل» (٣/٤٢).
(٧) «تلخيص الحبير» (٢/٧٨)، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (٢٢٧).
(٨) «شذرات الذهب» (١/٤٥)، و«وقعة صفين» ص (٣٦٩).

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجال حتى يثخنا، ثم يجلسان يستريحان وكل واحد منهما ليهمز على الآخر، ويهمز عليه ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، فإنَّا لله وإنا إليه لراجعون. ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحا النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام^(١).

٤ - الدعوة إلى التحكيم:

إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة لأصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيتم مثل هذا قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، إن نحن توافقنا غداً إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب، ولكني رجل مسن، وأخاف على النساء والذراري غداً إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أنني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم آل^(٢).

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غداً؛ لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا^(٣)، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمر بن العاص، ولا للمخادعة والاحتيال وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يضير معاوية أو عمرو بشيء، أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة، إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركماً من الروايات المضللة بشأنها، وتحيل الحق باطلاً، وتجعل

(١) «البداية والنهاية» (٧/٢٨٣).

(٢) «وقعة صفين» للمتغري ص (٤٧٩).

(٣) المصدر نفسه ص (٤٨١ - ٨٨٤).

الفضل؛ كالمناداة لتحكيم القرآن لصون الدماء المسلمة جريمة ومؤامرة^(١) وحيلة، ونسبوا لأمر المؤمنين علي أقوالا مكذوبة تعارض ما في الصحيح على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنًا ومكيدة^(٢)، ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة^(٣)، ووسّعوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص رضي الله عنه، حتى لم تعد تجد كتابًا من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص، وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التي لفقها أعداء الصحابة الكرام، ونقلها الطبري، وابن الأثير وغيرهم، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل: حسن إبراهيم حسن في «تاريخ الإسلام»، ومحمد الحضري بك في «تاريخ الدولة الأموية»، وعبد الوهاب النجار في «تاريخ الخلفاء الراشدين» وغيرهم كثير، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبي مخنف تفترض أن عليًا رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد^(٤)، وهذه الرواية تحمل سبًا من علي لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؟! ويكفي للرواية سقوطًا أن فيها أبا مخنف الرافضي المحترق، فهي رواية لا تصمد للبحث التنزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد ابن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال علي ابن أبي طالب، فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى علي المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ

(١) «الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين» ص (٣١٦).

(٢) «الكامل» (٢/٣٨٦).

(٤) المصدر نفسه (٥/٦٦٢، ٦٦٣).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/٦٦٢).

مُعْرَضُونَ ﴿آل عمران: ٢٣﴾. فقال علي رضي الله عنه: نعم، أنا أولى بذلك، فقال القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج، بأسيا فهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر رضي الله عنه للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي: أيها الناس إن هذا فتح فقبل القضية ورجع، ورجع الناس^(١).

وأظهر سهل بن حنيف رضي الله عنه اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم^(٢)، وبين لهم بأنه لا خيار عن الحوار والصلح؛ لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها، فقد قال: ما وضعنا أسيا فنا على عواتقنا لأمر يُفطعننا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ما نسد منها خُصماً إلا تفجر علينا خُصم ما ندري كيف نأتي له؟^(٣).

وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبون لها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب؛ ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرار^(٤) الفتنة.

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له، تطور فرضته أحداث حرب صفين؛ إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهها جماعياً رأى أن وقف القتال وحقن الدماء، ضرورة

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٣٦/٨)، و«مسند أحمد مع الفتح الرباني» (٤٨٣/٨).

(٢، ٣) «البخاري» رقم (٤١٨٩).

(٤) «الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف» ص (٥٣٠).

تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيتها وأثرها في اتخاذ القرارات^(١).

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قبل وقف القتال في صفين ورضي التحكيم وعد ذلك فتحاً ورجع^(٢) إلى الكوفة، وعلق على التحكيم آمالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد. إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم ساهمت فيها عدة عوامل للاستجابة للتحكيم منها:

أ- أنه كان آخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام، وحقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية، أم المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح، أما الرسائل التي تبادلت بين الطرفين لتقريب وجهات نظر كل منهما، لم تجدي هي الأخرى شيئاً، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال، حيث كتب إلى علي رضي الله عنه يطالبه بتوقف القتال فقال: فإنني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإننا إن كنا قد غلبنا على عقولنا؛ فقد بقي منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي^(٣).

ب- تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلباً يرنو إليه الجميع.

ج- الملل الذي أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش علي رضي الله عنه في اتجاه المودعة وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن المودعة^(٤).

وهذا ينقض ذلك الرأي المتهاافت الذي رَوَّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من

(١، ٢) «دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين» ص (٣٨).

(٣) «الأخبار الطوال» للدينوري ص (١٨٧)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٣٢).

(٤) «صفين» ص (٤٨٢ - ٤٨٥)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٣٣).

عمرو بن العاص والحق أن فكرة رفع المصحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص، بل رفع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقتل.

د - الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله قال: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله^(١).

٥ - مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله لعمّار رضي الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية»^(٢)، من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبي صلّى الله عليه وآله، وقد كان لمقتل عمّار رضي الله عنه أثر في معركة صفين، فقد كان علماً لأصحاب رسول الله يتبعونه حيث سار، وكان خزيمة بن ثابت قد حضر صفين وكان كأفأ سلاحه، فلما رأى مقتل عمّار سل سيفه وقاتل أهل الشام؛ وذلك لأنه سمع^(٣) حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله عن عمّار: «تقتله الفئة الباغية» واستمر في القتال حتى قتل^(٤)، وكان لمقتل عمّار أثر في معسكر معاوية، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبو الأعور السلمي، عند شريعة الماء يسقون، وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عمّار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله: «تقتله الفئة الباغية». فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله ما قال، فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض^(٥) في بولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله من

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٣٦/٨).

(٤) «خلافة علي» ص (٢١١)، و«مجمع الزوائد» للهيتمي (٢٤٢/٧) وقال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر وهو

لين.

(٥) الدحض: الزلق، والداحض لمن لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور.

جاء به^(١)، فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم، وجاء في رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فرعاً يرجع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار، فقال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له: «تقتلك الفئة الباغية» فقال له معاوية: دحضت في بولك، أو نحن قتلناه؛ إنما قتله علي وأصحابه، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا^(٢).

وفي رواية صحيحة أيضاً: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلتها؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقتله الفئة الباغية». قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه». فأنا معكم ولست أقاتل^(٣).

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه حريص على قول الحق، والنصح، فقد رأى أن معاوية وجنده، هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث، إلا أن معاوية رضي الله عنه أول الحديث تأويلاً غير مستساغ ولا يصح في أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاؤوا به إلى القتال^(٤)، وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص، بل كان استشهاده دافعاً لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب^(٥).

وقد قال رضي الله عنه: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة^(٦)، وقد جاء في

(١) «مسند أحمد» (٢٠٦/٢) إسناده حسن.

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (٢٤٠/١١) بسند صحيح.

(٣) «مسند أحمد» (١٣٨/١١، ١٣٩).

(٤) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٢٥).

(٥) «معاوية بن أبي سفيان»، للغضبان ص (٢١٥).

(٦) «أنساب الأشراف» (١٧٠/١)، و«عمرو بن العاص» للغضبان ص (٦٠٣).

البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كنا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي صلّى الله عليه وآله ؛ فينفض التراب عنه ويقول : «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» . قال عمّار : أعوذ بالله من الفتن^(١) .

وقال ابن عبد البر : تواترت الآثار عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال : «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» ، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته رضي الله عنه ، وهو من أصح الأحاديث^(٢) ، وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث : وهو في الباب عن عدة من الصحابة ، فهو متواتر^(٣) .

٦ - فهم العلماء للحديث:

أ - قال ابن حجر : وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار ، وردّ على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه^(٤) ، وقال أيضاً : دل الحديث : «تقتل عمّاراً الفئة الباغية» ، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب ؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه^(٥) .

ب - يقول النووي : وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه ؛ لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث^(٦) .

ج - قال ابن كثير : كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ، قال : حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لعمار رضي الله عنه : «تقتلك الفئة الباغية»^(٧) .

وقال أيضاً : وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ،

(١) «البخاري» رقم (٤٤٧) .

(٢) «الاستيعاب» (٣/ ١١٤٠) .

(٤) «فتح الباري» (٦٤٦/١) .

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٢١) .

(٥) «فتح الباري» (١٣/ ٩٢) .

(٧) «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢٠) .

(٦) «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٣٨) .

قتله أهل الشام، ويان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول صلوات الله عليه من أنه تقتله الفئة الباغية، ويان بذلك أن علياً محق، وأن معاوية باغ، وما في ذلك من دلائل النبوة^(١).

د - وقال الذهبي: هم طائفة من المؤمنين، بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار رضي الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية»^(٢).

هـ - قال القاضي أبو بكر العربي في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ﴾: هذه الآية أصل في قتال المسلمين، والعمدة في حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة، وإياها عني النبي صلوات الله عليه بقوله: «تقتل عمارةً الفئة الباغية»^(٣).

و - وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - إن كان متأولاً - وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ - وإن كان متأولاً - أو باغ - بلا تأويل - وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين^(٤).

وقال أيضاً: مع أن علياً أولى بالحق ممن فارقه، ومع أن عمارةً قتله الفئة الباغية - كما جاءت به النصوص - فعلياً أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله، ولا يكون لنا هوى، ولا نتكلم بغير علم، بل نسلك سبيل العلم والعدل، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف^(٥).

ز - وقال عبد العزيز بن باز: وقال رضي الله عنه في حديث عمار: «تقتل عمارةً الفئة

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٠٩/٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٤٣٧/٤).

(١) «البداية والنهاية» (٢٧٧/٧).

(٣) «أحكام القرآن» (١٧١٧/٤).

(٥) المصدر نفسه (٤٤٩/٤، ٤٥٠).

الباغية» فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين، فمعاوية وأصحابه بغاة، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان (١).

ح - وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار، الذي وردت النصوص مبينة أنه تقتله الفئة الباغية، تبين للمتريدين أن علياً كان على حق، وأن القتال معه كان واجباً، ولذا عبّر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق، كما أفتى بذلك الفقهاء (٢).

٧- الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به (٣):

إن جل الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» (٤)؛ أن المقصود جيش معاوية رضي الله عنه، مع أنهم معذورون في اجتهادهم، فهم يقصدون الحق ويريدونه، ولكنهم لم يصيبوه، وفئة علي أولى بالحق منهم كما قال ﷺ (٥)، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية - كما سأنقل - إلا أنهم عذروه في اجتهاده، فها هو ابن حجر يقول في قوله ﷺ: «يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» (٦).

فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع علي، والذين قتلوه مع معاوية، وكان معه جماعة من الصحابة، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها، وهو طاعة الإمام، وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم (٧).

وقال القرطبي: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد، فصل: علي رضي الله عنه،

- (١) «فتاوى ومقالات متنوعة» (٨٧/٦).
 (٢) «أساس في السنة» (٤/١٧١٠).
 (٣) «مسند أحمد» (٢٠٦/٢) إسناده حسن.
 (٤) «مسلم» رقم (٢٩١٦).
 (٥) «معاوية بن أبي سفيان» ص (٢١٠ - ٢١٤).
 (٦) «البخاري» رقم (٤٤٧).
 (٧) «التذكرة» (٢/٢٢٢).

كان إماماً حقاً في توليته، ومقاتلوه بغاة، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه^(١).

وقال أيضاً: وقد أجاب علي رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله صلوات الله عليه إذن قتل حمزة حين أخرجه، وهذا من علي رضي الله عنه إلزام، لا جواب عنه، وحجة لا اعتراض عليها، قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية^(٢).

وقال ابن كثير: فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيفنا، تأويل بعيد جداً؛ إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء^(٣).

وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة، ولكن هو قول كثير من الرواية ومن وافقهم^(٤)، وقال ابن القيم معلقاً على هذا التأويل: نعم التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله صلوات الله عليه لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»^(٥) فقالوا: نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا؛ فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله، لا من استنصر به^(٦).

٨ - من هو قاتل عمار بن ياسر؟

قال أبو الغادية الجهني وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين، أقبل يستن أول الكتبية رجلاً، حتى إذا كن بين الصفين فأبصر رجلاً عورة، فطعته في ركبته بالرمح فعثر، فأنكشف المغفر عنه، فضرته فإذا هو رأس عمار. ثم قُتل عمار، قال الراوي: واستسقى أبو الغادية، فأتي بماء في زجاج، فأبى أن يشرب فيها، فأتي بماء في قدح فشرب، فقال رجل: . . يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار^(٧)، ويخبر عمرو بن العاص رضي الله عنه الخبر فيقول: سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: «قاتل عمار وسالبه في النار»^(٨).

(٣) «البداية والنهاية» (٦/٢٢١).

(٥) «مسلم» رقم (٢٩١٦).

(١) «التذكرة» (٢/٢٢٣).

(٤) «منهاج السنة» (٤/٤٠٦).

(٦) «الصواعق المرسله» (١/١٨٤، ١٨٥).

(٨) «السلسلة الصحيحة» (٥/١٨٠، ١٩٠).

(٧) «الطبقات الكبرى» (٣/٢٦٠، ٢٦١) بسند صحيح.

قال ابن كثير ومعلوم أن عمارة كان في جيش علي يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذي تولى قتله يقال له: أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل: إنه صحابي^(١)، وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين للمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى^(٢).

وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض، وحكمه حكم قاتل عثمان، وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمار، وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل^(٣).

وقد وفق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة أي «قاتل عمار وسالبه في النار»^(٤)؛ إذ لا يمكن القول بأن أبا الغادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهداً، ورسول الله ﷺ يقول: «قاتل عمار في النار»^(٥)، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح^(٦) بها.

وقد ترجم لأبي الغادية الجهني، ابن عبد البر فقال: اختلف في اسمه، فقيل: يسار بن سبغ، وقيل: يسار بن أزهر، وقيل: اسمه مسلم، سكن الشام ونزل في واسط، ويعد في الشاميين، أدرك النبي ﷺ وهو غلام، روي عنه أنه قال: أدركت النبي ﷺ وأنا أيفع، أرد على أهلي الغنم، وله سماع من النبي ﷺ.

(١) «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢٠).

(٢) «الإصابة» (٧/ ٢٦٠).

(٣) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٥٤).

(٤) «السلسلة الصحيحة» (٥، ٤).

(٦) «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١٩).

قوله رضي الله عنه: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١)، وكان محباً لعثمان، وهو قاتل عمار بن ياسر، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه، وفي قصته عجبٌ عند أهل العلم^(٢).

٩- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين . . كانت هذه الوقعة من الغرابة إلى حد أن القارئ لا يصدق ما يقرأ، ويقف مشدوهاً أمام طبيعة النفوس عند الطرفين، فكل منهما كان يقف وسط المعركة شاهراً سيفه وهو يؤمن بقضيته إيماناً كاملاً، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها، بل كانت معركة فريدة في بواعثها، وفي طريقة آدائها، وفيما خلفتها من آثار، فبواعثها في نفوس المشاركين يعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية، فهم إخوة يذهبون معاً إلى مكان الماء فيستقون جميعاً ويزدحمون وهم يغرفون الماء وما يؤدي إنسان إنساناً^(٣)، وهم إخوة يعيشون معاً عندما يتوقف القتال، فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء وهؤلاء في معسكر هؤلاء . . . وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم^(٤)، وهم أبناء قبيلة واحدة ولكل منهما اجتهاده، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف^(٥)، قتالاً مريراً، وكل منهما يرى نفسه على الحق وعنده الاستعداد لأن يُقتل من أجله، فكان الرجلان يقتتلان حتى يُثخنا (وهناً وضعفاً) ثم يجلسان يستريحان، ويدور بينهما الكلام الكثير، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا^(٦)، وهما أبناء دين واحد يجمعهما، وهو أحب إليهما من أنفسهما، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها^(٧) ويوم قتل عمار بن ياسر

(١) «مسند أحمد» (٧٦/٤) وسنده حسن .

(٢) «الاستيعاب في معركة الأصحاب» رقم (٣٠٨٩) .

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/٦١٠) .

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤١/٢)، و«مرويات أبي مخنف» ص (٢٩٦) .

(٥) «البداية والنهاية» (٧/٢٧٠)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٣) .

(٦) «تاريخ الطبري»، نقلاً عن: «دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٤) .

(٧) «تاريخ دمشق» (٢٣٣٩/١٨)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٤) .

صلى عليه الطرفان^(١)، ويذكر شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين، فاقتلنا أياماً، فكثر القتلى بيننا حتى عقرت الخيل، فبعث علي إلى عمرو ابن العاص أن القتلى قد كثروا؛ فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم فأجابهم، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا وشبك بين أصابعه، وكان الرجل من أصحاب علي يشد فيقتل في عسكر معاوية، فيستخرج منه، وقد مر أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى وقال: لقد كان مجتهداً أحسن في أمر الله^(٢)، وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معاً، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان وقالوا لأmir المؤمنين: إنا نخرج معكم ولا نزل عسكركم، ونعسكر على حدة؛ حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد مالاً يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه فقال علي! مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين، والعلم بالسنة، من لم يرض بهذا فهو جائر خائن^(٣).

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من قناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها^(٤).

١٠ - معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البديهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى، فقد حث رسول الله ﷺ على إكرام الأسير، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة، هذا مع غير المسلمين فكيف إذا كان الأسير مسلماً، لا شك أن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير في هذه المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقة^(٥)، ولذلك كان

(١) «أنساب الأشراف» (٥٦/٦) بسند حسن إلى عتبة، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٤١).

(٢) «صفين» ص (١١٥)، و«دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٤).

(٤) «دراسات في عهد النبوة» ص (٤٢٤).

(٥) كتاب قتال أهل البغي من «الحاوي الكبير» ص (١٣٣، ١٣٤).

علي رضي الله عنه يأمر بحبسه ، فإن بايع أخلى سبيله ، وإن أبى أخذ سلاحه ودابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألا يقاتل ، وفي رواية يعطيه أربعة دراهم^(١) ، وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح ، وهو إضعاف جانب البغاة ، وقد أتى بأسير يوم صفين فقال الأسير : لا تقتلني صبراً ، فقال علي رضي الله عنه : لا أقتلك صبراً إنني أخاف الله رب العالمين ، فخلى سبيله ، ثم قال : أفيك خير تباع^(٢) .

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي :

* إكرام الأسير والإحسان إليه .

* يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة ، فإن بايع أخلى سبيله .

* إن أبى البيعة أخذ سلاحه ويحلفه ألا يعود للقتال ويطلقه .

* إن أبى إلا القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبراً^(٣) . وقد أتى رضي الله عنه

مرة بخمسة عشر أسيراً - ويبدو أنهم جرحى - فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه^(٤) . ويقول محب الدين الخطيب معلقاً على هذه الحرب : ومع ذلك ، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ الذي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حکماء العرب لو يعمل بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين ، وإن كثيراً من قواعد الحرب في الإسلام لم تكن لتعلم وتدون لولا وقوع هذه الحرب ، والله في كل أمر حكمة^(٥) ، قال ابن العديم : قلت : وهذا كله حكم أهل البغي ، ولهذا قال أبو حنيفة : لولا ما سار علي فيهم ، ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين^(٦) .

١١ - عدد القتلى :

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين

(١) «خلافة علي بن أبي طالب» ، لعبد الحميد ص (٢٤٣) .

(٢) «الأم» للشافعي (٢٢٤/٤) (٢٥٦/٨) .

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب» ، لعبد الحميد ص (٢٤٣) .

(٤) «تاريخ دمشق» ، تحقيق المنجد (٣٣١/١) ، و«خلافة علي بن أبي طالب» (٢٤٣) .

(٥) «العواصم من القواصم» ص (١٦٨ ، ١٦٩) من تعليق الخطيب في الحاشية .

(٦) «بغية الطالب في تاريخ حلب» ص (٣٠٩) ، و«خلافة علي» ص (٢٤٥) .

بلغ عددهم سبعين ألفاً، من أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً، ومن أهل الشام خمسة وأربعين ألف مقاتل^(١)، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفاً أو أكثر^(٢)، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة؛ فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة^(٣)، ومهما كان القتال عنيفاً، فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة^(٤)، وبالتالي يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢ - تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى، فيقول شاهد عيان: رأيت علياً على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الشهباء، يطوف بين القتلى،^(٥) وأثناء تفقده القتلى ومعه الأشر، مر برجل مقتول - وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام - فقال الأشر - وفي رواية أخرى عدي بن حاتم - يا أمير المؤمنين أحابس^(٦) معهم؟ عهدي والله به مؤمن فقال علي، فهو اليوم مؤمن. ولعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفزعنتي، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً...﴾ [الإسراء: ١٢]، فانطلق، فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً، قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين^(٧)، وقد وقف علي على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم، غفر الله لكم، للفريقين جميعاً،^(٨) وعن

(١) «الأنبا» للقضاي ص (٥٩) نقلاً عن: «خلافة علي» ص (٢٤٦).

(٢) «الصواعق المرسله» (١/٣٧٧) بدون سند، تحقيق محمد دخيل الله.

(٣) «الدولة الأموية» ص (٣٦٠ - ٣٦٢).

(٤) «تاريخ الطبري» (٤/٣٨٨).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة».

(٦) حابس بن سعد الطائي مخضرم، قتل بصفين.

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (١١/٧٤) بسند منقطع.

(٨) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٥٠)، و«تنزيه خال المؤمنين».

يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية^(١)، وكان يقول عنهم: هم المؤمنون^(٢)، وقوله رضي الله عنه في صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل^(٣).

١٣ - موقف معاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه، قال ابن كثير: . . . وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية لحرب علي تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين؛ لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة^(٤)، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

١٤ - قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين:

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص . . . فاعترضه علي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ ذَاتُ الْقُرُونِ الْمِيلَ

وَالْخُضْرُ وَالْأَنَامِلَ الطُّفُولِ^(٥)

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه وارتث. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين، قال: وهل

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٠٣/١٥) بسند حسن .

(٢) «تاريخ دمشق» (٣٣١/١، ٣٢٩)، و«خلافة علي» ص (٢٥١) .

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٥١)، و«تنزيه خال المؤمنين» ص (١٦٩) .

(٤) «البداية والنهاية» (١٢٢/٨) . (٥) الطُّفُولُ: جمع طفل، بالفتح، وهو الرخص الناعم .

تدرون من هو؟ قالوا: لا، قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي^(١)، وذكر القصة - أيضاً - ابن الكلبي، كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف: وقول علي: إنه اتقاني بعورته فذكرني الرَّحِمِ إلى أن قال: . . . ويروى مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع علي رضي الله عنه يوم صفين، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي رواه ابن الكلبي وغيره:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارِسٌ غَيْرُ مَنْتَهٍ

وعورته وَسَطَ الْعَجَاجَةِ بَادِيَةٍ

يَكْفُ لَهَا عَنْهُ عَلِيٌّ سِنَانُهُ

ويضحكُ منه في الخلاءِ مُعَاوِيَةَ^(٢)

والرد على هذا الافتراء والإفك المبين كالاتي، فراوي الرواية الأولى: نصر بن مزاحم الكوفي صاحب وقعة صفين شيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة، قال عنه الذهبي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد، تركوه، قال عنه العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال أبو خيثمة: كان كذاباً^(٣)، وقال عنه ابن حجر: قال العجلي: كان غالياً . . . ليس بثقة ولا مأمون^(٤)، وأما الكلبي هشام ابن محمد بن السائب الكلبي؛ اتفقوا على غلوه في التشيع قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحداً يحدث عنه وقال الدارقطني: متروك^(٥).

وعن طريق هذين الرافضيين سارت هذه القصة في الآفاق، وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب

(١) «وقعة صفين» ص (٤٠٦ - ٤٠٨)، و«قصص لا تثبت»، لسليمان الخراشي (١٩/٦).

(٢) «الروض الأنف» (٤٦٢/٥)، و«قصص لا تثبت» (١٩/٦).

(٣) «ميزان الاعتدال» (٢٥٣/٤، ٢٥٤).

(٤) «لسان الميزان» (١٥٧/٦).

(٥) «المجروحين» لابن حبان (٩١/٣)، و«التذكرة الحفاظ» (٣٤٣/١)، و«معجم الأدباء» (٢٨٧/١٩)، و«قصص لا

تثبت» ص (١٨/١).

الرافضة^(١) وتعد هذه القصة أنموذجاً لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار؛ لكي يسهل انتشارها بين المسلمين، هادفين إلى الغض من جناب الصحابة الأبرار رضي الله عنهم في غفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التحقيق في روايات التاريخ الإسلامي، بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصاص وأصبح كثير منها من المسلمات، حتى عند مؤرخي أهل السنة للأسف^(٢).

١٥ - مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من صفين مرَّ بمقابر، فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلف فارط، ونحن لكم تبع، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد لله الذي جعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً، الحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاء^(٣).

١٦ - إصرار قتلة عثمان رضي الله عنه على أن تستمر المعركة:

إن قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين، حتى يتفانى الناس، وتضعف قوة الطرفين، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعلي رضي الله عنه يجيئهم إلى طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه لكن القتال توقف، فسقط في أيديهم، فلم يجدوا بداً من الخروج على علي رضي الله عنه فاخترعوا مقولة: (الحكم لله) وتحصنوا بعيداً عن الطرفين، والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة، كما فعلوا في معركة

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٠).

(١) «قصص لا تثبت» (٢٠/ ١).

(٣) «البيان والتبيين» للجاحظ (٣/ ١٤٨)، و«فرائد الكلام للخلفاء الكرام» ص (٣٢٧).

الجميل، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهر عديدة، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين؛ لأن اصطلاح علي مع معاوية هو أيضا اصطلاح على دمائهم، فلا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل، ويتركوا ذلك في صفين^(١).

١٧ - نهى أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

روي أن علياً رضي الله عنه لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما، فأتيا فقلا: يا أمير المؤمنين ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة المسدنة، قالا: فلما تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لجج به^(٢).

وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أكثر حرصاً من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه^(٣)، فقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قوله: «من لعن مؤمناً فهو كقتله»^(٤)، وقوله صلّى الله عليه وآله: «ليس المؤمن بطعان ولا بلّعان»^(٥)، وقوله صلّى الله عليه وآله: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»^(٦).

كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه،

(١) «أحداث وأحاديث فتنة الهرج» ص (١٤٧).

(٢) «الأخبار الطوال» ص (١٦٥) نقلاً عن: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/٢٣٢).

(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/٢٣٢).

(٤) «البخاري»، كتاب الأدب (٧/٨٤).

(٥) «السلسلة الصحيحة» للالباني رقم (٣٢٠)، و«صحيح سنن الترمذي» (٢/١٨٩) رقم (١١١٠).

(٦) «مسلم» (٤/٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨).

ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند؛ حيث فيها أبي مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة، فقد أنكر علي من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبائين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم^(١)، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة^(٢).



(١) «نهج البلاغة» ص (٣٢٣).

(٢) «أصول مذهب الشيعة» (٩٣٤/٢).

المبحث الثالث

التحكيم

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يحكم كل واحد منهما رجلاً من جهته، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين، فوكل معاوية عمرو بن العاص، ووكل عليُّ أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما جميعاً، وكتب بين الفريقين وثيقة في ذلك، وكان مقر اجتماع الحكامين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧هـ، وقد رأى قسم من جيش علي رضي الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر؛ فعليه أن يتوب إلى الله تعالى وخرجوا عليه فسموا الخوارج، فأرسل علي رضي الله عنه إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم علي رضي الله عنه بنفسه؛ فرجعت طائفة منهم وأبت طائفة أخرى، فجرت بينهم وبين علي رضي الله عنه حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى.

تعتبر قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة وقد تاه فيها كثير من الكتاب، وتخبط فيها آخرون وسطروها في كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوهت الصحابة الكرام وخصوصاً أبا موسى الأشعري الذي وصفوه بأنه كان أبله، ضعيف الرأي، مخدوع في القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة؛ ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم، ووصفوا عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب مكر وخداع، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدى إلى قتل الكثير من المسلمين، وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر

أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها، وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفاصيل لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه^(١).

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري:

هو عبد الله بن قيس بن حضار بن حرب، الإمام الكبير، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ^(٢) وقد أسلم أبو موسى بمكة قديماً، قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص، وأسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة^(٣)، وتذكر بعض الروايات بأنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله، وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم؛ لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فألقتهم السفينة في أرض الحبشة، فحضروا مع جعفر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخير. . ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي، فلما تحقق استقرار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هيجان الرياح إلى الحبشة، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد^(٤).

١ - أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدر أبي موسى:

أ - لكم الهجرة مرتين: هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلى، وعن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ونحن ثلاثة إخوة: أنا، وأبورهم، وأبو عامر. فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي، عند جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكم الهجرة

(١) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٣٧٨)، و«تنزيه خال أمير المؤمنين معاوية» ص (٣٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/٣٨١). (٣) «الطبقات» (٤/١٠٧). (٤) «فتح الباري» (١٨٩/٧).

مرتين: هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليَّ»^(١)، وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوباً للإسلام منكم».

فقدم الأشعريون، فلما دنوا جعلوا يرتجزون: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

فلما قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة^(٢).

ب - هم قومك يا أبا موسى :

عن عياض الأشعري رضي الله عنه، قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة: ٥٤. قال رسول الله ﷺ: «هم قومك يا أبا موسى، وأوماً إليه»^(٣).

ج - اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً :

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من حنين، بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس، فلقي دُرَيْدَ بن الصُّمَّةِ فقتل دريد، وهزم الله أصحابه، فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأثبته^(٤). فقلت: يا عم، مَنْ رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له، فلحقته، فلما رأيته، ففجعت أقول له: ألا تستحيي؟ أأست عربياً؟ ألا تثبت؟ قال: فكف، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فقتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر، فقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم، فنزعتَه فزأ منه الماء. فقال: يابن أخي، انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام، وقل له: يستغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيراً، ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرت النبي ﷺ، توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهم اغفر لعبيد، أبي عامر»، حتى رأيت بياض إبطيه. ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك»

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٤) إسناده صحيح.

(١) «مسلم» رقم (٢٥٠٢).

(٣) «المستدرک» (٢/ ٣١٣) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، و«سير أعلام النبلاء» (٢٣٨٤).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٥).

فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً»^(١).

د - إن هذا قدر البشري فاقبلوا أنتما:

عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجرعانة^(٢) فأتني أعرابي فقال: ألا تنجز لي يا محمد ما وعدتني؟! قال صلى الله عليه وسلم: «أبشر» فقال له الأعرابي: قد أكثرت من «أبشر». فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ وعلى بلال. فقال: «إن هذا قدر البشري فاقبلوا أنتما». فقالوا: قبلنا يا رسول الله. فدعا بقدرح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: «اشرباً منه، وأفرغاً على وجوهكما ونحوركما» ففعلا؛ فنادتاهما أم سلمة رضي الله عنها من وراء الستر: أفضلاً لأمّكما مما في إناثكما، فأفضلاً لها منه طائفة^(٣).

هـ - لقد أعطي مزاراً من مزامير آل داود:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد، فإذا النبي صلى الله عليه وسلم عند باب المسجد قائم، وإذا رجل يصلي، فقال لي: «يا بريدة، أترأه يرأني؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزاراً من مزامير آل داود». فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته^(٤).

و - يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة:

عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة، فإذا صعد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبر - أحسبه قال بأعلى صوته - ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته يعترضها في الجبل، فقال: «أيها الناس، إنكم لا تتادون أصم ولا غائباً». ثم قال: «يا عبد الله بن قيس - أو يا أبا موسى - ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٥).

(٢) «الجرعانة»: بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة.
(٤) «مسلم» رقم (٧٩٣)، و«مجمع الزوائد» (٣٥٨/٩).

(١) «مسلم» رقم (٢٤٩٨).

(٣) «مسلم» رقم (٢٤٩٧).

(٥) «مسلم» رقم (٢٧٠٤).

ز - يَسْرًا وَلَا تَعْسِرًا وَتَطَوَّعًا وَلَا تَنْفَرًا:

استعمل رسول الله ﷺ أبا موسى على زيد وعدن^(١)، وأرسله مع معاذ إلى اليمن، فعن أبي موسى أن النبي ﷺ لما بعثه ومعاذًا إلى اليمن، قال لهما: «يَسْرًا وَلَا تَعْسِرًا وَتَطَوَّعًا وَلَا تَنْفَرًا»، فقال له أبو موسى: إنا لنا بأرضنا شرابا، يُصنعُ مع العسل يقال له: البتبع، ومن الشعير يقال له: المزُرُّ، قال: «كلُّ مسكر حرام»، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرؤه في صلاتي، وعلى راحلتي، وقائماً، وقاعداً، أتفوقه تفوقاً - يعني شيئاً بعد شيء - قال: فقال معاذ: لكنني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكان معاذاً فضلاً عليه^(٢).

٢ - مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر وكان قائداً للجيش في فتح قم، وقاثان^(٣)، وموقعه تستر^(٤)، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق وكان يعد من أعلم الصحابة، وقد قدم البصرة، وعلم بها^(٥)، وقد تأثر بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان بينهما مراسلات، سنأتي عليها عند حديثنا عن مؤسسة الولاية والقضاة، وكان أبو موسى رضي الله عنه قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد في الدنيا، والثبات على الإسلام، ويعد أبو موسى رضي الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ في الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنهم. كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علماً طيباً مباركاً، أقرأ أهل البصرة وأفقههم، وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبي ﷺ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً، وكان عمر يتعهد

(١) «تاريخ خليفة بن خياط» ص (٩٧)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢٢٦/٢)

(٢) «مسلم» رقم (١٧٣٣)، و«البخاري» (٤٣٤٤).

(٣) «اللباية والنهاية» (١١٤/٧).

(٤) «اللباية والنهاية» (٨٨/٧).

(٥) «تفسير التابعين» (٤٢٣/١).

بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا، حتى عده الشعبي واحداً من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلي، وزيد بن ثابت، وأبو موسى^(١).

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنه، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه، فعن أبي بكر أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟، قال: جئت أتحديث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقهه، فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنا في صلاة^(٢)، وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعلم، كان حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيهم، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين^(٣)، وقد جعل أبو موسى رضي الله عنه مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي، وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيهم فإذا ما سلم من الصلاة، استقبل رضي الله عنه الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم^(٤)، واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعون يقرأ، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن^(٥)، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين، وبذل رضي الله عنه كل ما

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/٣٨٩).

(٢) «أبو موسى الأشعري الصحابي العلم المجاهد» محمد طهماز ص (١٢١).

(٣) «الطبقات» (٤/١٠٧).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/٢٨٩).

(٥) «أبو موسى الأشعري الصحابي العالم» ص (١٢٥، ١٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٢/٣٩١).

يستطيع من جهد في تعليم القرآن ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها ، واستعان بصوته الجميل ، وقراءته الندية ؛ فاجتمع الناس عليه ، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة ، فقسّمهم إلى مجموعات وحلق ، فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم^(١) ، فالقرآن الكريم شغله الشاغل ﷺ ، صرف له معظم أوقاته في حله وفي سفره ، فعن أنس بن مالك قال : بعثني الأشعري إلى عمر ﷺ فقال عمر : كيف تركت الأشعري ؟ فقلت له : تركته يعلم الناس القرآن ، فقال : أما إنه كيّس^(٢) ، ولا تُسمعها إياه^(٣) ، حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه ، فعن حطّاب ابن عبد الله الرقاشي قال : كنا مع أبي موسى الأشعري ﷺ في جيش على ساحل دجلة ، إذ حضرت الصلاة ، فنادى مناديه للظهر ، فقام الناس للوضوء ، فتوضأ ثم صلى بهم ، ثم جلسوا حلّقًا ، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر ، فهبّ الناس للوضوء أيضاً فأمر مناديه : لا وضوء إلا على من أحدث .

وأثمرت جهوده العلمية ﷺ ، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه ، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمائة ، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن لكي يكرمهم ، ويزيد عطاءهم كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال^(٤) ، واهتم أبو موسى ﷺ بتعليم السنة وروايتها ، فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين . قال الذهبي - رحمه الله - حدث عنه بريدة بن الحصيب ، وأبو أمامة الباهلي ، وأبو سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، وطارق بن شهاب ، وسعيد بن المسيب ، والأسود بن يزيد ، وأبو وائل شقيق بن سلمة ، وأبو عثمان النهدي وخلق سواهم^(٥) ، وكان ﷺ شديد التمسك بسنة النبي ﷺ ،

(١) «أبو موسى الأشعري الصحابي العالم» ص (١٢٧) ، و«سير أعلام النبلاء» (٣٨٩/٢) .

(٢) «لطبقات» (١٠٨/٤) رجاله ثقات ، كيّس : عاقل فطن .

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣٩٠/٢) .

(٤) «أبو موسى الأشعري» ص (١٢٩) .

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٣٨١/٢) .

دلَّ على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يتهيون من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان من المقرّبين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً، فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس - ما بطأ بهم؟ - قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عجلت الدنيا وغيّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا بدّلوا^(١)، ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس، وبعد تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم؛ فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان^(٢).

٣ - ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم:

يعتبر أبو موسى - بحق - أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ففي أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها، وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها، وتأمينها وترتيب مختلف شؤونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه في مختلف القضايا منها توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة، ومنها نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية، وهي قيّمة، قال فيها عمر: أما بعد فإن أسعد الناس من سعدت به

(١) «أنس بن مالك الخادم الأمين»، لعبد الحميد طهماز ص (١٣٥). (٢) «تاريخ الطبري» (٦٦/٥).

رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته ، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك ، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها ؛ تبغي السمن وإنما حتفها في سمنها^(١) ، وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى رضي الله عنهما تدل على نواح إدارية وتنفيذية مختلفة ، كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر ، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه القيم عن «الوثائق السياسية»^(٢) وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد وهو الحسن البصري - رحمه الله - فقال : ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى^(٣) ؛ إذ إن أبا موسى - رحمه الله - كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها ، حيث علّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة^(٤) ، وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس ، والتي فتحت في زمنه تخضع للبصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله ، ويرتبطون به ارتباطاً مباشراً ، وهكذا اعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر ، واعتبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته ، وبيّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم^(٥) .

وقد أوصى عمر رضي الله عنه في وصيته للخليفة من بعده : ألاّ يقرّ لي عامل أكثر من سنة ، وأقرّ الأشعريّ أربع سنين^(٦) ، وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر رضي الله عنه وكان كتاب عمر إليه في القضاء أمودجاً ومثلاً يفيد كل قاض ، بل وكل إداري ، في كل زمان ومكان^(٧) ، وقال عنه ابن القيم : وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول ، وبنوا عليه أصول الحكم ، والشهادة ، والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه^(٨) ، كما تولى الولاية في عهد عثمان رضي الله عنه ،

(٢) «الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» .

(٥، ٤) «الولاية على البلدان» (١/ ١٢٠) .

(٧) «خلافة علي بن أبي طالب» ، لعبد الحميد ص (٢٦٢)

(١) «مناقب عمر» لابن الجوزي ص (١٣٠)

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨٩) .

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٩١) .

(٨) «إعلام الموقعين» (١/ ١٨٦) .

واستقضاه ذو النورين علي البصرة أيضاً، ولما قتل عثمان كان والياً على الكوفة، ولما تولى علي رضي الله عنه الخلافة، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة؛ إذ كان والياً عليها لعثمان ابن عفان رضي الله عنه، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذي قار، رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين؛ فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم، ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هي فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة^(١).

إن حياة أبي موسى رضي الله عنه منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام، وتعليم الناس العلم وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه، والفصل في الخصومات، ونشر العدل، وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك إن هذه المهمات صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم، والفهم، والفتنة، والحدق والورع، والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر، فاعتمد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضي الله عنهم^(٢)، فهل يتصور أن يثق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويتها قصة التحكيم^(٣).

إن اختيار أبي موسى رضي الله عنه حكماً عن أهل العراق من قبل علي رضي الله عنه وأصحابه ينسجم تماماً مع الأحداث، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح، وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح وجمع كلمة المسلمين، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان في الوقت نفسه محبوباً، مؤتمناً من قبائل العراق، وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن علياً هو الذي اختار أبا موسى الأشعري، يقول خليفة في تاريخه: وفيها - سنة ٣٧هـ - اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري من قبل علي، وعمرو ابن

(١) «فتح الباري» (٥٣/١٣)، و«التاريخ الصغير» (١٠٩/١١).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٦٢).

(٣) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢٢٧/٢).

العاص من قبل معاوية^(١)، ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب، وتداعوا على الصلح، وحكّموا الحكمين، فحكّم عليّ أبا موسى، وحكّم معاوية عمرو ابن العاص^(٢)، ولهذا يمكن القول: إن الدور المنسوب للقراء في صفين من مسؤولية وقف القتال والتحكيم وفرض أبي موسى حكماً، ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة، وكان يزعجهم أن يظهر عليّ رضي الله عنه بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام، وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين، من جهة أخرى يحملون المسؤولية أعداءهم الخوارج ويتخلصون منها، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها، فهم الذين أجبروا عليّاً على قبول التحكيم، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم^(٣).

إن هذه العجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا الذي نتحدث فيه عن شخصية أمير المؤمنين عليّ وعصره، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره، وقد تعرضت للتشويه وغالباً إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص، للتشويه والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة، فكان لزاماً علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الزكية؛ وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث.

ثانياً: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي، يكنى أبا محمد وأبا عبد الله ويتفق ابن إسحاق^(٤) والزيير بن بكار^(٥) أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة، وذكر ابن حجر أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح وقيل: بين الحديبية وخيبر^(٦).

(١) «تاريخ خليفة» ص (١٩١، ١٩٢).

(٢) «الطبقات» (٣/٣٢).

(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/٢١٥).

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٩/٥٣) أرسلها ابن إسحاق.

(٥) «الإصابة» (٣/٢) و«خلافة عليّ»، لعبد الحميد ص (٢٦٣).

(٦) «تهذيب التهذيب» (٨/٥٦).

١ - إسلامه:

ترك عمرو بن العاص رضي الله عنه يحدثنا عن إسلامه، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق؛ جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم^(١)، فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إننا لعنده إذ جاءه عمرو ابن أمية الضمري، وكان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنني أجزأت عنها^(٢)، حيث قتلت رسول محمد، قال: فدخلت عليه، فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحباً صديقي، أهديت إليّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أتعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده،

(٢) أجزأت عنها: كفيتها .

(١) الأدم: جمع الأديم: الجلد .

قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت على أصحابي إسلامي ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم^(١)، وإن الرجل لنبي، اذهب والله، فأسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدما المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد، فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله ﷺ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله: «يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها»، قال: فبايعته ثم انصرفت^(٢).

وفي رواية قال: ... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «مالك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشرط. قال: «تشرط بماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله»^(٣).

٢ - عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل ٧ هـ:

جهز النبي ﷺ جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل؛ وذلك لتأديب قضاة التي غرها ما حدث في مؤتة، التي اشتركت فيها إلى جانب الروم فتجمعت تريد الدنو من المدينة، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمائة من المهاجرين، والأنصار، ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة، فأرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب المدد فجاءه مدد بقيادة أبي

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضع.

(٢) «صحيح السيرة النبوية» ص (٤٩٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/٦٠)، و«السيرة» لابن هشام (٢/٢٧٦).

(٣) «مسلم»، كتاب الإيمان رقم (١٢١).

عبدة بن الجراح^(١)، وقاتل المسلمون الكفار وتوغل عمرو في ديار قضاة التي هربت وتفرقت وانهزمت، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام، وإرجاع أحلاف المسلمين لصدقاتهم الأولى، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين، وإسلام الكثيرين من بني عبس، وبني مرة، وبني ذبيان، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين، وتبعها بنو سليم، وعلى رأسهم العباس بن مرداس، وبنو أشجع، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب، وإن لم يكن في البلاد جميعها^(٢).

وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ - إخلاص عمرو بن العاص : بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني». فأتيته، وهو يتوضأ، فصعد في النظر، ثم طأطأ، فقال : «إني أريد أن أبعثك على جيش^(٣)، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك في المال رغبة صالحة»، قلت : يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح»^(٤)، فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام وحرصه على ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بين له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح؛ لأنه يبتغي وجه الله، ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين، والمشاريع الخيرية وغيرها من وجوه البر ويعول به نفسه وأسرته،^(٥) ويغني به المسلمين، ونستنبط من الحديث أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما أن الرجل ذا المال إذا

(١) «السيرة النبوية الصحيحة» (٤٧١/٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢٨٠/٣).

(٢) «السيرة النبوية» لأبي شعبة (٤٣٣/٢)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢٨٠/٤).

(٣) جيش : سرية ذات السلاسل .

(٤) رواه ابن حبان في «الموارد» (٢٢٧٧)، و«صحيح السيرة» ص (٥٠٨)، صححه الألباني .

(٥) «التاريخ الإسلامي» للحميدي (١٣٣/٧).

استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث، فهو أيضاً مطلوب ومحمود وهذا خير له وللإسلام والمسلمين .

ب- حرص عمرو على سلامة قواته:

بعث رسول الله ﷺ عمراً رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل ، فأصابهم برد ، فقال لهم عمرو : لا يُوقدنَّ أحد ناراً ، فلما قدم شكوه ، قال : يا نبي الله ، كان فيهم قلّة ، فخشيت أن يرى العدو قتلّتهم ، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين ؛ فأعجب ذلك رسول الله ﷺ .^(١)

ج- من فقة عمرو بن العاص رضي الله عنه :

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيمنت ، ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت : إني سمعت الله يقول : «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» النساء: ٢٩ ، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً^(٢) ، وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله ، ودقة استنباطه الحكم من دليله^(٣) ؛ ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام ، فإن الذي يستوقفنا^(٤) منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقرآن وصلته به ، حتى بات قادراً على فقه الأمور من خلال الآيات وهو لم يمضِ على إسلامه أربعة أشهر ، إنه الحرص على الفقه في دين الله ، وقد يكون عمرو - وهذا احتمال وارد - على صلة بالقرآن قبل إسلامه ، يتتبع ما يستطيع الوصول إليه ، وحينئذ نكون أمام مثال آخر من عظمة هذا القرآن ، الذي لوى أعناق الكافرين وجعلهم وهم في

(١) سير أعلام النبلاء « (٦٦/٣) .

(٢) سير أعلام النبلاء « (٦٧/٣) إسناده صحيح ، وصححه ابن حبان رقم (٢٠٢) .

(٣) غزوة الحديبية « لأبي فارس ص (٢١٠) .

(٤) «معين السيرة» ص (٣٨١) ، القائل هو : صالح أحمد الشامي صاحب كتاب «معين السيرة» .

أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القرآن ، كما رأينا ذلك في العهد المكي ، ويؤيد هذا ما روينا من معرفته بالقرآن ، حينما طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام^(١) .

٣ - فضائله ومناقبه:

أ - شهادة رسول الله له بالإيمان :

قال رسول الله صلوات الله عليه : «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص»^(٢) وفي حديث آخر قال رسول الله صلوات الله عليه : «ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام»^(٣) ، وقال عمرو بن العاص : فزع الناس بالمدينة مع النبي صلوات الله عليه ففرقوا ، فرأيت سالما احتبى سيقاً فجلس في المسجد ، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل ، فخرج رسول الله صلوات الله عليه فرآني وسالماً ، وأتى الناس فقال : «أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله ، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان»^(٤) .

ب - تقديم رسول الله له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحى قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله : ما عدل بي رسول الله صلوات الله عليه وبخالد أحداً منذ أسلمنا في حرب^(٥) ، وشهد له رسول الله صلوات الله عليه بأنه من صالحى قريش ، فعن أبي مليكة قال : قال طلحة بن عبيد الله سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول : «إن عمرو بن العاص من صالحى قريش»^(٦) . وهنا درس نبوي في معرفة النبي صلوات الله عليه لمعادن الرجال والاستفادة منها .

ج - دعاء رسول الله له :

عن زهير بن قيس البلوي عن عمه علقمة بن رمثة البلوي قال : بعث

(١) «معين السيرة» ص (٣٨١) ، و«مسند أحمد» (٢٠٣/١) رجاله رجال الصحيح .

(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٣٨/١) رقم (١٥٥) .

(٣) «الطبقات» (١٩١/٤) ، و«السلسلة الصحيحة» (٢٤٠/١) رقم (١٥٦) .

(٤) «مسند أحمد» (٢٠٣/١) بسند حسن .

(٥) «سنن البيهقي» باب إسلام عمرو بن العاص (٤٣/٤) .

(٦) «سنن الترمذي» ، كتاب المناقب ، باب : مناقب عمرو بن العاص رقم (٣٨٤٤) .

رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم نَعَس رسول الله ﷺ ثم استيقظ فقال: «رحم الله عمراً». فتذاكرنا من اسمه عمرو، ثم نَعَس ثانية فاستيقظ فقال: «رحم الله عمراً». ثم نَعَس الثالثة فاستيقظ، فقال: «يرحم الله عمراً». قلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن العاص» قلنا: وما باله؟ قال: «ذكرته إني كنت إذا نذبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله خيراً كثيراً». قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا قال فيه؛ رسول الله ما قال، فلم أفارقه^(١).

٦ - أعماله في عهد أبي بكر وعمر عثمان رضي الله عنهم:

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عمراً إلى دعوة ابني الجلندي «جيفر، وعباد» إلى الإسلام، ودعاهما إلى الإسلام وصدقا بالنبي ﷺ، وخلياً بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم، وكان له عوناً على من خالفه،^(٢) وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجّه الصديق عمرو بن العاص رضي الله عنه بجيش إلى فلسطين، وكان الصديق رضي الله عنه قد خيره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله ﷺ، وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والآخرة، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشأها وأفضلها فارم به^(٣)، فلما قدم المدينة أمره أبو بكر رضي الله عنه: أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى يندب معه الناس... ثم أرسله بجيش إلى الشام^(٤)، وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين، وبعد وفاة الصديق استمر عمرو في الشام وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام، فقد

(١) «المعجم الكبير» (٥/١٨)، و«المستدرک» (٤٥٥/٣) صححه الحاكم، وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.

(٢) «الطبقات» (٢٦٢/١)، و«جوامع السيرة» لابن حزم ص (٢٤، ٢٩).

(٣) «إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء» ص (٥٥).

(٤) «فتوح الشام» للأزدي ص (٤٨-٥١).

قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين^(١)، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة، واللُدَّ، ويَبْنَى، وعمّواس، وبيت جبرين، ويافا، ورَفَح، وبيت المقدس، ولم يقتصر عمرو رضي الله عنه على فتح بلاد الشام وحدها، بل شمل أيضاً بعض مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أصدر أمره إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشام، أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر، فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضاً: الفرما، والفسطاط، وحصن بابلون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخميم، والبشرد، وتنيس ودمياط وتونة ودقهلة، والإسكندرية وبلاداً إفريقية أخرى مثل: برقة وزويلة وطرابلس^(٢)، وقد شهد له الفاروق رضي الله عنه بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً^(٣)، وكان في عهد عثمان رضي الله عنه من المقربين إلى الخليفة، ومن أهل مشورته ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب، فسار وسار معه ابنه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله^(٤)، وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه، وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال عمرو بن العاص: أنا أبو عبد الله نكون في حرب من حك فيها قرحة نكأها، رحم الله عثمان ورضي عنه وغفر له. فقال سلامة ابن زنباع الجذامي: يا معشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذ كسر الباب، فقال عمرو: وذلك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف^(٥)، تخرج الحق من حافة البأس ويكون الناس في العدل سواء، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

(١) «تاريخ الطبري» (٣/٦٠٥)، و«الكامل» لابن الأثير (٢/٤٩٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/٧٠) و«القيادة العسكرية في عهد الرسول» ص (٦٣٤ - ٩٤٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/٧٠).

(٤) «تاريخ الطبري» نقلاً عن: «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٦٤).

(٥) أشاف: جمع إشفى وهو المتقرب.

فَيَالْهَفَ نَفْسِي عَلَى مَالِكٍ
 وَهَلْ يَصْرَفُ مَالِكٌ حِفْظَ الْقَدْرِ
 أَنْزَعٍ مِنَ الْحَرِّ^(١) أَوْدِي بِهِمْ
 فَأَعْذُرُهُمْ أَمْ بِقَوْمِي سُكْرٌ

ثم ارتحل رجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه: أنعي الحياء والدين، حتى قدم دمشق^(٢)، هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالِح وصاحب مطامع، وراغب دنيا فهي الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدي عن موسى ابن يعقوب^(٣)، وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين؛ فأهووا وعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب^(٤)، وعبد الخالق سيد أبو رابية^(٥)، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما: . . . انتهازيان صاحباً مصالِح، ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله؛ فهذا لا يعني للعقاد شيئاً، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقم بها حجة: . . . وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحة هذه الكلمات، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سنده، ولا نصح، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه، أن الاتفاق بين الرجلين، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل على كل منهما ولولاه لما كان بينهما اتفاق^(٦).

(١) الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة

(٢) «تاريخ الطبري» نقلاً عن: «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٦٤).

(٣) «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٨١).

(٤) «سفر النبي ﷺ»، لمحمود شيت خطاب ص (٥٠٨).

(٥) «عمرو بن العاص»، لعبد الخالق سيد أبو رابية ص (٣١٦).

(٦) «عمرو بن العاص» للعقاد ص (٢٣١، ٢٣٢).

إن شخصية عمرو رضي الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ، غادر المدينة حين عجز عن نصره عثمان، وبكى عليه بكاءً مرّاً حين قتل، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان، من غير ولاية ومضى إلى معاوية رضي الله عنه، يتعاوناً معاً على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد^(١)، لقد كان مقتل عثمان كافياً؛ لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة؛ للثأر من هؤلاء الذين تجرؤوا على حرم رسول الله وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟ وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمراً همه السلطة والحكم^(٢).

ثالثاً: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم،

- (١) هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله وسلم.
- (٢) قضية علي رضي الله عنه على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية رضي الله عنه على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.
- (٣) إننا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نُحْيِي ما أحيأ ونُمِيت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.
- (٤) وإن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً، ورضي معاوية وعمرو ابن العاص ناظراً وحاكماً.

(٥) على أن علياً ومعاوية أخذوا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذوا القرآن إماماً ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، ومالم يجدا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يتعمدان لها خلافاً، ولا يبيغان فيها بشبهة.

(١) «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٨٩، ٤٩٠).

(٢) «عمرو بن العاص» للغضبان ص (٤٩٢).

(٦) وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية رضي الله عنهما عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

(٧) وهما آمنان في حكومتها على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، ما لم يعدوا الحق، رضي به راض أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

(٨) فإن توفي أحد الحكيمين قبل انقضاء الحكومة؛ فليشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل العدل والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

(٩) وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية؛ فليشيعته أن يوكلوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

(١٠) وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

(١١) وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكيمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى به شهيداً، فإن خالفا وتعدياً؛ فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

(١٢) والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوع، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

(١٣) وللحكيمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق والشام.

(١٤) ولا يحضرهما فيه إلا من أحبباً عن تراض منهما.

(١٥) والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة

عجلاًها، وإن رأى تأخيرها إلى آخر الأجل أخرها.

(١٦) فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل؛ فالفريقان على أمرهما الأول في الحرب.

(١٧) وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعاً يد واحدة على من أراد في هذا الأمر إحداداً أو ظلماً أو خلافاً، وشهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين رضي الله عنهما، ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، والأشعث ابن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن القيس الهمداني، والحسين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب ابن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو ابن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية النكري، ومالك بن كعب الهمداني، وربيعه بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية، ومن أهل الشام: حبيب ابن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، وبسر بن أرطاة القرشي، ومعاوية ابن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسي، وعبد الله بن خالد ابن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسي، ومسروق بن جبلة العكي، ويسر بن يزيد الحميري، وعبد الله ابن عامر القرشي، وعتبة بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو ابن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، ومسعدة بن عمرو العتبي، والصبح ابن جلهمه الحميري، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة ابن حكيم. كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين (١).

(١) انظر: «الوثائق السياسية» ص (٥٣٧، ٥٣٨)، و«الأخبار الطوال» للدينوري ص (١٩٦-١٩٩)، و«أنساب الأشراف» (٣٨٢/١)، و«تاريخ الطبري» (٥/٦٦٥، ٦٦٦)، و«البداية والنهاية» (٧/٢٧٧، ٢٧٦).

رابعاً: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم، وتداولها المؤرخون والكتاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها، فهم بين مطيل في سياقها، ومختصر وشارح ومستنبط للدروس وبان للأحكام على مضامينها، وقلما تجد أحداً وقف عندها فاحصاً محققاً، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالاً، وإن كان غير مفصل وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص؛ إذ إن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي، بل هي باطلة من عدة وجوه^(١):

١- إن جميع طرقها ضعيفة، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبدالرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلأ قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فهاب أهل العراق، فعند ذلك حكموا الحكمين، فاختر أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشام عمرو بن العاص، ففرق أهل صفين حين حكم الحكمان، فاشتراط أن يرفعا ما رفع القرآن ويخفضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد ﷺ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح، فلما انصرف عليٌّ رضي الله عنه خالفت الحرورية وخرجت - وكان ذلك أول ما ظهرت - فأذنوه بالحرب، وردوا عليه: إن حكم بني آدم في حكم الله عز وجل، وقالوا: لا حكم إلا لله سبحانه، وقاتلوا، فلما اجتمع الحكمان بأذرح؛ وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس، فأرسل الحكمان إلى عبد الله ابن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير، ووفى معاوية أهل الشام، وأبى عليٌّ وأهل العراق أن يوفوا، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من الناس برأي يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك، قال: فوالله إني لأظن أنني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأرجعهما، فدخل عمرو بن العاص

(١) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٤٠٤).

وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله، أخبرني عما سألك عنه، كيف ترانا معشر المعتزلة؟، فإننا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال، ورأينا أن نستأني ونثبت حتى تجتمع الأمة؛ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمره، فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأياً، فيكم بقية المسلمين، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، فلقني الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم، وعلى أهل الغدر بغدرهم، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: أأست تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى، قال عمرو: اكتبها فكتبها أبو موسى، قال عمرو: يا أبا موسى، أنت على أن نسبي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسمه لي، فإن أقدر على أن أتبعك فلك عليّ أن أتابعك، وإلا فلي عليك أن تتابعني؛ قال أبو موسى: أسمى لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحاً مجلسهما حتى استبأ، ثم خرجا إلى الناس، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو كمثل الذين قال الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ {الأعراف: ١٧٥}.

فلماً سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ {الجمعة: ٥}. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار. (١) والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلّة، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة (٢) كما قرّر العلماء. وهناك طريق أخرى أخرجها

(١) «المصنف» (٤٦٣/٥) و«مرويات أبي مخنف من تاريخ الطبري» ص (٤٠٦).

(٢) «المراسيل» لأبي حاتم ص (٣) و«الجرح والتعديل» (١/٢٤٦).

ابن عساكر بسنده إلى الزهري، وهي مرسله وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يصنع الحديث^(١). وفي سنده أيضاً الواقدي، وهو متروك^(٢)، وهذا نصها: . . . رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله، والحكم بما فيه وكان ذلك مكيدة من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافقوا رأس الحول أذرح، وحكموا حكماً ينظرون في أمور الناس فيرضوا بحكمها، فحكم عليّ أبا موسى الأشعري، وحكم معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنه، وتفرق الناس فرجع عليّ إلى الكوفة بالاختلاف والدغل، واختلف عليه أصحابه فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كان معه، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه، ووافق الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس إليهما وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية، فقدم أبا موسى فتكلم وخلع علياً ومعاوية، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع علياً وأقر معاوية؛ فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما وباع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين^(٣)، وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى؛ ضعيف ليس بثقة^(٤)، وإخباري تالف غالٍ في الرفض، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان^(٥) ضعيفاً، وقال البخاري وأبو حاتم: كان يحيى القطان يضعفه^(٦) وقال عثمان الدارمي: ضعيف^(٧)، وقال النسائي: ضعيف^(٨). هذه طرق قصة التحكيم المشهورة، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة، أفبمثل هذا تقوم حجة؟ أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم،

(١) «تهذيب التهذيب» (٢٧/١٢)، و«مرويات أبي مخنف من تاريخ الطبري» ص (٤٠٦).

(٢) «مرويات أبي مخنف من تاريخ الطبري» ص (٤٠٦). (٣) «تاريخ دمشق» (٥٣/١٦).

(٤) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢٢٣/٢). (٥) «مرويات أبي مخنف» ص (٤٠٧).

(٦) «التاريخ الكبير» (٢٦٧/٢/٤)، و«الجرح والتعديل» (١٣٨/٩).

(٧) «التاريخ» للدارمي ص (٢٣٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢٢٣/٢).

(٨) «الضعفاء والمتروكون» ص (٢٥٣).

عصر القدوة والأسوة، ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطراب في متونها لكفاها ضعفاً فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها؟^(١).

٢ - أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها^(٢).

٣ - وردت رواية تنقض تلك الروايات تماماً، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصراً بسند رجاله ثقات، وأخرجه ابن عساكر معلولاً، عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض، قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغني عنكما فطال ما استغني أمر الله عنكما^(٣).

وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكره سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وخوفه من الإحداث بعدهما، قال أبو موسى رضي الله عنه: قال لي عمرو بن العاص رضي الله عنه: والله لئن كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما تركا هذا المال وهو يحل لهما؛ لقد غبنا وأخطأ أو نقص رأيهما، ووالله ما كان مغبونين ولا مخطئين ولا ناقصي الرأي. ووالله ما جاءنا الوهن والضعف إلا من قبلنا^(٤).

٤ - إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه، وأنه أحق بالخلافة منه فلم ينازعه الخلافة، ولا طلبها لنفسه في حياة علي، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد^(٥)، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً

(١) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٤٠٨). (٢) المصدر نفسه ص (٤٠٨).

(٣) «التاريخ الكبير» (٣٩٨/٥). (٤) «العواصم من القواصم» ص (١٧٨ - ١٨٠).

(٥) «فتح الباري» (٨٦/١٣).

في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان رضي الله عنه وأسلم له، فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه^(١)، فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنه؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله^(٢)، ويقول ابن حزم في هذا الصدد: بأن علياً قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل علي رضي الله عنه واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده أداه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان، وأولاد الحكم ابن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك وأصاب في هذا، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط^(٣)، وفهم الخلاف على هذه الصورة - وهي صورته الحقيقية - بين إلى أي مدى تخطى الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكيمين، إن الحكيمين كانا مفوضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء، فإذا ترك الحكيمان هذه القضية الأساسية، وهي ما طلب إليهما الحكم فيها، واتخذوا قراراً في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة، فمعنى ذلك أنهما لم يفصلا موضوع النزاع، ولم يحيطا بموضوع الدعوى، وهو أمر مستبعد جداً^(٤).

٥ - إن الشروط التي يجب توافرها في الخليفة هي العدالة والعلم، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح، وأن يكون^(٥) قرشياً، وقد توفرت هذه

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٤٠).

(٢) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٤٠٩).

(٣) «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٦٠).

(٤) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/ ٢٢٥).

(٥) «الأحكام السلطانية» للماوردي، و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى ص (٢٠)، و«غياث الأمم» ص (٧٩) وما

الشروط في علي رضي الله عنه، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة - ولا شك في ذلك وقد بايعه المهاجرون والأنصار أهل الحل والعقد، وخصومه يقرون له بذلك - فقول معاوية السابق يدل عليه بأن: الإمام إذا لم يخل عن صفات الأئمة، فرأى العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة؛ فإن عقد الإمام لازم، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار، لما استتب للإمام طاعة، ولما استمرت له قدرة واستطاعة ولما صح لمنصب الإمام معنى^(١). وإذن فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات أن كل من لم يرض بإمامه خلعه، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده، وهم أهل الحل والعقد وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة، وهل علي رضي الله عنه فعل ذلك؟ واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال: إن الحكمين اتفقا على ذلك، فما ظهر منه قط إلى أن مات رضي الله عنه، شيء يوجب نقص بيعته، وما ظهر منه قط إلا العدل، والجد، والبر والتقوى والخير^(٢).

٦ - إن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة؟ لا شك أن الأحوال ستزداد سوءاً، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا، ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلاً.

٧ - إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك، فكان ذلك إذناً في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم، ما بقي منهم واحد، ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص، وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية، والإمارة، وعلي ابن

(١) «غياث الأمم» ص (١٢٨)، و«مرويات أبي مخنف» ص (٤١٠)

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/٢٣٨).

أبي طالب رضي الله عنه القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره؟^(١).

٨ - أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم، والسؤال ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم فالحكماء لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي^(٢)، أعلم الناس بأمر الشام^(٣) أنه قال: كان علي رضي الله عنه بالعراق يدعى أمير المؤمنين، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين^(٤).

فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي، وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع معاوية بالخلافة بإيلياء^(٥)، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع^(٦)، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفوًّا لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه؛ فإن فضل علي وسابقته وعلمه، ودينه وشجاعته، وسائر فضائله، كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه؛ أبي بكر، وعمر، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم^(٧)، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بويع لخليفة فقتلوا الآخر منهما»^(٨)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة^(٩)، ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك^(١٠).

(٢) سعيد بن عبد العزيز التنوخي ثقة إمام، «التقريب».

(٤) «تاريخ الطبري» (٦/٧٦).

(٦) «البداية والنهاية» (٨/١٦).

(٨) «صحيح مسلم» (٣/١٤٨٠).

(١٠) «مرويات أبي مخنف» ص (٤١٢).

(١) «مرويات أبي مخنف» ص (٤١١).

(٣) «تهذيب التهذيب» (٤/٦٠).

(٥) «تاريخ الطبري» (٦/٧٦).

(٧) «الفتاوى» (٣٥/٧٣).

(٩) «سنن البيهقي» (٨/١٤٤).

٩ - أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبته؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام؛ فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت^(١)، هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة، وليس فيه تصريح بذلك، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده، ويرى ابن حجر أنها كانت في التحكيم^(٢)، ودلالة النص على القولين الأولين أقوى. فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم. دليل على اجتماع الكلمة على معاوية، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع واتتلاف^(٣).

١٠ - حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكماء رده إلى الأمة أو إلى أهل الشورى، ليس إلا أمر الخلاف بين عليّ ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مدعيًا للخلافة ولا منكرًا حق عليّ فيها عما تقرر سابقًا، وإنما كان ممتنعًا عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام، حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بقي واليًا فيها زهاء عشرين سنة^(٤)، وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه «أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين»: قال أبو بكر محمد بن

(١) «البخاري» (٤٨/٥).

(٢) «فتح الباري» (٤٦٦/٧).

(٣) «مرويات أبي مخنف».

(٤) «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (١٣٤/٢).

الطيب الأشعري - الباقلاني - في «مناقب الأئمة»: فما اتفق الحكماء قط على خلعه - علي بن أبي طالب - وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع، حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطاً في الموافقة بينهما، أو إلى أن يبين ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة، ونصّ كتاب علي رضي الله عنه اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل، من فاتحته إلى خاتمته لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما... والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويعظمانه ويشيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته في الدين، وعظيم جهاده في جهاد المشركين، وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدر في العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيق بالإمامة، وأهل لحمل أعباء الخلافة^(١).

١١ - مكان انعقاد المؤتمر:

كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين - كما جاء في الوثيقة - في رمضان في عام ٣٧هـ، إذا لم تحدث عوائق، في موضع وسط بين العراق والشام وهذا الموضع المختار هو «دومة الجندل»^(٢) في روايات موثقة، و«أذرح»^(٣) في روايات أخرى دونها في الإتيان، ولعل قرب المكانين من بعضهما أثر في اختلاف الروايات؛ إذ يقول خليفة بن خياط: ^(٤)... ويقال: بأذرح وهي من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق^(٥).

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكماء هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذرح، واستدل على ذلك ببعض

(١) «أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين» ص (١٧٧) .

(٢) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية .

(٣) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء .

(٤) «تاريخ خليفة» ص (١٩١، ١٩٢) .

(٥) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٦٧) .

روايات لم بينها وبالأشعار وبخاصة بشعر ذي الرمة^(١) في مدح بلال بن أبي بردة^(٢) وهو قوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعسدمًا
تَشَاءُوا وَبَيْتُ الدِّينِ مُنْقَلَعُ الكَسْرِ
فَشَدَّ إِصَارَ الدِّينِ أَيَّامَ أذْرَحِ
وَرَدَّ حُرُوبًا قَدْ لَقَحْنَ إِلَى عُقْرِ^(٣)

١٢ - هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟:

اجتمع الحكمان في موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته، وأفضل هؤلاء: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به^(٤)، فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة، فلما أتاه قال: يا أبت، أرضيت أن تكون أعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت فإني سمعت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»^(٥).

خامساً: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟:

يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية،

(١) ذي الرمة: غيلان بن عقبة توفي ١١٧ هـ «سير أعلام النبلاء» (٢٦٧/٥).

(٢) بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري، «تهذيب تاريخ دمشق» (٣٢١/٣).

(٣) «ديوان ذي الرمة» ص (٣٦١ - ٣٦٢) نقلاً عن: «خلافة علي» ص (٢٧٢).

(٤) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٢٧٢).

(٥) «المسند» (١/١٦٨) وقال أحمد شاکر: إسناده صحيح (٣/٢٦)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، للسلمي

وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعاً مسؤولياتهم، ومن ورائهم الأمة الإسلامية التي يحكمونها في الضغط الجاد الصادق، على الطرفين المتنازعين؛ لكي يوقفا بينهما القتال، ويلجأ إلى التحكيم الشرعي في الإسلام، فيرسل هذا الطرف حكماً من قبله، وذلك حكماً آخر من قبله أيضاً؛ للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

١- تحديد صلاحيات الحكّمين في إصدار الأحكام التي لا بدّ منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

٢- جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام، والحلول التي تفصل في مسائل النزاع.

٣- أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكّمان من أحكام، وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الرّاهن، على أنها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام، وأن الخروج عليها، أو الرضى بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعاً.

٤- إذا أصدر الحكّمان ما اتَّفَقَا عليه من أحكام، وحلول، وانقاد لها الطرفان المتنازعان؛ قُضي الأمر، وكفى الله المؤمنين القتال.

٥- إذا رفض أحد الطّرفين، أو كلاهما الانقياد لقضاء الحكّمين؛ اعتبر الطرف الراض هو الطرف الباغي، سواء صدر الرفض من أحدهما، أو من كليهما، ووجب شرعاً على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى، أن تضع نفسها تحت تصرّف ما يصدره الحكّمان من قرارات عسكرية، من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم.

٦- ويكون من صلاحيّات الحكّمين بالاتّفاق إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى، من أجل حل

النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه^(١)، ولعلّ اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار، كفيل بسد الطريق على أية قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين، بحجة أنّ بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل، . . . ومن ثم تستغل هذه الفرصة؛ لكي تتآمر على المسلمين، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات، وفرض الحلّ الذي يحلو لها، ويكون فيه مصلحتها فقط، وليعان المسلمون بعدئذ من آثار ذلك الحلّ أسوأ مما كانوا يُعانون من فتنة النزاع نفسها، فهذه المعاناة لا تهمها في شيء، لا، بل إنّ هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحلّ المشؤوم؛ قلنا: لعل اللجوء إلى التحكيم، على نحو ما سلف بيانه، يسد الطريق في وجه تلك القوى الخارجية التي تبغي في صفوف المسلمين الفساد، هذا وإن الصفة الإلزامية شرعاً للحل عن طريق التحكيم - الذي عرضناه - تستند إلى إجماع الصحابة، فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية رضي الله عنه على اللجوء إلى التحكيم، والقبول به. . . سواء في ذلك الصحابة الذين كانوا مع علي، والصحابة الذين كانوا مع معاوية، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين؛ كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين^(٢).

سادساً: موقف أهل السنة والجماعة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم، هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم؛ لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وإن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مثابون في حالي الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ في اجتهاده، وإن القاتل والمقتول من الصحابة في

(٢، ١) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» (٣/ ١٦٦٥).

الجنة، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة، أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي (١):

١ - قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال؛ لأنهم إخوة وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان، حيث سماهم الله - عز وجل - مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية، فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيماناً حقيقياً ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال؛ لأنه كان عن اجتهاد (٢).

٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» (٣).

والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقد وصف عليه السلام الطائفتين معاً بأنهما مسلمتان وأنها متعلقتان بالحق، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه السلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٢/٧٢٧)، و«تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان» ص (٤١).

(٢) «العواصم من القواصم» ص (١٦٩ - ١٧٠)، و«أحكام القرآن» (٤/١٧١٧).

(٣) «مسلم» (٢/٧٤٥).

إلى الحق، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أن علياً هو المصيب وإن كان معاوية مجتهداً وهو مأجور إن شاء الله، ولكن علي هو الإمام فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»^(١).

٣ - وعن أبي بكره قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب جاء الحسن فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(٢).

ففي هذا الحديث: شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا علياً ومن معه ومعاوية ومن معه، بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام، ولذا كان يقول سفيان ابن عيينة: قوله: «فئتين من المسلمين» يعجبنا جداً. قال البيهقي: وإنما أعجبهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماهم جميعاً مسلمين، وهذا خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان^(٣).

فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها: فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان، وقد وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم من أمته^(٤).

كما وصفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه، كما شهد لهم صلى الله عليه وسلم بأنهم مستمرون على الإيمان، ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

وقد قدمنا أن مدلول الآية يتضمنهم رضي الله عنهم، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل

(١) «البخاري» مع شرحه في «فتح الباري» (٣/٣١٨).

(٢) «البخاري»، كتاب الفتن رقم (٧١٠٩).

(٣) «الاعتقاد» للبيهقي ص (١٩٨)، و«فتح الباري» (١٣/٦٦).

(٤) في «صحيح مسلم» رقم (١٠٦٥) «تكون في أمتي فرقتان».

هم مجتهدون متأولون، وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا. فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، وكتب أهل السنة مملوءة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها^(١):

١ - سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أظهر بها لساني، مثل أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها^(٢). قال البيهقي معلقاً على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب^(٣).

٢ - سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال: قتال شهده أصحاب محمد صلوات الله عليهم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا^(٤).

ومعنى قول الحسن هذا: إن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأياً منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله - عز وجل - إذ كانوا غير متهمين في الدين^(٥).

٣ - سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾^(٦) طه: ٥٢.

قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي

(١) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٧٤٦/٢).

(٢) «الإنصاف» للباقلاني ص (٦٩)، و«الطبقات» (٣٩٤/٥).

(٣) «مناقب الشافعي» ص (١٣٦).

(٤) «الإنصاف» للباقلاني ص (٦٩).

(٥، ٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٣٣٢/١٦).

ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسنى^(١)، وعن إبراهيم بن آرز الفقيه قال: حضر أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ١٣٤.

٤ - وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقده المسلم في أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم، وما ينبغي أن يذكروا به فقال: وألاً يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب^(٢).

٥ - وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم، والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم^(٣).

٦ - قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني رحمه الله: ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب النبي صلوات الله عليهم - ورضي عنهم - من المشاجرة نكف عنه، وترحم على الجميع ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن علياً رضي الله عنه أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يفسقون ولا يبدعون، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨.

وقوله صلوات الله عليهم: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص (١٦٤).

(٢) رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني ص (٢٣).

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص (٢٦٨).

فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده، فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟ ويدل على صحة هذا القول: قوله عَلَيْهِ السَّلَام للحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(١)، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]... إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه^(٢).

٧ - وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون^(٣).

٨ - وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عَلَيْهِ السَّلَام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين والاجتهاد يخطئ، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضاً، وأما المصيب فله أجران^(٤).

٩ - وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً، وأن المصيب يؤجر أجريين^(٥).

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن، التي جرت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد قتل عثمان، والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم^(٦).

(١) «البخاري». كتاب الفتن رقم (٧١٠٩).

(٢) (٣، ٢) «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» ص (٦٧ - ٦٩).

(٤) «الباعث الحثيث» ص (١٨٢). (٥) «فتح الباري» (٣٤/١٣). (٦) «عقيدة أهل السنة» (٧٤٠/٢).

سابعاً: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

١ - الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام: كتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه «الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي»، مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذباً وزوراً ومن هذه الأدلة:

- إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى «الإمامة والسياسة»، ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب «المعارف».

- إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

- إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلف «الإمامة والسياسة»، يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فإنَّ منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب «الإمامة والسياسة» فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه: قاضي الكوفة، توفي سنة ١٤٨هـ والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣هـ أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عاماً.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه، لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض ، فكثيراً ما يجيء فيه :
ذكروا عن بعض المصريين ، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل
مصر ، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب ، وذكروا عن بعض المشيخة ، وحدثنا
بعض المشيخة . ومثل هذه التراكمات بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن
قتيبة ، ولم ترد في كتاب من كتبه .

- إن مؤلف «الإمامة والسياسة» يروي عن اثنين من كبار علماء مصر ، وابن
قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين^(١) .

- ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء فهو عندهم من أهل السنة ، وثقة
في علمه ودينه ، يقول السلفي : كان ابن قتيبة من الثقات ومن أهل السنة ،
ويقول عنه ابن حزم : كان ثقة في دينه وعلمه ، وتبعه في ذلك الخطيب
البغدادي ، ويقول عنه ابن تيمية : إن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق
والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة^(٢) .

ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين ، هل من المعقول أن يكون هو
مؤلف كتاب «الإمامة والسياسة»؟ الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما
ليس فيهم^(٣) .

يقول الدكتور علي نفيح العلياني في كتابه «عقيدة الإمام ابن قتيبة عن كتاب
الإمامة والسياسة» : وبعد قراءتي لكتاب الإمامة والسياسة قراءة فاحصة ترجح
عندي أن مؤلف «الإمامة والسياسة» رافضي خبيث أراد إدماج هذا الكتاب في
كتب ابن قتيبة ؛ نظراً لكثرتها ونظراً لكونه معروفاً عند الناس بانتصاره لأهل
الحديث ، وقد يكون من رافضة المغرب ، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في
المغرب^(٤) ، ومما يرجح أن مؤلف «الإمامة والسياسة» من الروافض ما يلي :

(١) «عقيدة الإمام ابن قتيبة» ، لعلي العلياني ص (٩٠) .

(٢) «لسان الميزان» (٣/٣٥٧) ، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/١٤٤) .

(٣) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/١٤٤) .

(٤) «الفتاوى» لابن تيمية (١٧/٣٩١) .

* إن مؤلف «الإمامة والسياسة» ذكر على لسان علي رضي الله عنه أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره، وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ولا تدفعوا أهله مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به؛ لأننا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم... والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله^(١)، ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

* إن مؤلف «الإمامة والسياسة» قدح في صحابة رسول الله صلوات الله عليهم قدحاً عظيماً، فصور ابن عمر رضي الله عنهما جبناً وسعد بن أبي وقاص حسوداً وذكر محمد ابن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب؛ لأنه قتل مرجباً اليهودي بخبير وإن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان،^(٢) والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة، وإن شاركهم الخوارج إلا أن الخوارج لا يقدحون في عموم الصحابة^(٣).

* إن مؤلف «الإمامة والسياسة» يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب ابن الزبير لكونه دعا إلى آل رسول الله صلوات الله عليهم، ولم يذكر خرافاته وادعائه للوحي^(٤) والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد؛ لكونه انتقم من قتلة الحسين مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان، وبين أنه كان يدعي أن جبريل يأتيه^(٥).

* إن مؤلف «الإمامة والسياسة» كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مائتين صفحة، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق، وسود الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

* يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الاثنا عشرية:

(١) «الإمامة والسياسة» (١٢/١).

(٢) «الإمامة والسياسة» (١/٥٤، ٥٥).

(٣) «عقيدة الإمام ابن قتيبة» ص (٩١) للعلاني.

(٥) «المعارف» ص (٤٠١).

(٤) «الإمامة والسياسة» (٢/٢٠).

ومن مكايدهم - يعني الرافضة - أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعترين عند أهل السنة، فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم، فيعتبر بقوله ويعتد بروايته كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غال. وعبد الله بن قتيبة رافضي غال وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف فصنف ذلك الرافضي كتاباً سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال^(١)، وهذا مما يرجح أن كتاب «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة الرافضي، وليس لابن قتيبة السني الثقة، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء^(٢)، والله أعلم.

٢ - نهج البلاغة:

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل: كتاب «نهج البلاغة»؛ فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتمنه، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند، وقد نسبت الشيعة تأليف «نهج البلاغة» إلى الشريف الرضي، وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند خصوصاً فيما يوافق بدعته، فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم - عند المحدثين - بوضع النهج فهو أخوه علي^(٣)، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

- قال ابن خلكان في ترجمة الشريف المرتضي: وقد اختلف الناس في كتاب «نهج البلاغة» المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه هل جمعه؟ أم جمعه أخوه الرضي؟. وقد قيل: إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه، والله أعلم^(٤).

- وقال الذهبي: من طالع «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين

(٢) «عقيدة الإمام ابن قتيبة» ص (٩٣).

(٤) «الوفيات» (١٢٤/٣).

(١) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» للألوسي ص (٣٢).

(٣) «الأدب الإسلامي»، لنايف معروف ص (٥٣).

علي رضي الله عنه، وفيه السبُّ الصُّراح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن أكثره باطل^(١).

- وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف^(٢).

- وأما ابن حجر، فيتهم الشريف المرتضي بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي... وأكثره باطل^(٣).

واستناداً إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي رضي الله عنه^(٤).

ويمكن تلخيص أهم ما لاحظته القدامى والمحدثون على نهج البلاغة؛ للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

* خلوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزز نسبة الكلام إلى صاحبه، متناً ورواية وسنداً.

* كثرة الخطب وطولها؛ لأن هذه الكثرة وهذا التطويل مما يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين.

- رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير علي رضي الله عنه، وصاحب النهج يثبتها له.

- اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم، وتنافي ما عُرف عنه من توقيره لهم، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ «الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه الشديد على الخلافة، رغم ما شُهر عنه من التقشّف والزهد.

(٢) «منهاج السنة» (٤/٢٤).

(٤) «الأدب الإسلامي»، لتايف معروف ص (٥٣).

(١) «ميزان الاعتدال» (٣/١٢٤).

(٣) «لسان الميزان» (٤/٢٢٣).

- شيوع السجع فيه؛ إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذي عُرف به عصر الإمام عليّ رضي الله عنه، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.

- الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية، التي هي من وشي العصر العباسي وزخرفته، ما نجد في وصف الطاووس، والخفّاش، والنحل، والنمل، والزرع والسحاب وأمثالها.

- الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التي وردت في ثناياه، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري، حين تُرجمت الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقه والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين رضي الله عنهم (١).

إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة، وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة؛ فلا مانع من الاستئناس به وما خالف فلا يلتفت إليه.

٣ - كتاب الأغاني للأصفهاني:

يعتبر كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين في آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك أن يُسكت عما ورد فيه من الشعوبية والفساد، والكذب الفاضح والطعن والمعائب، وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سماه: «السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني» فقد شمر - جزاه الله خيراً - عن ساعد الجسد؛ ليميز الهزل من الجسد، والسّم من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد، وهي تغلي في الصدور، كغلي القدور، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة، وغير موثقة تسيء إلى آل البيت النبوي الشريف، وتجرح

سيرتهم، وتشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات، وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيم، الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل^(١).

ولقد تحدث العلماء فيه قديماً فقالوا:

- قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها^(٢).

- قال ابن الجوزي: . . . ومثله لا يوثق بروايته، يصح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتاب الأغاني، رأى كل قبيح ومنكر^(٣). قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعفه، ويتهمه في نقله، ويستهل ما يأتي به^(٤).

٤ - تاريخ اليعقوبي: ت ٢٩٠ هـ:

هو أحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي، من أهل بغداد مؤرخ شيعي إمامي كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية، حتى لقب بالكاتب العباسي، وقد عرض اليعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلي ابن أبي طالب وأبنائه، حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة ويسمي علي بالوصي، وعندما أُرخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يُضف عليهم لقب الخلافة وإنما قال: تولى الأمر فلان. ثم لم يترك واحداً منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار

(١) «السيف اليماني في نحر الأصفهاني» للأعظمي ص (٩ - ١٤).

(٢) «تاريخ بغداد» (١١/٣٩٨).

(٣) «المنتظم» (٧/٤٠، ٤١).

(٤) «ميزان الاعتدال» (٣/١٢٣).

الصحابة فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخباراً^(١) سيئة وكذلك عن خالد ابن الوليد^(٢)، وعمرو بن العاص^(٣)، ومعاوية بن أبي سفيان^(٤) وعرض خبر السقيفة عرضاً مشيناً^(٥)، ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره، وطريقته في سياق الاتهامات - الباطلة - هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض وهي إما اختلاق الخبر بالكلية^(٦)، أو التزيد في الخبر^(٧)، والإضافة عليه أو عرضه في غير سياقه ومحلّه حتى يتحرف معناه، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم في كتابه «البلدان» باسم الدولة المباركة،^(٨) مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية، وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابه «التاريخ الإسلامي» وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية؛ إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية، كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي^(٩).

٥ - المسعودي: ت: ٣٤٥هـ: كتابه مروج الذهب ومعادن الجواهر:

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه^(١٠) وقيل: إنه كان رجلاً من أهل المغرب^(١١)، ولكن يُرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها،^(١٢) وإن قصد ببلاد المغرب عكس المشرق بمصر من بلاد المغرب الإسلامي

- (١) «تاريخ يعقوبي» (٢/ ١٨٠ - ١٨٣).
 (٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).
 (٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٢ - ٢٣٨).
 (٤) المصدر نفسه (٢/ ١٢٣، ١٢٦).
 (٥) المصدر نفسه (ص ٤٣١).
 (٦) «البلدان» لليعقوبي ص (٤٣٢).
 (٧) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص (٤٣٢).
 (٨) «الفهرست» لابن النديم ص (١٧١)، و«سير أعلام النبلاء».
 (٩) «الفهرست» ص (١١٧).
 (١٠) المصدر نفسه (٢/ ١٣١).
 (١١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص (٤٣١).
 (١٢) «معجم الأدباء» (١٣/ ٩١ - ٩٣).

فلا إشكال^(١)، والمسعودي رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً^(٢)، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا صلوات الله عليه، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار، فقد رأى رأي الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص^(٣)، وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتابه «مروج الذهب» اهتماماً كبيراً أكثر من اهتمامه بحياة الرسول صلوات الله عليه في الكتاب المذكور،^(٤) وركز اهتمامه بالبيت العلوي وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه «مروج الذهب»^(٥)، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين في «الفتنة الكبرى، علي وبنوه»، والعقاد في «عبرياته»، فقد تورطوا في الروايات الموضوعية والضعيفة وقامت تحليلاتهم عليها وبالتالي لم يحالفهم الصواب، ووقعوا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه «الخلفاء الراشدون» حيث نقل نصوصاً من روايات الرافضة من كتاب «الإمامة والسياسة»، وحسن إبراهيم حسن في كتابه «عمرو بن العاص» حيث قرّر من خلال الروايات الرافضية الموضوعية: بأن عمرو ابن العاص رجل مصالح ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى أن فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا^(٦)، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال، فدخلوا في الأنفاق المظلمة؛ بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامناً: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثراً في تحريف التاريخ الإسلامي، الشيعة الرافضة

(١) «منهج المسعودي في كتابة التاريخ» ص (٤٤)، و«أثر التشيع» ص (٢٤٣).

(٢) «لسان الميزان» (٢٢٥/٤)، و«أثر التشيع» ص (٢٤٦).

(٣) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» (٣٨/١).

(٤) «أثر التشيع على الروايات التاريخية» ص (٢٤٨).

(٦) «تاريخ عمرو بن العاص»، لحسن إبراهيم ص (٢٠٦، ٢٠٧).

بمختلف طوائفها وفرقها، فهم من أقدم الفرق ظهوراً ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي، ومنهج فكري - منحرف - وهم أكثر الطوائف كذباً على خصومهم، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة - كما سيأتي معنا - فشب الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدتهم وأركانه خاصة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويسمونهما الجبت والطاغوت^(١)، وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم، وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي، خاصة الأحداث الداخلية، كما كان للشعبوية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية، والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي، وإلى إعلاء طائفة على طائفة أو أهل بلد على آخر، أو جنس على جنس، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل وهو ميزان التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: ١٣.

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصص وانتشارهم، وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة، وانحراف طائفة منهم بتبغى العيش والكسب، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعية، فتلقفها هؤلاء القصص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام، مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم، وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات، فبينوا الزائف من الصحيح، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها، وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها، جهداً كبيراً وموفقاً، ومن أبرز من تصدى لإيضاح المغالطات التاريخية ورد زيوف الروايات المكذوبة: القاضي ابن العربي في كتاب «العواصم من القواصم»، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله، خاصة

(١) «الشيعة والسنة» ص (٣٢) لإحسان إلهي ظهير

كتابه القيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب «سير أعلام النبلاء»، و«تاريخ الإسلام»، و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه «البداية والنهاية»، وأيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«لسان الميزان»، و«تهذيب التهذيب» و«الإصابة في معرفة الصحابة».

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين فهي كثيرة ونذكر منها :
* الاختلاف والكذب.

* الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة فيزيدون فيها وينقصون منها، حتى تشوه وتخرج عن أصلها.

* وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده، والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.

* إبراز المثالب والأخطاء وإخفاء الحقائق والصور المستقيمة.

* صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة؛ لأن الشعر العربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.

* وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة، كما وضعت الرافضة كتاب «الإمامة والسياسة» الذي نحلوه لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري؛ لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به - كما مر معنا.

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب؛ وكتابه من المستشرقين والمُنصِّرين - إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية - فوجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم - بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين - من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها، أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه^أ

التفسير الخاطئ تبعاً للتصور، والاعتقاد الذي يدنون به، ثم شايح هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث، وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين، وكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال؛ وذلك أنهم ادّعوا - كأساتذتهم - اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث، والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية - كالمقارنة بين الروايات، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها، ومدى أمانة الناقلين، وضبطهم لما نقلوا، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه^(١) - فلا أثر له عند القوم، قلما يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية مثل: الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم^(٢)، يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنّا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين، بل لقد أوغل بعضهم في الحرص على الظهور أمام الأغيار، بمظهر المتجرد عن كل أصرة بماضي العروبة والإسلام جرياً وراء المستشرقين في ارتيابهم، حيث تحسن الطمأنينة وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشباه الدلائل عليه^(٣).

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي.

أ- التدخل بالتفسير الخاطئ للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي»، لمحمد صامل ص (٥٠٢).

(٢) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص (٥٠٢).

(٣) المصادر الأولى لتاريخنا، مجلة «الأزهر» سنة ١٣٧٤ هـ.

عصرهم الذي يعيشون هم فيه وحسبما يجول بخواتمهم، دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية حتى تثبت، ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها، فإنه قبل تفسير الحادثة لا بد من ثبوت وقوعها، وليس وجودها في كتاب من الكتب كافياً لثبوتها^(١)؛ لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث في تفسير الواقعة التاريخية، كما ينبغي أن يكون التفسير متمشياً مع منطوق الخبر التاريخي، وموضوع البحث ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة، كما يشترط ألا يكون هذا التفسير متعارضاً مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد - كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة - وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحدث وخاصة العوامل العقائدية والفكرية. ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله، لا يعدو كونه اجتهاداً بشرياً يحتمل الصواب والخطأ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة وعمد إلى تضخيم أدوارها وتصويرها بصورة المصلح المظلوم، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها، فالقرامطة والإسماعيلية، والرافضة الإمامية والفاطمية والزنج وإخوان الصفا، والخوارج كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة، وحرية ومساواة، وثورتهم كانت ثورات للإصلاح لا الظلم والجور، فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعائه بسير قادة الفرق الضالة، أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام فهم من واقع عقيدتهم يكدون له بكل جهد مستطاع، ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ولا يتوقع من مطموس الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال.

ولكن الأمر الذي قد يحدث استغراباً عند البعض أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق، كتآب يحملون أسماء إسلامية ومن أبناء

(١) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص (٥٠٤).

المسلمين ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بني جلدتهم؛ ليصرفوا بها الأغرار^(١) عن الصراط المستقيم، ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات المشبوهة والضعيفة والساقطة يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السم، والحكايات الشعبية والكتب المنحولة والضعيفة فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب، مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها، لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي - خاصة تاريخ الصدر الأول - بالتشويه عن طريق اختيار مواقف مختارة والتركيز عليها؛ كالمعارك والحروب مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة رضي الله عنهم، وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر، وبالتجهيل وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة، وبالتشكيك، وهو توجيه سهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم، والتشكيك في معلوماتهم وصدقهم، وبالتجزئة وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات، وكأنه لا رابط بينه كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه، فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي، ومحو معالمه النيرة وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة، لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم، ومناهجهم وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد، فإذا كان علماؤنا رحمهم الله قد نقدوا كثيراً من الرواة وضعفوا رواياتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الإسرائيلية؛ فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين، بل إسقاطها وعدم اعتبارها، إلا بدليل وبرهان واضح^(٢).

(١) الأغرار: جمع الغر: وهو من ينخدع. ينظر: «الوسيط» مادة (غر).

(٢) «منهج كتابة التاريخ الإسلامي» ص (٥٠٧).

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من الخوارج والشيعة

المبحث الأول

الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بينه أبو الحسن الأشعري أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وبين أن خروجهم على علي رضي الله عنه هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم^(١).

وأما ابن حزم: فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك نفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلدون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك، مما اختلف فيه المسلمون، ومن خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً^(٢).

وأما الشهرستاني: فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت عليه الكلمة على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان كان، حيث قال في تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين رضي الله عنهم أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان^(٣).

(١) «مقالات الإسلاميين» (١ / ٢٠٧).

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢ / ١١٣).

(٣) «الملل والنحل».

وقال ابن حجر معرفاً لهم: والخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقتلوه، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة^(١).

وقال في تعريف آخر: أما الخوارج فهم جمع خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين^(٢).

وأما أبو الحسن الملقب: فيرى أن أول الخوارج المحكمة، الذين ينادون: لا حكم إلا لله ويقولون: علي رضي الله عنه كفر، يجعل الحكم إلى أبي موسى الأشعري ولا حكم إلا لله.

فرقة الخوارج سميت خوارج لخروجهم على علي رضي الله عنه يوم الحكمين، حين كرهوا التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله^(٣).

وأما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة الجور^(٤).

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج، ومن تلك الألقاب: الحرورية^(٥)، والشراة^(٦)، والمارقة، والمحكمة^(٧)، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية^(٨).

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول صلى الله عليه وسلم في قسمة

(١) «هدى الساري في مقدمة فتح الباري» ص (٤٥٩).

(٢) «فتح الباري» (٢/ ٢٨٣).

(٣) «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» ص (٤٧).

(٤) «الخوارج»، لناصر العقل ص (٢٨).

(٥) سموا بهذا الاسم لتزولهم بحروراء في أول أمرهم.

(٦) سموا شراة لقولهم: شربنا أنفسنا في طاعة الله، أي: بعناها بالجنة.

(٧) سموا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.

(٨) «مقالات الإسلاميين» (١/ ٢٠٧).

ذهب، كان قد بعث به علي رضي الله عنه من اليمن في جلد مقروط، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبة في أديم مقرظ^(١)، لم تحصل من ترابها^(٢)، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن حصن، والأقرع ابن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن كلاب، وإما عامر بن الطفل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً»، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة^(٣)، كثر اللحية مخلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، فقال: «ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟»، قال: ثم ولي الرجل، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟، فقال: «لا، لعله أن يكون يصلي»، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس^(٤)، ولا أشق بطونهم»، قال: ثم نظر إليه وهو مقف^(٥)، فقال: «إنه يخرج من ضئضئ^(٦) هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»^(٧).

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ: إنه قال له: اعدل، فقال: «ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل؟»^(٨)، فهذا أول خارجي خرج في الإسلام، وآفته أنه رضي برأي نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتباع هذا الرجل هم الذين

(١) أي: في جلد مدبوغ بالقرظ.

(٢) أي: لم تميز ولم تصف من تراب معدنها.

(٣) أي: مرتفع الجبهة.

(٤) أي: أفش وأكشف، ومعناه: إني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

(٥) مقف: أي مول.

(٦) ضئضئ: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز، وهو أصل الشيء.

(٧) أخرجه «البخاري» (٢/٢٣٢)، و«مسلم» (٢/٧٤٢).

(٨) أخرجه «مسلم» (٢/٧٤٠).

قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ^(١)، ومن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة: أبو محمد بن حزم ^(٢)، وكذا الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» ^(٣)، ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه ظلماً وعدواناً، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى ^(٤)، وقال شارح الطحاوية: فالخوارج والشيعية حدثوا في الفتنة الأولى ^(٥)، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه، وقتلوه اسم الخوارج؛ حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً ^(٦).

الرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج:

وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بسبب التحكيم، فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي وآراؤها الخاصة، أحدثت أثراً فكرياً وعقائدياً واضحاً، بعكس ما سبقها من حالات ^(٧).

ثانياً: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الخوارج المارقة، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل، فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلى ذمهم، ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسمًا؛ إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله

(١) «تليس إبليس» ص (٩٠).

(٢) «الملل والنحل» (١/١١٦).

(٣) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٣/١١٤١).

(٤) «شرح العقيدة الطحاوية» ص (٥٦٣).

(٥) «البداية والنهاية» (٧/٢٠٢).

(٦) «فرق معاصرة» للعواجي (١/٦٧)، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (٢٩٧).

اُذِنَ لِي فِيهِ فَأَضْرَبُ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «دَعَهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ»^(١)، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ»^(٢)، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يَوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ»^(٣)، فَلَا يَوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيئِهِ، - وَهُوَ قَدْحُهُ - فَلَا يَوْجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، وَقَدْ سَبَقَ الْفَرْثُ وَالدَّمُ»^(٤)، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ إِحْدَى عِضْدِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبُضْعَةِ»^(٥) تَدْرُدُ»^(٦) وَيَخْرُجُونَ عَلَيَّ حِينَ فَرَقَةَ مِنَ النَّاسِ»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتَمَسَ فَأَتَيْتُهُ بِهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِ عَلِيُّ نَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي نَعَتَهُ»^(٧).

وَرَوَى الشَّيْخَانُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلْمَةَ وَعَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُمَا أَتَيَا أَبَا سَعِيدٍ الْخَدْرِيَّ فَسَأَلَاهُ عَنِ الْحُرُورِيَّةِ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَلَمْ يَقُلْ: مِنْهَا - قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ فَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ - أَوْ حَنَاجِرَهُمْ - يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ، فَيُنْظَرُ الرَّامِيُّ إِلَى سَهْمِهِ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ فَيَتِمَّارِي فِي الْفَوْقَةِ»^(٨) هَلْ عَلِقْتَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ؟»^(٩) وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ يُسَيْرِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قُلْتُ لِسَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ: هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْخَوَارِجِ شَيْئًا؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ - وَأَهْوَى بِيَدِهِ قَبْلَ الْعِرَاقِ -: «يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ»، فَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الثَّلَاثَةِ ذِمٌّ وَاضِحٌ لِفَرَقَةِ الْخَوَارِجِ،

(١) تَرَاقِيهِمْ: جَمْعُ تَرْقُوعٍ، وَهِيَ الْعِظْمُ بَيْنَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ، وَهِيَ تَرْقُوعَتَانِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

(٢) الرَّمِيَةُ: الصَّيْدُ الَّذِي تَرْمِيهِ فَتَقْضِدُهُ وَيَنْفِذُ فِيهِ سَهْمَكَ، وَقِيلَ: كُلُّ دَابَّةٍ مَرْمِيَةٌ.

(٣) رِصَافُهُ: يُقَالُ: رِصَفَ السَّهْمَ إِذَا شَدَّهُ بِالرِّصَافِ، وَهُوَ عَقَبُ يَلْوِي عَلَى مَدْخَلِ النَّصْلِ فِيهِ.

(٤) يَعْنِي: مَرَّ مَرًّا سَرِيعًا فِي الرَّمِيَةِ لَمْ يَلْتَمِسْ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ.

(٥) الْبُضْعَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ. «الْنَهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (١/١٣٣).

(٦) تَدْرُدُ: أَيُّ: تَرَجَّرَ تَجْرِيًّا وَتَذَهَبُ. «الْنَهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (٢/١١٢).

(٧) «مُسْلِمٌ» (٢/٧٤٣، ٧٤٤).

(٨) الْفَوْقَةُ: هِيَ الْحَجَرُ الَّذِي يَجْعَلُ فِيهِ الْوَتْرَ.

(٩) «مُسْلِمٌ» (٢/٧٤٣، ٧٤٤).

فقد وصفهم عليه السلام أنهم طائفة مارقة، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعاً لم يتمسكوا منه بشيء، كما اشتمل الحديث الأول في هذه الأحاديث الثلاثة أنهم يقاتلون أهل الحق، وأن أهل الحق يقتلونهم، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به عليه السلام وفي قوله عليه السلام: «لا يجاوز تراقيهم» احتمالات:

١- يحتمل أنه لكون لا تفقه قلوبهم، ويحملونه على غير المراد به.

٢- يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله^(١).

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول عليه السلام أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم، فقد روى البخاري رحمه الله من حديث علي رضي الله عنه أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله عليه السلام حديثاً، فوالله لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان^(٢) أحداث الأسنان^(٣)، سفهاء الأحلام^(٤)، يقولون من خير قول البرية^(٥) لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية^(٦)».

وفي هذين الحديثين ذم للخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق، فقد دل الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب^(٧)، وأما هذا الحديث

(١) «فتح الباري» (٦/٦١٨)، وما قاله القاضي عياض في «شرح النووي» (٧/١٥٩).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعاً: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكاً، وكانت قصة الخوارج وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين للهجرة، «فتح الباري» (١٢/٢٨٧).

(٣) صفار السنن، «شرح النووي» (٧/١٦٩).

(٤) ضعفاء العقول، «فتح الباري» (٦/٦١٩).

(٥) أي من القرآن كما في حديث أبي سعيد المتقدم يقرؤون القرآن.

(٧) «فتح الباري» (٢/٢٨١).

(٦) «البخاري» (٢/٢٨١).

الذي هو حديث زيد بن وهب الجهني عن علي رضي الله عنه فقد أطلق الإيمان فيه على الصلاة، وكلا الحديثين دلا على أن إيمانهم محصور في نطقهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم، ولا تراقيهم، وهذا من أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به^(١).

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها صلى الله عليه وسلم أنهم يرقون من الدين لا يوفقون للعودة إليه، وأنهم شر الخلق والخلقة فقد روى مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن بعدي من أمتي أو سيكون بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقيمهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخلقة»^(٢)، وروي من حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالف قال: «هم شر الخلق أو من شر الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق».

ومن الصفات التي ذمَّ بها الخوارج على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من أبغض الخلق إلى الله، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل^(٣)، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف ناساً- إنني لأعرف صفتهم في هؤلاء-: «يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه طبي شاه^(٤)، أو حلمة ثدي»، فلما قتلهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال: انظروا فظنوا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كُذبت مرتين أو ثلاثاً، ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيدالله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم^(٥).

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذمّاً لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣ / ١١٨٣). (٢) «مسلم» (٢ / ٧٥٠).
 (٣) معناه: أن الكلمة أصلها صدق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه،
 «شرح النووي» (٧ / ١٧٣، ١٧٤).
 (٤) المراد ضرب الشاة.
 (٥) «مسلم» (٢ / ٧٤٩).

حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه^(١)، فقد روى مسلم في صحيحة من حديث أسير بن عمرو عن سهيل بن حنيف عن النبي ﷺ قال: «يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم»^(٢)، قال النووي: قوله ﷺ: «يتيه قوم قبل المشرق»، أي: يذهبون عن الصواب، وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق، والله أعلم^(٣).

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها وأخبر النبي ﷺ أنها واقعة فيهم أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عبدة الأوثان والصلبان^(٤)، فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي بن أبي طالب وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر... فجاء رجل كثر اللحية مشرف الوجنتين^(٥)، نأتى الجبين^(٦)، محلوق الرأس، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: «فمن يطع الله إن عصيته، يأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني»، قال: ثم أدبر الرجل، فاستأذن رجل من القوم في قتله يرون أنه خالد ابن الوليد، فقال رسول الله ﷺ: «إن من ضئضىء هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٧).

وفي هذا معجزة باهرة للرسول ﷺ حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى^(٨)، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

(١) «هقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣ / ١١٨٤).

(٢) «مسلم» (٢ / ٧٥٠). (٣) شرح النووي (٧ / ١٧٥).

(٤) «هقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣ / ١١٨٤).

(٥) مشرف الوجنتين: أي غليظهما، والوجنة: ما ارتفع من لحم خده.

(٦) نأتى الجبين: أي بارز الجبين من التتوء وهو الارتفاع.

(٧) «البخاري» (٢ / ٢٣٢)، و«مسلم» (٢ / ٧٤١، ٧٤٢).

(٨) «هقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (٣ / ١١٨٥).

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذمًا وعارًا مشينًا للخوارج: أن الرسول صلوات الله عليه حرض على قتلهم إن هم ظهروا، وأخبر صلوات الله عليه أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود، وأخبر صلوات الله عليه بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة، وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمقاتلتهم وقتلهم؛ إذ إن ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه وأرضاه، على وفق ما وصفهم به رسول الله صلوات الله عليه من العلامات الموجودة فيهم، فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان هياً للخروج إلى الشام، فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينج منهم إلا دون العشرة، كما سيأتي بيانه، ولم يقاتلهم رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين؛ فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، ولما أظهوره من الشر من أعمالهم وأقوالهم، وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره، إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة فلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة^(١)، وسيأتي الحديث في الصفات القادمة بإذن الله تعالى عن بداية انحيازهم إلى حروراء، ومناظرة ابن عباس لهم، وحرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على تبصيرهم وهدايتهم، وعن أسباب معركة النهروان والنتائج التي ترتبت عليها وعن أحوال الخوارج ومناقشة تلك الأصول، وهل الفكر الخارجي لا زالت أفكاره موجودة بين الناس؟ وما أسباب ذلك؟ وكيفية معالجتها؟.

ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس رضي الله عنهما لهم:

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة، قدر عددها في رواية ببضعة عشر ألفاً، وحدد في رواية باثني عشر ألفاً^(٢)، وفي رواية بثمانية آلاف^(٣)، وفي رواية بأنهم أربعة عشر ألفاً^(٤)، كما ذكر أنهم عشرون ألفاً^(٥)، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفاً، قد جاءت

(١) «عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (١١١٨/٣).

(٢) «تاريخ بغداد» (١/١٦٠).

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٢٨٠، ٢٨١) إسناده صحيح، و«مجمع الروائد» (٦/٢٣٥).

(٤) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/١٥٧-١٦٠) بسند حسن.

(٥) «تاريخ خليفة» ص (١٩٢).

بدون إسناد^(١)، وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل ، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علي رضي الله عنه وهالهم ، وسار علي بن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة ، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصاً بعدما بلغه تنظيم جماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال ، وأن البيعة لله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مما يعني انفصالهم فعلياً عن جماعة المسلمين ، وكان أمير المؤمنين علي حريصاً على إرجاعهم بجماعة المسلمين ، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم ، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة ، فيقول : . . . فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن ، وترجلت ، ودخلت عليهم في دار نصف النهار ، وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً ، فقالوا : مرحباً بك يا بن عباس ، ما هذه الحلة ؟ قال : ما تعيبون عليّ ؟ لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل ، ونزلت : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف : ٣٢] قالوا : فما جاء بك ؟ قال : قد أتيتكم من عند صحابة النبي من المهاجرين والأنصار ، من عند ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وعليهم نزل القرآن ، فهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون ، وأبلغهم ما تقولون فانتحى لي نفر منهم ، قلت : هاتوا ما نعمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه ، قالوا : ثلاث ، قلت : ما هن ؟ قالوا : أما إحداهن : فإنه حكم الرجال في أمر الله ، وقال الله : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٦٧] ، ما شأن الرجال والحكم ؟ قلت : هذه واحدة ، وأما الثانية : فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فإن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم ، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم ، قلت : هذه اثنتان فما الثالثة ؟ قالوا : محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ، قلت : هل عندكم شيء غير هذا ؟ قالوا : حسبنا هذا ، قلت لهم : رأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترجعون ؟ قالوا : نعم ، قلت : أما قولكم : حكم الرجال في أمر الله ، فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن

(١) الخلافة علي بن أبي طالب ، لعبد الحميد ص (٣٠٣) .

قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه، أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥] وكان من حكم الرجال، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل، وفي المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة، خرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب، ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلت: ليست بأما فقد كفرتم ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضاللتين فأتوا منها بمخرج، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، وأما محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما تضرون، إن نبي الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعلي: «اكتب يا علي، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، ثم قال: «امح يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله»، والله لرسول الله صلى الله عليه وآله خير من علي، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم، فقاتلوا على ضاللتهم، وقتلهم المهاجرون والأنصار^(١)، ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

١- حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم: فقد اختار أمير المؤمنين علي بن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقراء ويعتمدون في الاستدلال على معتقدتهم بالقرآن،

(١) «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» للنسائي، تحقيق: أحمد البلوشي ص (٢٠٠) إسناده حسن.

لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله، ويمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنهما هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلي بالحلم والصبر، والترث والترفق بالخصم، وحسن الاستماع لكلم الخصوم، وتجنب المماراة ووضوح الحججة وقوة الدليل.

٢- الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق: فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يرد قولكم أترضون؟ ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستوثق منهم قبل بداية المناظرة.

٣- معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها: والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، وتوقع أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

٤- تنفيذ مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى: حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم كلما فرغ من تنفيذ حجة قال: أخرجت من هذه؟.

٥- التقديم للمناظرة بما يخدم نيتها لصالح الحق: فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال في بداية الأمر وقبل المناظرة: أتيتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد^(١).

٦- إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة: ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج^(٢).

(١) «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي ص (١٩٧) إسناده حسن.

(٢) «منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله» ص (٣٣٩).

٧- وقد وفق الله عز وجل الآلاف من هؤلاء: إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف - كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى - وذلك عندما عرفوا الحق، وزالت عنهم الشبهة بفضل الله، ثم بفضل ما أوتيه ابن عباس رضي الله عنه من علم وقوة وحجة وبيان؛ إذ وضع لهم بطلان ما احتجوا به، بتفسير الآيات التي تأولوها التفسير الصحيح، وبالسنة النبوية المشرفة والتي توضح معاني القرآن الكريم^(١).

٨- قول ابن عباس: وليس فيكم منهم أحد^(٢): هذا نص صريح من ابن عباس رضي الله عنه في كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب الرسول صلوات الله عليهم، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج، والرواية صحيحة وثابتة، كما أنه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة - على حد علمي - قال: بأن الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم، وأما الزعم بأن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة، فذلك عند المذهب الخارجي، وليس لهم دليل علمي موثوق على قولهم.

٩- تحديد المرجعية: في قول ابن عباس: أرأيتمكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه صلوات الله عليهم ما يرد قولكم أترجعوه؟ قالوا: نعم.

ففي كلام ابن عباس هذا درس مهم، ألا وهو تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

رابعاً: خروج أمير المؤمنين لمناظرة بقية الخوارج وسياسته في التعامل

معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد:

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم له، خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بنفسه إليهم فكلّمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً، بسبب أن الخوارج فهموا من علي رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته - حسب زعمهم - وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٠٧).

(٢) «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» للنسائي ص (٢٠٠) إسناده حسن، تحقيق: البلوشي.

بن القيس الكندي إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، فخطب عليّ رضي الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه، ذكرهم مبايئتهم الناس، وأمرهم الذي فارقه فيه^(١)، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا الله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا الله، ثم قاموا نواحي المسجد يحكمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم لا حكم إلا الله، كلمة حق يبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم^(٢)، وأخذ يسكتهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم واضعاً إصبعيه في أذنيه ويقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فرد أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وأعلن أمير المؤمنين عليّ سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثاً:

١- لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد.

٢- ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفياء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

٣- ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا^(٣).

فقد سلم أمير المؤمنين رضي الله عنه على هذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا على جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدي إلى الفرقة وحمل السلاح^(٤)، ولم يزوج أمير المؤمنين بالخوارج بالسجون أو يسلط عليهم الجواسيس، ولم يحجر على حرياتهم، ولكنه رضي الله عنه

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣١٣، ٣١٢/١٥)، صححه الألباني في إرواء الغليل (١١٨، ١١٩).

(٢) «مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري» ص (٤٥٢).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٨، ٣٢٧/١٥)، والشافعي في «الأم» (١٣٦/٤)، و«تاريخ الطبري» (٦٨٨/٥).

بسند ضعيف للانقطاع إلا أن للسند شواهد وقد توبع، قاله الألباني في «إرواء الغليل» (١١٨، ١١٧/٨).

(٤) «الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية»، لحامد عبد الماجد ص (٤٧).

حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بأرائهم ومظهرهم، فقد أمر مؤذنه بأن يدخل عليه القراء، ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن فامتلات الدار من قراء الناس، فدعا بمصحف إمام عظيم، فطفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما روينا منه فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]، فامة محمد أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا عليّ أن كاتب معاوية، كتبت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلّى الله عليه وآله بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله صلّى الله عليه وآله: «بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: «كيف تكتب؟» قال: أكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «اكتب»، فكتب. فقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (١) [الأحزاب: ٢١].

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين رضي الله عنه عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكمًا، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى عليّ عليهم ذلك وبين لهم أن هذا يعد غدراً ونقضاً للإيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهدًا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين عليّ وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبةً بليغة زهدهم في الدنيا

(١) «مسند أحمد» (٦٥٦/٢)، قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

ورغبتهم في الآخرة والجنة وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قال: فآخروا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكبين لهذه الأحكام الجائرة، ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زيتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فإنه لا بد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحقون بها، وترجعون إليها؛ فبعثوا إلى زيد بن حُصن الطائي - وكان من رؤوسهم - فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبةً في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت^(١)، واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائي السنسبي، فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والآية التي بعدها ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٤ - ٤٧] ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا في القول والأعمال، وأن جهادهم حق على المؤمنين، فبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتهم وأطيع الله كما أردتم؛ أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأبى شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته^(٢).

(٢) «البداية والنهاية» (٧/٣١٢).

(١) «البداية والنهاية» (٧/٣١٢)، و«تاريخ الطبري» (٥/٦٨٩).

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿الكهف: ١٠٣، ١٠٤﴾.

والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدر علىها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوحى، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يفتن بكم، فكتبوا كتابًا عامًا إلى من هو على مذهبهم ومسلكتهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا؛ لئلا يعلم أحد بهم فيمنعونهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظام والخطيئات، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السموات، الذي نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات، وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخرس إلى يوم القيامة،

وذهب الباقر إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة^(١).

ولما تفرق الحكمان على غير رضا، كتب أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان أن الحكمين تفرقا على غير رضا، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك، وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتوب، فأبى^(٢)، وفي رواية: كتبوا إليه أما بعد: فإنك لم تغضب لربك، إنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة؛ نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين، فلما قرأ كتابهم أيس منهم، فرأى أن يدعهم ويمض بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم^(٣).

إن قضية إعلان الخوارج كفر عليّ وطلبهم منه التوبة، لا تثبت بهذه الروايات ولكنها تتفق مع رأي الخوارج في تكفير عليّ وعثمان رضي الله عنهما وامتحان الناس بذلك^(٤).

خامساً: معركة النهروان ٣٨هـ:

١ - سبب المعركة:

كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه على الخوارج ألا يسفكوا دمًا، ولا يروعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلاً، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب؛ ونظراً لأن الخوارج يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم،

(١) «البدية والنهاية» (٧/٣١٢، ٣١٣).

(٢) «أنساب الأشراف» (٢/٦٣) بسند فيه ضعف وله شواهد.

(٣) (٤، ٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣١٨، ٣١٩).

فكتمته خشية أن يقتلونني فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعوراً يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفوه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال: «القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول»، فأخذوه وسرية له معهم، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحلتته؟ فقال عبدالله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا، ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه.

يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك ماء اندفر بالماء حتى توارى عنهم^(١)، ثم دعوا بالسرية وهي حبل، فبقروا عما في بطنها، يقول الراوي: لم أصحب قومًا هم أبغض إليّ صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلقت^(٢)، أثار هذا العمل الرعب بين الناس، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة، وذبحهم عبد الله كما تذبح الشاة ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلاً، حتى أن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا علياً^(٣).

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يسلموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة^(٤)، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل

(١) أي لم يختلط بالماء، «تاريخ بغداد» (١/٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣١٠/١٥، ٣١١) بسند صحيح.

(٣) «مجمع الزوائد» (٦/٢٣٧، ٢٣٨) إسناده صحيح.

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٣٠٨، ٣٠٩) بسند صحيح.

الشام في شهر محرم من عام ٣٨هـ^(١)، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان^(٢).

٢- تحريض أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جيشه على القتال:

كان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بالمروق من الدين، لذلك أخذ يحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم، ويحرضهم على قتالهم وكان لأحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلا صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلا صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يرقون من الإسلام كما يبرق السهم من الرمية».

ولو يعلم أصحاب الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم صلّى الله عليه وآله لم يتكلموا عن العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم؟ والله إني لأرجو أن يكون هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله^(٣).

وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين وهؤلاء المارقون^(٤).

وعسكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر بجيشه ألاّ

(١) «أنساب الأشراف» (٦٣/٢) بسند فيه مجهول، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٢٢).

(٢) «تاريخ بغداد» (١/٢٠٥، ٢٠٦). (٣) «مسلم» (٧٤٨/٢، ٧٤٩).

(٤) «السنن لابن أبي عاصم»، تحقيق الألباني، وقال المحقق: حديث صحيح، وإسناده ضعيف، وللحديث شواهد

و«خلافة علي» ص (٣٢٣).

يبدؤوا بالقتال حتى يجتاز الخوارج النهر غرباً، وأرسل علي رضي الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب رضي الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا^(١)، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر^(٢)، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عناداً واستكباراً العودة إلى الحق وأصرروا على القتال، قام أمير المؤمنين رضي الله عنه بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال^(٣)، فجعل على يمينه حجر بن علي، وعلى اليسرة شيب بن ربعي، ومقلع بن قيسي الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة وكانوا في سبعمائة قيس بن سعد بن عبادة، وأمر عليّ أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن، إنه لا حجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبق منهم خلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فرجعوا على علي رضي الله عنه وكان على يمينتهم زيد بن حصن الطائي السنسي وعلى اليسرة شريح بن أبي أوفى، وعلى خيالتهم حمزة ابن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، فوقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه^(٤).

٣- نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى علي، وقدم علي رضي الله عنه بين يديه الخيل، وقدم منهم الرماة وصف الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى

(٥) «السنن الكبرى» للبيهقي (١٩٧/٨)، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (٣٢٤).

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٧، ٣٢٥/١٥).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٢٤).

(٤) «تاريخ الخلافة الراشدة»، لمحمد كنعان ص (٤٢٥) مختصر من «البداية والنهاية».

الميمنة ، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرمح والسيوف ، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول ، وقتل أمراؤهم : عبد الله بن وهب ، وحرقوق بن زهير ، وشريح بن أبي أوفى ، وعبد الله بن سخيرة السلمى^(١) ، وقال أبو أيوب : وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح ، فأنفذته من ظهره وقتلت له : أبشريا عدو الله بالنار ، فقال : ستعلم أينا أولى بها صلياً^(٢) ، وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبي ، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن في اليقين ، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب عليّ رضي الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه ، فقال الخارجي : حبذا الروحة إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب : ما أدري إلى الجنة أم إلى النار^(٣) ، فقال رجل من بني ساعد وهو فروة بن نوفل الأشجعي : إنما حضرت اغتراراً بهذا وأراه قد شك ، فانزل بجماعة من أصحابه ، ومال ألف إلى أبي أيوب الأنصاري ، وجعل الناس يتسللون^(٤) ، وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٣٨/٢/٩هـ^(٥) ، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج ، وكان الحال على عكس ذلك تماماً في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، فقتلى أصحاب علي رضي الله عنه فيما رواه مسلم في صحيحه ، وعن زيد بن وهب : رجلاً فقط^(٦) ، وفي رواية بسند حسن قال : وقتل من أصحاب علي اثنا عشر أو ثلاثة عشر^(٧) ، وجاء في رواية صحيحة أن أبا مجلز^(٨) قال : ولم يقتل من المسلمين - يقصد جيش علي - إلا تسعة رهط ، فإن شئت فاذهب إلى

(١-٢) «تاريخ الخلافة الراشدة» ، لمحمد كنعان ص (٤٢٥) مختصر من «البداية والنهاية» .

(٣) «أخبار الخوارج من الكامل» للمبرد ص (٢١) ، و«خلافة علي» ص (٣٢٥) .

(٤) المصدر نفسه ص (٢١) ، و«خلافة علي بن أبي طالب» لعبد الحميد ص (٣٢٥) .

(٥) «أنساب الأشراف» (٦٣/٢) بسند فيه مجهول . (٦) «مسلم» (٧٤٨/٢) .

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣١١/٥) ، و«تاريخ خليفة» ص (١٩٧) بسند حسن .

(٨) لاحق بن حميد السدوسي البصري ثقة من كتاب الثالثة .

أبي برزة^(١)، فاسأله فإنه قد شهد ذلك^(٢)، وأما قتلى الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعاً^(٣)، ويذكر المسعودي أن عدداً يسيراً لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة^(٤).

٤ - ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه:

ظهرت روايات مختلفة في تحديد شخصية ذي الثدية، وهذه الروايات منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذي الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة^(٥).

وفي رواية: حبشي وأنه مخدج اليد، أي ناقص اليد، ويده صغيرة مجتمعة، فهي من المنكب إلى العضد فقط، أي بدون ذراع، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ أنها «تدردر» أي تتحرك تذهب وتجيء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد^(٦)، وأما اسمه فقد أخطأ من قال: إن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدي^(٧)، فحرقوص رجل مشهور كان له دور في الفتوحات الإسلامية، ثم خرج على عثمان رضي الله عنه، وقد فر إثر معركة «الجمل الصغرى» التي قتل فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهما قتلة عثمان بالبصرة وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين^(٨)، إلا أنه قد ورد في رواية أن اسمه «حرقوس» أما أبوه فلا يعرفه أحد، وجاء في رواية أن اسمه مالك، وذلك أنهم عندما وجدوه قال علي رضي الله عنه: الله أكبر، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل

(١) نهلة بن عبيد الأسلمي صحابي مشهور بكنيته، مات سنة ٦٥ هـ.

(٢) «المعرفة والتاريخ» (٣/٣١٥)، و«تاريخ بغداد» (١/١٨٢).

(٣) «أخبار الخوارج من الكامل» ص (٣٣٨).

(٤) «خلافة علي بن أبي طالب» ص (٣٢٩)، و«تاريخ خليفة» ص (١٩٧).

(٥) «مصنف عبد الرزاق» (١/١٤٦).

(٦) «النهاية في غريب الحديث» (١/١٢، ١٣)، و«فتح الباري» (١٢/٢٩٤، ٢٩٥).

(٧) «الملل والنحل» (١/١١٥).

(٨) «فتح الباري» (١٢/٢٩٢)، و«الإصابة» (١/١٣٩).

الناس يقولون: هذا مالك هذا مالك، فقال علي: ابن من؟^(١) فلم يعرف أحد أباه، وقد ورد في رواية صححها الطبري أن اسمه نافعًا ذا الثدية، كما قد جاء عند ابن أبي شيبة وأبي داود، إلا أن طريقيهما واحد، فبعدهما جاء في المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد^(٢).

كان علي رضي الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، وكثيراً ما كان يتعرض إلى ذكر ذي الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر علي رضي الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج؛ لأن وجودها من الأدلة على أن علياً رضي الله عنه على حق وصواب، وبعد مدة من البحث مرت علي علي وأصحابه، وجد أمير المؤمنين علي جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعاً مما يلي الأرض فكبر علي، ثم قال: صدق الله، وبلغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا^(٣).

١ - معاملة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج:

عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين فما إن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده بالألا يتبع مدبراً، أو يذفف على جريح، أو يمثل بقتيل، يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل -أحد فقهاء التابعين ومن شهد مع علي حرورية-: لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهروان^(٤)، وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئاً، فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها، وهذه الرواية لها طرق عدة^(٥)، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من

(١) «الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد» (٢٣ / ١٥٥) بإسناد حسن، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب» لعبد الحميد ص (٣٣٤).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/ ٣١٧-٣١٩) بسند صحيح.

(٤) «السنن الكبرى» للبيهقي (٨/ ١٨٢) بسند صحيح.

(٥) «التلخيص الحبير» (٤/ ٤٧).

السلاح والكرع فقط ، وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج؛ إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة وقد رجع كثير منهم ، ووعظهم وخوفهم القتال ، يقول ابن قدامة : وإنما كان كذلك ؛ لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم ، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال ؛ لما فيه من الضرر بالفريقين ، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين ، كما قال بذلك كثير من العلماء^(١) ، وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يسميهم الفاسقين ، فعن مصعب بن سعد قال سألت أبي عن هذه الآية : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤] أهم الحرورية؟ قال : لا ، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا بمحمد صلوات الله عليه ، وأما النصارى فكفروا بالجنة ، وقالوا : ليس فيها طعام ولا شراب ، ولكن الحرورية . . . ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧] وكان سعد يسميهم الفاسقين^(٢) ، وفي رواية عن سعد رضي الله عنه أنه قال لما سئل عنهم : هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم^(٣) .

وقد سئل علي رضي الله عنه : أكفار هم؟ قال : من الكفر فروا ، فقيل : منافقون؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً ، قيل : فما هم؟ قال : قوم بغوا علينا فقاتلناهم ، وفي رواية : قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم ، وفي رواية : قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا^(٤) ، كما أنه رضي الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال : إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالا^(٥) ، والملاحظ في قتال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج

(١) «فتح الباري» (١٢/٣٠٠، ٣٠١)، و«نيل الأوطار» (١٨٢/٨).

(٢) «صحيح البخاري»، و«فتح الباري» (٤٢٥/٨).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٣٢٤، ٣٢٥)، و«الاعتصام» للشاطبي (٦٢/١).

(٤) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/١٥٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٣٣٢) بسند صحيح .

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥/٣٢٠)، و«فتح الباري» (١٢/٣٠١) له سند صحيح عند الطبري .

وقتاله في الجمل وصفين، أن علياً رضي الله عنه ندم وحزن على قتاله في وقعة الجمل وصفين، أما في قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر^(١).

سادساً: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

تمكن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بغزير علمه وسعة فقهه أن يضع قواعداً وأحكاماً، وهي ضوابط شرعية في قتال أهل البغي، ثم سار أهل السنة من أئمة العلم والفقهاء على سيرته في البغاة، واستنبطوا من هديه الراشدي الأحكام والقواعد الفقهية في هذه الشأن، حتى قال جلة أهل العلم: لولا حرب علي لمن خالفه لما عرفت السنة في قتال أهل القبلة^(٢)، وروي هذا عن علي نفسه في قوله: أرأيتم لو أني غبت عن الناس، من كان يسير فيهم هذه السيرة^(٣)؟ وقال الأحنف لعلي رضي الله عنه: يا علي إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً، أنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم، فقال: ما مثلي يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر؟ وبناء على ذلك فإن قتال أهل القبلة يخالف قتال الكفار والمرتدين من أوجه متعددة:

- ١ - أن يقصد بالقتال ردعهم ولا يتعمد به قتلهم؛ لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم لا القتل، بينما يجوز أن يتعمد قتل المشركين والمرتدين^(٤).
- ٢ - إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان؛ فحكمهم جميعاً حكم الرجل البالغ الحر، يُقاتلون مقبلين ويتركون مدبرين؛ لأن قتالهم لدفع أذاهم بينما يجوز قتل أهل الردة والكفر مقبلين ومدبرين^(٥).

(١) «مجموع الفتاوى» (٥١٦/٢٨).

(٢) «المهيد» للباقلاني ص (٢٢٩)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/٢٩٥).

(٣) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/١٢٤).

(٤) «المغني» (٨/١٠٨-١٢٦).

(٥) «المغني» (٨/١١٠) «الأحكام السلطانية» ص (٦٠).

٣ - إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة، وإما بإلقاء السلاح، وإما بالهزيمة، وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم وإن جاز الإجهاز على جرحى المشركين والمرتدين وقتل أسراهم، فقد روى ابن أبي شيبَةَ في مصنفه عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرين، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن^(١)، وفي رواية عبد الرزاق: إن علياً أمر مناديه فنأدى يوم البصرة، لا يتبع مدبر، ولا يذفف على جريح، ولا يقتل أسير، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو آمن، ولم يأخذ من متاعهم شيئاً^(٢)، وقال علي يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير بها، هو وعقبه ومن بعده^(٣)، وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح، ولا يقتلون مولياً، ولا يسلبون قتيلاً^(٤).

٤ - يعتبر أحوال من في الأسر من البغاة، فمن أمنت رجعت إلى القتال أطلق سراحه، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحرب ثم يطلق، ولم يجب أن يحبس بعدها، وإن جاز أن يبقى الكافر في الأسر^(٥).

٥ - ألا يستعان لقتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي، وإن جاز أن يستعان بهم على قتال أهل الردة والحرب^(٦).

٦ - ألا يداهنهم إلى مدة ولا يوادعهم على مال، فإن داهنهم إلى مدة لم يلزمه، فإن ضعف عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم، وإن وادعهم على مال بطلت

(١) «مصنف ابن أبي شيبَةَ» (٢٣٦/١٥)، و«الفتح» (٥٧/١٣) إسناده صحيح .

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/١٢٣، ١٢٤)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/٢٩٦) .

(٣) «نصب الراية» (٣/٤٦٣)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/٢٩٧) .

(٤) «المستدرک» (٢/١٥٥) سنده صحيح ووافقه الذهبي .

(٥) «الأحكام السلطانية» ص (٦٠) .

(٦) المصدر نفسه ص (٦٠)، و«تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (٢/٢٩٨) .

الموادعة ونظر في المال؛ فإن كان من فيئهم وصدقاتهم لم يرده عليهم، وصرف الصدقات في أهلها والفيء في مستحقه، وإن كان من خالص أموالهم لم يجز أن يملكه، ووجب رده إليهم^(١)، فإن علياً رضي الله عنه لم يستحل مال أهل الجمل.

٧ - إذا خرجوا على الإمام بتأويل سائغ راسلهم، فإن ذكروا مظلمة أزالها عنهم، وإن ذكروا شبهة بينها - كما بين علي رضي الله عنه للخوارج شبههم، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة^(٢) - فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين^(٣).

٨ - إن لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها، وكانوا أفراداً تنالهم القدرة ويسهل ضبطهم تركوا ولم يحاربوا، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليهم، ولهم من الحقوق والحدود^(٤).

٩ - لا يقاتل البغاة بما يعم إتلافه كالنار والمنجنيق وغير ذلك، ولا تحرق عليهم المساكن ولا يقطع عليهم النخل والأشجار، وإن جاز ذلك مع الكفار والمشركين؛ لأن دار الإسلام تمنع ما فيها وإن بقي أهلها، إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة في حالة ما إذا تحصنوا ولم ينهزموا؛ لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجنيق أو النار على قول الشافعي وأبي حنيفة^(٥).

١٠ - لا يجوز غنيمة أموالهم وسبي ذراريهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»^(٦)، وروي عن علي رضي الله عنه يوم الجمل قوله: من عرف شيئاً من ماله مع أحد فليأخذه^(٧).

وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه، فقالوا: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فإن حلت له دماؤهم فقد حلت له أموالهم، وإن حرمت عليه أموالهم فقد

(٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (١٨٠/٨).

(٤) «الأحكام السلطانية» ص (٥٨) للماوردي.

(١) «الأحكام السلطانية» ص (٦٠) للماوردي.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤٥٠/٤).

(٥) «المغني» لابن قدامة (١١٠/٨).

(٦) «سنن الدارقطني» (٢٦/٣) صححه الألباني في «إرواء الغليل» رقم (١٤٥٩).

(٧) «المغني» (١١٥/٨).

حرمت عليه دماؤهم، فقال لهم ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم: أفتَسُبُون أمكم؟ - يعني عائشة - أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فإن قلت: ليست أمكم كفرتم، وإن قلت: إنها أمكم واستحللتم سيها فقد كفرتم^(١)، ويعقب ابن قدامة قائلاً: ولأن قتال البغاة إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لكفرهم، فلا يستباح منهم إلا ما حصل لضرورة الدفع كالأصائل وقاطع الطريق، وبقي حكم المال والذرية على أصل العصمة^(٢)، والظاهر من المأثور عن علي رضي الله عنه جواز الانتفاع بسلاحهم.

فقد روى ابن أبي شيبة عن أبي البخترى قال: لما انهزم أهل الجمل قال علي رضي الله عنه: لا تطلبوا من كان خارجاً من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم^(٣).

وفي رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم^(٤).

١١ - من قتل من البغاة غسل وكفن وصلي عليه لأنهم مسلمون، على مذهب الشافعي وأصحاب الرأي^(٥).

١٢ - إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين، وقاتل الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم في التأويل، وهم كالمجتهدين من الفقهاء في الأحكام، ومن شهد منهم قبلت شهادته إذا كان عدلاً، وهذا قول الشافعي، وأما الخوارج وأهل البدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم؛ لأنهم فساق^(٦).

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٨ / ١٧٩)، و«خصائص أمير المؤمنين» للنسائي ص (١٩٧) إسناده حسن .

(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢ / ٣٠٠).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٥ / ٢٦٣).

(٤) «تاريخ الطبري»، نقلاً عن «تحقيق مواقف الصحابة» (٢ / ٣٠٠).

(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢ / ٣٠١).

(٦) «المغني» (٨ / ١١٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢ / ٣٠١).

١٣ - يجوز للعادل قتل ذي رحمه الباغي؛ لأنه قتله بحق، فأشبهه إقامة الحد عليه مع كراهية قصد ذلك^(١).

١٤ - إذا غلب أهل البغي بلدًا فجبوا الخراج والزكاة والجزية وأقاموا الحدود، لم يطالبوا بشيء مما جبوه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم، فعندما ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشيء مما جبوه^(٢).

١٥ - حكم وراثه الباغي من العادل: لا يرث باغي قتل عدلاً، ولا عادل قتل باغيًا لقوله عليه السلام: «القاتل لا يرث»^(٣)، وقال أبو حنيفة: أورث العادل من الباغي ولا أورث الباغي من العادل، وقال أبو يوسف: أورث كل منهما من صاحبه لأنه متأول في قتله^(٤)، وبهذا قال النووي^(٥).

١٦ - إذا لم يكن دفع أهل البغي إلا بقتلهم، جاز قتلهم ولا شيء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفارة؛ لأنه فعل ما أمر به وقتل من أجل الله ﴿فَقَاتِلُوا النَّبِيَّ تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الحجرات: ٩، فإن المسلم إذا أريدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغي حال الحرب من المال، فلا ضمان فيه^(٦)، وليس على أهل البغي بالمقابل ضمان ما أتلفوه حال الحرب من نفس ولا مال في أصح الأقوال كما ذكر النووي^(٧)، ويدل على ذلك ما روى الزهري عن إجماع الصحابة ألا يضمن الباغي إذا قتل العادل، قال: هاجت الفتنة الأولى وأصحاب رسول الله صلوات الله عليهم متوافرون، وفيهم البديون، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن^(٨)، وفي رواية عبد الرزاق: فإن الفتنة الأولى

(١) «المغني» (١١٨/٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٣٠١/٢).

(٢) «المغني» (١١٩/٨)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٣٠٢/٢).

(٣) «سنن ابن ماجه»، كتاب الديات (٨٨٣/٢)، و«صحيح سنن ابن ماجه» رقم (٢١٤٠).

(٤) «الأحكام السلطانية» ص (٦١). (٥) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧٠/٧).

(٦) «المغني» (١١٢/٨). (٧) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧٠/٧).

(٨) «السنن الكبرى للبيهقي» (١٧٤/٨) بسند صحيح، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٣٠٣/٢).

ثارت وأصحاب رسول الله صلوات الله عليهم ممن شهد بدرًا كثير، فاجتمع رأيهم على ألاّ يقيموا على أحد حدًّا في فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص في دم استحلوه بتأويل القرآن، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه^(١).

سابعًا: من أهم صفات الخوارج:

إن الباحث في تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة منها:

١ - الغلو في الدين:

عما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام، وكذلك التحرز التام عن الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام، حتى أصبح ذلك سمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيهم في ذلك أحد، ولا أدل على ذلك من قول رسول الله صلوات الله عليهم: «يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صيامكم إلا صيامهم بشيء»^(٢)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهادًا، جباههم قرحة من السجود وأيديهم كأنها ثفن^(٣) الإبل، وعليهم قمص مرحضة^(٤)، مشمرين مسهمة وجوههم من السهر^(٥).

وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فانتهينا إلى معسكرهم، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن^(٦)، فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى

(١) «مصنف عبد الرزاق» (١٠/١٢١).

(٢) «مسلم»، كتاب الزكاة، شرح النووي (٧/١٧١).

(٣) الثفن: جمع ثفنة: ركية البعير وغيرها مما يجعل فيها غلظ من أثر البروك.

(٤) مرحضة: مغسولة، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/٢٠٨).

(٥) «تليس إبليس» ص (٩١).

(٦) المصدر نفسه ص (٩٣).

درجة الغلو والتشدد، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم؛ كالقول بتكفير صاحب الكبيرة، وسيأتي مناقشة عقائدهم وأفكارهم بإذن الله تعالى، ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنباً من الذنوب، ولو كان صغيراً فإنه كافر مشرك مخلد في النار^(١)، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ورموهم بالكفر أو النفاق، حتى إنهم استباحوا دماء مخالفيهم^(٢)، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفيه كالأزارقة مثلاً^(٣)، ولا شك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء، قد شوهوا محاسن الدين الإسلامي تشويهاً غريباً، فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد؛ أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم في تعمقهم قد سلكوا طريقاً ما قال به محمد ﷺ ولا دعا إليه القرآن الكريم، وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها، فهي من قبيل التقوى العمياء والصلاح الذي كانوا يزينون به في الظاهر، كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلواً أخرجهم عن الحد الصحيح^(٤)، ولذلك حذر النبي ﷺ من التعمق والتشدد في الدين؛ لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام، وأخبر أن المنتطح مستحق للهلاك والخسران، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «هلك المنتطحون» قالها ثلاثاً^(٥)، فبهذا يتبين لنا شذوذ الخوارج، وكذلك من سار على منهجهم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة، فقد قال ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا»^(٦).

(١) «الفصل» لابن حزم (٤/١٩١)، و«الخوارج»، لناصر السعوي ص (١٨٣).

(٢) «الخوارج» للسعوي ص (١٨٣).

(٣) «تلبس إبليس» ص (٩٥)، و«الخوارج» للسعوي ص (١٨٤).

(٤) «الخوارج» للسعوي ص (١٨٤).

(٥) «مسلم»، كتاب العلم، «شرح النووي» (١٦/٢٢٠).

(٦) «البخاري»، كتاب الإيمان، «شرح الباري» (١/٩٣).

٢ - الجهل بالدين:

إن من كبرى آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنة، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين^(١)، وكان ابن عمر إذا سئل عن الحرورية، قال: يكفرون المسلمين، ويستحلوا دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عددهم، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحداً أحق بالقتال منهم^(٢)، ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكفر، فيلزم من وقع فيه أن يعترف على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة، وهذا ما طالبوا به علياً رضي الله عنه إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة^(٣)، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من المهاجرين والأنصار، واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولى منهم بالرأي، وهو والله عين الجهل والضلال^(٤)، ومن جهالتهم الشنيعة: أنهم وجدوا عبد الله بن خباب رضي الله عنه ومعه أم ولد حبلى، فناقشوه في أمور، ثم سألوه رأيه في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فأثنى عليهما خيراً، فقموا عليه، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة فقتلوه وبقروا بطن المرأة^(٥)، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم، فتخرجوا من ذلك وبحثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره، فيا للعجب، أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعي الإسلام؟^(٦)، لكنها عبادة الجهال، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان^(٧).

قال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم استباحوا دماءهم وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم وتركوا قتال المشركين، واشتغلوا

(١) «ظاهرة الغلو في الدين»، لمحمد عبد الحكيم ص (١١٤).

(٢) «الاعتصام» (١٨٣/٢، ١٨٤).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣١٣، ٣١٢/١٥)، والالباني في «إرواء الغليل» (١١٨/٨، ١١٩)، و«تلييس إبليس» ص (٩٣).

(٥) «تلييس إبليس» ص (٩٣).

(٤) «الخوارج» للسعوي ص (١٨٦).

(٧) «الخوارج» للسعوي ص (١٨٧).

(٦) «فتح الباري» (٢٨٥/١٢).

بقتال المسلمين، وهذا كله من آثار عبادة الجهال الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ولم يتمسكوا بحبل وثيق منه، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله ﷺ أمره ونسبه إلى الجور، نسأل الله السلامة^(١)، وقال عنهم ابن تيمية رحمه الله: فهم جهال فارقوا السنة والجماعة عن جهل^(٢).

وبهذا يتبين أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع في ضده^(٣).

٣ - شق عصا الطاعة:

قال ابن تيمية: فهؤلاء ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل، وأنهم ضالون، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة ونحوهم، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفرًا، ثم يرتبون على الكفر أحكامًا ابتدعوها^(٤)، هذا وقد شقوا عصا الطاعة وسعوا في تفريق كلمة المسلمين ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؛ حيث تخلوا عنه وخالفوه في أخرج المواقف وعصوا أمره^(٥)، وظلت تلك الصفة من صفاتهم على مدار التاريخ، كل من خالفهم في أمر عادوه ونبذوه حتى أنهم تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق يكفر بعضها بعضًا، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات^(٦).

٤ - التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم:

قال ابن تيمية: والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع، أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وإن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان وكذلك يقول جمهور الرافضة.. فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة الرسول ﷺ، وإجماع

(١) «فتح الباري» (٣٠١/١٢).

(٢) «منهاج السنة» (٤٦٤/٣).

(٣) «نوادير الأصول»، لمحمد حكيم الترمذي ص (٥٤)، و«الخوارج» للسعوي ص (٨٨١).

(٤) «الفتاوى» (٤٩٧/٢٨). (٥) «الخوارج» للسعوي ص (١٩١). (٦) المصدر نفسه ص (١٩٢).

السلف أنها بدعة ، وهو جعل العفو سيئة ، وجعل السيئة كفرة^(١) ، وقد تميز الخوارج بأراء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين ، ورأوها من الدين الذي لا يقبل الله غيره ، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين في زعمهم فأوجبوا البراءة منه ، بل إن منهم من غلا في ذلك ، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم^(٢) .

فمن ذلك : أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم^(٣) ، وقال ابن كثير : فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، ويبقرون بطون الحبالى ، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم^(٤) .

وقال ابن تيمية : وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج ، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن ، لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي ، قالوا : فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار ، ثم قالوا : وعثمان وعلي رضي الله عنهما ومن والاهما ليسوا بمؤمنين ؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله ، فكانت بدعتهم لها مقدمتان :

الأولى : إن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر .

والثانية : إن عثمان وعلياً رضي الله عنهما ومن والاهما كانوا كذلك .

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا ، فإنها أول بدعة ظهرت في الإسلام يُكفر أهلها المسلمين ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، وقد ثبت عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلم أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم^(٥) .

٥- تجوزهم على النبي صلوات الله عليه وآله وسلم ما لا يجوز في حقه «كالجور» :

قال ابن تيمية : والخوارج جوزوا على الرسول صلوات الله عليه وآله وسلم نفسه أن يجور ويضل في سنته ، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته ، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما

(٢) «منهاج السنة» (٦٢/٣) .

(١) «الفتاوى» (٧٣/١٩) .

(٣) «الفرق بين الفرق» للبغدادي ص (٥٧) ، و«الخوارج» للسعوي ص (١٩١) .

(٥) «الفتاوى» (٣١، ٣٠ / ١٣) .

(٤) «البداية والنهاية» (٢٩٤/٣) .

شرعه من السنة التي تخالف - بزعمهم - ظاهر القرآن، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا، فإنهم يرون أن الرسول ﷺ لو قال بخلاف مقالتهما لما اتبعوه... وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل، وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد، وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول ﷺ، بل ولا بحقيقة القرآن^(١).

٦ - الطعن والتضليل:

من أبر صفات الخوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العدل والصواب، وقد تجلت هذه الصفة في موقف ذي الخويرة مع رسول الهدى ﷺ، حيث قال ذو الخويرة: يا رسول الله اعدل^(٢)، فقد عدل ذو الخويرة نفسه أروع من رسول الله ﷺ، وحكم على رسول الله ﷺ بالجور والخروج على العدل في القسمة، وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التاريخ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال^(٣).

٧ - سوء الظن:

هذه صفة أخرى للخوارج تجلت في حكم ذي الخويرة الجهول على رسول الهدى ﷺ بعدم الإخلاص، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله^(٤)، فذو الخويرة الجهول لما رأى رسول الله ﷺ قد أعطى السادة الأغنياء، ولم يعط الفقراء، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن، وهذا شيء عجيب خصوصاً وأن دواعيه كثيرة، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى ﷺ، لكفى به داعياً إلى حسن الظن، ولكن ذا الخويرة أبي ذلك، وأساء الظن لمرضه النفسي، وحاول أن يستر هذه

(١) «الفتاوى» (٧٣/١٩).

(٢) «البخاري»، كتاب استنابة المرتدين، «فتح الباري» (٢٩٠/١٢).

(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١٠٦).

(٤) «البخاري»، كتاب استنابة المرتدين، «فتح الباري» (٢٩٠/١٢).

العلة بستر العدل ، وبذلك ضحك منه إبليس ، واحتال عليه ، فأوقعه في مصايدته ، فينبغي للمرء أن يراقب نفسه ، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده ، وأن يحذر هواه ، وأن يكون منتبهاً لحيل إبليس ؛ لأنه كثيراً ما يزين العمل السيئ بغلاف حسن براق ، ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق ، ومما يعين المرء على وقاية نفسه ، والنجاة لها من حيل الشيطان ومصايدته العلم ، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من علم ، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المنزلق^(١) .

٨ - الشدة على المسلمين:

عرف الخوارج بالغلظة والجفوة ، وقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين ، وقد بلغت شدتهم حدًّا فظيماً ، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم فروعهم وقتلوهم ، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم ووادعوهم فلم يؤذوهم ، ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل^(٢) ، وما قصة عبدالله بن خباب ومقتله عنا ببعيد ، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف ، وأما للكافرين ، فلين وموادعة ولطف^(٣) ، فقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة ، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار ، وإلى الرأفة بالمؤمنين ، فعكس ذلك الخوارج^(٤) ، قال تعالى : ﴿مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٥) . وقال تعالى : ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(٥) المائدة: ٥٤ فالخوارج عكسوا الآيات ، فأرهبوا المسلمين وروعوهم^(٥) .

هذه بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج .

(٢) المصدر نفسه ص (١١٠) .

(٤) «فتح الباري» (٣٠١/١٢) .

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١٠٦، ١٠٧) .

(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١١١) .

(٥) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١١١) .

ثامناً: بعض الآراء الاعتقادية للخوارج:

ومع مرور الزمن استقرت آراء عقائدية خاصة بفرقة الخوارج، وخالفوا فيها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ومن هذه الآثار المنحرفة:

١- تكفير صاحب الكبيرة:

إن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بخلوده في النار، وقد استدلوا على معتقدهم ذلك بأدلة:

أ- استدلوا بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١] فقد استدلوا بهذه الآية على تخليد أصحاب المعاصي في النار، وقالوا: إنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله^(١)، فزعموا أن الخطيئة تحيط بالإنسان، فلا يبقى له معها حسنة مقبولة، حتى الإيمان فإنها تذهبه، ولكن الأمر عكس ما ذهبوا إليه، وهذه الآية نفسها ترد مذهبهم فقد دلت على أن من أحاطت به خطيئته فإنه يخلد في النار، وليس هناك خطيئة تحيط بالإنسان وتحبط أعماله، ويخلد بسببها في النار إلا الكفر والشرك بالله، ويؤيد هذا أن تلك الآية نزلت في اليهود، وهم قد أشركوا بالله وحادوا عن سبيله، ومما يبطل زعمهم أيضاً أن الله قد أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار، بل لا بد أن تكون سيئة محيطة به، قيل: هي الشرك، روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وروي عنه: أن معنى هذه الآية: من كفر حتى يحيط به كفره، فلا تقبل له حسنة، وهذا أولى لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار^(٢)، ثم إن قوله تعالى: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ وسيئة نكرة فهي عامة لجميع أنواع السيئات، قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: والمراد بها هنا الشرك بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتِهِ﴾ أي أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذاً، وهذا لا يكون

(١) «الإباضية في موكب التاريخ» لعلي معمر (١/١٣٣).

(٢) «فتح القدير» للشوكاني (١/١٠٥).

إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل، فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه^(١)، وغير ذلك من الأدلة التي رد عليها جزئياً أهل السنة والجماعة كل في محله، ويمكن أن نجمل الرد على الخوارج في تكفيرهم لصاحب الكبيرة وذلك من عدة وجوه:

أ- إن مرتكب الكبيرة لو كان كافراً لكان حكمه حكم غيره ممن كفر بعد إيمانه، وهو أن يكون مرتداً يجب قتله؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه»^(٢)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد إلا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»^(٣)، فهذان الحديثان وغيرهما من أدلة حكم المرتد تفيد أن كل من كفر بعد إيمانه فحكمه القتل، لكن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، كما قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عِدَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢٢]، وقال الله تعالى في حكم السارق: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨] .

وورد في شارب الخمر ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب، فأتى به يوماً، فأمر به فجلده، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله»^(٤)، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم

(١) «تفسير السعدي» (١٠٣/١).

(٢) «البخاري»، كتاب الديات، «فتح الباري» (٢٠١/١٢).

(٣) «البخاري»، كتاب الحدود، «فتح الباري» (٧٥/١٢).

(٤) «البخاري»، كتاب الجهاد، «فتح الباري» (١٤٩/٦).

بجلد شارب الخمر ولم يقتله، بل نهى عن لعنه بعينه، وشهد لهذا الرجل بحب الله ورسوله، مع أنه قد تكرر منه شرب الخمر عدة مرات، ولم يحكم على هذا ولا على السارق والزاني بالكفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، كان يستغفر لهم ويقول لا تكونوا أعوان الشيطان على أحيكم^(١)، وقد أجمعت الأمة من الصحابة والتابعين على ذلك إلا من شذ عنهم فلا عبرة بقوله، ثم أيضاً إنه لو كان صاحب الكبيرة كافراً لوجب التفريق بينه وبين زوجته المؤمنة والمرأة كذلك، وكذلك أيضاً فإنه لا يرث مسلماً ولا يرثه مسلم، ولكن النبي ﷺ لم يفرق بين من فعل معصية وبين زوجته، ولم يحرمه من ميراث من له الإرث منه، وكذلك صحابته والتابعون لهم بإحسان فثبت يقيناً أنه غير كافر^(٢).

ب - إن الله سبحانه وتعالى سمي أهل الكباير مؤمنين مع ارتكابهم لها في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

قال ابن كثير - رحمه الله - : فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم^(٣)، ومثل هذه الآية أيضاً قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

قال ابن حزم رحمه الله: فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٦٧١).

(٢) «الخوارج» للسعوي ص (١١٦، ١١٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٢١١).

فيهم من قاتل أو مقتول، ونص تعالى على أن القاتل عمداً وولي المقتول إخوان، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنِينَ إِخْوَةٌ﴾ فصح أن القاتل عمداً مؤمن بنص القرآن وحكمه له بأخوة الإيمان، ولا يكون الكافر مع المؤمنين بتلك الأخوة^(١)، فهذه بعض أدلة أهل السنة في ردهم على قول الخوارج في مرتكب الكبيرة، وقد استقر هذا المعتقد عند علماء أهل السنة وسطروه في كتبهم وإليك بعض أقوالهم:

٢ - رأيهم في الإمامة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، قيل له: هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل ويقام بها الحدود، ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفياء^(٢)، ولهذا كان حكم الإمامة واجباً على الأمة الإسلامية؛ إذ لو بقوا بلا إمام لأثموا جميعاً؛ لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩ قال ابن كثير في الآية: الظاهر والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء^(٣)، وهذا هو الراجح ووجه الاستدلال من هذه الآية، أنه سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر؛ لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم^(٤).

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٥)، أي بيعة الإمام، وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام؛ لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم، والبيعة لا تكون إلا لإمام، فنصب الإمام واجب، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك من بعدهم على

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٣/٢٣٥).

(٢) «منهاج السنة» (١/١٤٦).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/٣٠٣).

(٤) «الإمامة العظمى» للدميحي ص (٤٧).

(٥) «مسلم»، كتاب الإمامة (٣/١٤٧٨).

وجوب الإمامة، ومما يحتم وجوب الإمامة، ما وردت به الشريعة من الأحكام الواجبة التي لا يتولاها إلا الإمام ولا تصح بدونه^(١)، وذلك مثل: الجهاد والحج وإقامة الحدود ونحو ذلك، مما لا يتم إلا بالقوة والإمارة^(٢).

وقد بينت الشريعة أن من حقوق الإمام السمع والطاعة في غير معصية الله تعالى، فقد قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»^(٣).

وقد أوجب الشارع طاعة الإمام ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية الله فلا يجوز طاعته فيها، ولا إعانتة عليها، ويجب أن يعان على طاعة الله وأن يستعان به عليها ما أمكن ذلك^(٤).

فيكون موقف المسلم النصيحة لولاة أمور المسلمين؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٥)، قال ابن حجر: والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبههم عند الغفلة، وسد خللتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم بيث علومهم ونشر مناقبهم وحسن الظن بهم^(٦)، وقد خالف الخوارج ذلك المبدأ الرشيد، فرأوا الخروج على أئمة المسلمين عند أتفه الأسباب، وقد فعلوا ذلك مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه، فسفكوا الدماء، وقطعوا السبل، وضيعوا الحقوق وسعوا في إضعاف المسلمين حتى تكالبت عليهم الأعداء، فهذا من أضرار الخروج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد خالفت الخوارج ما كان

(٢) «السياسة الشرعية» لابن تيمية ص (١٢).

(١) «أصول الدين» للبغدادي ص (٢٧٢).

(٤) «منهاج السنة» (١/١٤٧).

(٣) «البخاري»، كتاب الجهاد، «فتح الباري» (٦/١١٦).

(٦) «فتح الباري» (١/١٣٨).

(٥) «مسلم»، كتاب الإيمان، «شرح النووي» (٢/٣٧).

عليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي في الإمام، وقالوا: إنه لا خصوصية لقريش فيها ولا مزية لهم عن سواهم، بل كل من صار أهلاً لها جاز توليته من دون أي نظر إلى نسبه^(١)، وقد احتجوا لمذهبهم بما يلي:

أ - قالوا: لأن اشتراط القرشية يخالف المعقول؛ إذ لا يمنع العقل أن يوجد في غيرهم من هو أفضل منهم.

ب - لم يجعل الله النبوة في قوم خاصين فكيف يجعل الإمامة كذلك؟.

ج - إن القرآن لا يدل على ذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

د - استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»^(٢).

هـ - واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: «وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف، فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله»^(٣).

و - لم يثبت الأنصار القرشية في الإمامة، ولو أثبتوها لما طالبوا بالإمامة ولرد عليهم المهاجرون بها^(٤).

ز - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى على الأمم من غير قريش، والولايات والإمارات عن الإمارة العظمى، فما جاز فيها جاز في فروعها، وما امتنع فيها امتنع في فروعها^(٥).

* وجوه الرد على الخوارج:

أ - أما احتجاجهم بالعقل، فهو مردود لأنه لا حجة فيه مع ثبوت النص والإجماع.

ب - وأما احتجاجهم بأن الله لم يجعل النبوة خاصة بقوم فلا حجة في ذلك؛

(١) «الفصل» (٨٩/٤)، و«مقالات الإسلاميين» (٢٠٤/١).

(٢) «مسند أحمد» (٤٤١/٥).

(٣) «مسلم»، شرح النووي (٢٢٧/١٢).

(٥) المصدر نفسه ص (١٥٥).

(٤) «الخوارج» للسعوي ص (١٥٥).

لأن الله يصطفي للنبوة والرسالة أصلح الناس لها، والخلق لا يستطيعون القطع على أن فلاناً أصلح من غيره، ولا يقارن اختيار المخلوق مع اختيار الخالق، وأما الميزة لقريش فهي على جهة العموم لما كانت تحتله من المكانة الدينية والاجتماعية في قلوب الناس.

ج - وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ وقوله ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»، فالجواب على هذا من وجهين:

١ - أن يراد بالآية والحديث المفاضلة بين الناس عامة، فلا شك أن من فضل على صاحبه بزيادة في التقوى، فهو أكرم منه وأفضل عند الله، وهذا بغض النظر عن الإمامة وهذا هو المراد بالآية والحديث لأن دلالة كل منهما عامة.

٢ - وأما من جهة الإمامة فلا شك أيضاً، أن من زاد على غيره بالعدل والتقوى والصلاح مع توفر باقي شروط الإمامة فيه، فهو أولى لكن لا ننسى أن النسب القرشي شرط، ولا تعارض بين تلك الشروط.

د - وأما احتجاجهم بما ورد في وجوب السمع والطاعة وإن كان الأمير عبداً حبشياً، فهذا الأمر لا إشكال فيه، وقد ورد فيه عدة روايات منها قوله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»^(١)، وهذا لا يمنع اشتراط الإمامة في قريش، وهو عند أهل السنة مخرج على ثلاثة أمور:

١- أن يكون العبد مستعملاً من جهة الإمام القرشي وليس هو الإمام الأعظم.
٢- قد قيل: إن العبد الحبشي إنما ذكره على وجه ضرب المثل، وإن لم يصح وقوعه، كما قال ﷺ فيمن بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة^(٢)، ومفحص القطاة لا يمكن أن يكون مسجداً^(٣).

(١) «البخاري»، كتاب الأحكام، «فتح الباري» (١٢/١٢١).

(٢) «فتح الباري» (١٢/١٢٢)، و«جامع العلوم والحكم» ص (٢٣٠).

(٣) «الخوارج» للسعوي ص (١٥٧).

٣ - أنه أطلق على طريق المبالغة في وجوب السمع والطاعة أو باعتبار ما كان قبل العتق^(١).

هـ - وأما دعواهم أن الأنصار لم يثبتوا أحقية قريش في الخلافة، فهذا غير صحيح، بل الصحيح أنهم أذعنوا لذلك، وحصل الإجماع على أحقية قريش في الخلافة، قال الإمام الأشعري رحمه الله: اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة رسول الله صلوات الله عليه وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عباد، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين، فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش واحتج عليهم بقول النبي صلوات الله عليه: « الأئمة من قريش »^(٢)، فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، بعد أن قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، وبعد أن جرد الحباب بن المنذر سيفه وقال: أنا جديله المحكك، وعذيقها المرجب؟... ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه، واجتمعوا على إمامته، واتفقوا على خلافته، وانقادوا لطاعته^(٣).

و - وأما احتجاجهم بفعل النبي صلوات الله عليه، حيث ولى على بعض الأمصار أو الجيوش من غير قريش، فلا حاجة لهم في هذا؛ لأنه ليس في الإمامة العظمى، ولا نسلم لهم أن ما جاز في الفرع جاز في الأصل^(٤)، قال ابن حجر رحمه الله: وأما ما احتج به من أنه صلوات الله عليه لم يعين الخلافة في قريش من تأمير عبد الله ابن رواحة وزيد بن حارثة وأسامة وغيرهم في الحروب فليس من الإمامة العظمى في شيء، بل فيه أنه يجوز استنابة غير القرشي في حياته^(٥)، والله أعلم.

(١) «فتح الباري» (١٢٢/١٣).

(٢) «المصنف» لابن أبي شيبة (٥٤٤/٥)، و«البخاري» بلفظ آخر رقم (٧١٤٠).

(٣) الجذيل: عود ينصب للإبل الجربي؛ لتحنتك به، والمحكك: الذي يحنتك به كثيرًا، أراد أنه يستشفى برأيه، والعذيق: النخلة، أي الذي يعتمد عليه، ينظر: «مقالات الإسلاميين» (٤١-٣٩/١)، و«شرح النووي» (٢٠٠/١٢)، و«الفصل» (٨٩/٤).

(٤) «الخواارج» للسعوي ص (١٥٨).

(٥) «فتح الباري» (١١٩/١٣).

* أدلة أهل السنة القائلين باشتراط النسب القرشي:

أ - قوله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين»^(١).

ب - قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»^(٢)، وفي رواية لمسلم: «ما بقي من الناس اثنان»^(٣).

ج - وقوله صلى الله عليه وسلم: «الناس تبع لقريش»^(٤).

د - انعقاد الإجماع، فقد حكاه غير واحد من العلماء منهم: النووي حيث قال في شرحه لحديث: «الناس تبع لقريش» . . إلخ: هذه الأحاديث وأشباهاها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة^(٥)، ومنهم القاضي عياض فقد نقل عنه النووي قوله: اشتراط كونه - أي الإمام - قرشياً هو مذهب العلماء كافة، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة فلم ينكره أحد، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل، يخالف ما ذكرنا، وكذلك من بعدهم في جميع الأعصار قال: ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع، أنه يجوز كونه من غير قريش، ولا سخافة ضرار ابن عمر في قوله: إن غير القرشي من النبط وغيرهم يقدم على القرشي لهوان خلعه إن عرض منه أمر، وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفته، مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين، والله أعلم^(٦).

(١) «البخاري»، كتاب الأحكام، «فتح الباري» (١١٤/١٣).

(٢) «البخاري»، كتاب الأحكام، «فتح الباري» (١١٤/١٣).

(٣) «مسلم»، كتاب الإمامة، شرح النووي (٢٠١/١٣).

(٤) «البخاري»، كتاب المناقب، «فتح الباري» (٥٢٦/٦).

(٥) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢٠٠/١٢)، و«الإمامة العظمى» للدميحي ص (٢٧٣).

(٦) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢٠٠/١٢).

وممن حكى هذا الإجماع أيضاً الماوردي^(١)، والإيجي^(٢)، وابن خلدون^(٣)، والغزالي^(٤)، ومن المحدثين محمد رشيد رضا، حيث قال: أما الإجماع على اشتراط القرشية قد ثبت بالنقل والفعل، رواه ثقات المحدثين واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم، وجرى عليه العمل بتسليم الأنصار وإذعانهم لبني قريش، ثم إذعان السواد الأعظم من الأمة عدة قرون^(٥)، ولكن الحافظ ابن حجر اعترض على هذا الإجماع بقوله: ويحتاج من نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: إن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ ابن جبل.. الحديث، ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش، إن الأثر المنسوب إلى عمر ضعيف؛ لانقطاعه كما بين بعض أهل العلم^(٦)، ومال الإمام الجويني إلى عدم اشتراط النسب القرشي^(٧)، وقد اختلف قول أبي بكر الباقلاني، فاشتراط القرشية في كتاب «الإنصاف»^(٨)، ولم يشترطها في كتابه «التمهيد»^(٩)، وإلى نفي اشتراط القرشية ذهب أكثر المحدثين منهم: محمد أبو زهرة في كتابه «المذاهب الإسلامية»، وذهب إلى أن الأحاديث الواردة مجرد أخبار لا تفيد حكماً^(١٠)، ومنهم العقاد^(١١)، ومنهم د/ علي حسني الخربوطلي في كتابه «الإسلام والخلافة»^(١٢)، وتجراً بعضهم على رمي الأحاديث المذكورة بالوضع، ومنهم د/ صلاح الدين دبوس في كتابه «ال خليفة توليته وعزله»، وذهب إلى أن هذه الأحاديث مجرد أخبار^(١٣)، ومنهم الأستاذ محمد المبارك رحمه الله، فقد اعتبرها من باب السياسة الشرعية المتغيرة بتغير العوامل^(١٤)، والراجع هو ما

(٢) الموافق ص (٣٩٨) .

(٤) «الباطنية» ص (١٨٠) .

(٥) «الخلافة» أو «الإمامة العظمى» لمحمد رشيد رضا ص (١٩) .

(٧) «غياث الأمم» للجويني ص (١٦٣) .

(٩) «التمهيد» نقلاً عن «الإمامة العظمى» ص (٢٧٥) .

(١١) «الديمقراطية في الإسلام» ص (٦٩) .

(١٣) «ال خليفة توليته وعزله» ص (٢٧٠) .

(١) «الأحكام السلطانية» ص (٦) .

(٣) «المقدمة» ص (١٩٤) .

(٦) «الإمامة العظمى» ص (٢٨٤) .

(٨) «الإنصاف» للباقلاني ص (٦٩) .

(١٠) «المذاهب الإسلامية» (١/٩٠) .

(١٢) «الإسلام والخلافة» ص (٤٢) .

(١٤) «نظام الإسلام في الحكم والدولة» ص (٧١) .

ذهب إليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي للإمامة^(١)؛ لورود الأدلة الصريحة في أحقيتهم وإجماع الصحابة ومن بعدهم على ذلك، وأدلة المخالفين ليس فيها حجة على عدم الاشتراط، لكن أحقية قريش في الخلافة لا بد فيها من شرطين:

الأول: إقامتهم للدين؛ لقوله ﷺ: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه، ما أقاموا الدين»^(٢).

الثاني: ألا يكون هناك إمام قائم، فإن كان ثمة إمام فلا أحقية لهم فيها، فيكون اشتراط النسب القرشي في ابتداء الولاية وعند الاختيار لا في استمرارها؛ إذ إن الإمام القائم لا تجوز منازعته ولا الخروج عليه لا من قريش ولا من غيرها^(٣)، ما دام قائم بأمر الله، ولم ينحرف عن شرعه، ولم نر منه كفراً بواحاً، أما إذا خرج منه كفر بواح فالأمر منوط بالقدرة، وخاضع لفقهِ المصالح والمفاسد.

تاسعاً: طعنهم في بعض الصحابة، وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما:

امتاز الخوارج عن الشيعة الرافضة بإثباتهم إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما، فهم يعتقدون أن إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إمامة شرعية، لا شك في صحتها ولا ريب عندهم في شرعيتها؛ إذ إن إمامتهما كانت برضا المؤمنين وورغبتهم، وإنهما سارا على الطريق المستقيم الذي أمر الله به لم يغيرا ولم يبدلا، حتى توفاهما الله تعالى على ما يرضيه من العمل الصالح والنصح للرعية، وهذا الاعتقاد منهم حق وصدق، فلقد كانا رضي الله عنهما كذلك، ولا يشك في هذا إلا من فتن بمعتقد الرافضة، وهذا المعتقد للخوارج تجاه الشيخين حال فهم فيه السداد والصواب، وكانوا موفقين فيه، لكنهم هلكوا فيمن بعدهما حيث قادهم الشيطان وأخرجهم عن الحق والصواب في اعتقادهم في عثمان وعلي رضي الله عنهما، فلقد حملهم على إنكار

(١) «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى ص (٢٠)، و«الخوارج» لسعوي ص (١٥٩).

(٢) «البخاري»، كتاب الأحكام، باب: الأمراء من قريش، «فتح الباري» (١٣/١١٤).

(٣) «الخوارج» لسعوي ص (١٥٩)، و«الإمامة العظمى» ص (٢٩٥).

إمامة عثمان رضي الله عنه في المدة التي نقم عليه أعداؤه فيها، كما أنكروا إمامة علي رضي الله عنه أيضاً بعد التحكيم بل أدى بهم سوء معتقدتهم إلى تكفيرهما وتكفير طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وأصحاب الجمل وصفين، وقد وجه الخوارج إلى هؤلاء الأخيار من الصحابة طعناً عاماً يشملهم جميعاً ووجهوا إلى بعضهم طعناً على وجه الخصوص، فطعنهم فيهم على وجه عام أنهم يعتقدون فيهم أنهم كفروا وقد دون أهل العلم هذا المعتقد السيئ عنهم في كتبهم^(١)، فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وينكرون إمامة عثمان رضي الله عنه في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري^(٢)، وقال ابن تيمية رحمه الله: وكان شيطان الخوارج مقموماً لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما افتترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج موضع الخروج، فخرجوا وكفروا علياً ومعاوية ومن والاهما فقاتلهم أولى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣).

وقال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج: ويجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة، وقال في المحكمة الأولى: وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين^(٤)، وقال في الأزارقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي رضي الله عنه قال: وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار^(٥)، وهذا المعتقد واضح البطلان بمجرد سماعه، واعتقاده ضلال وغواية وترك للحق

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣/١١٥٧). (٢) «مقالات الإسلاميين» (١/٢٠٤).

(٤) «الملل والنحل» (١/١١٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩/٨٩).

(٥) المصدر نفسه (١/١٢١).

جانبا، والخوارج استهواهم الشيطان بمعتقدهم هذا، فكانوا له تبعا فاعتقادهم بكفر من تقدم ذكرهم من أصحاب رسول الله ﷺ باطل لأمر عدة:

الأمر الأول: إن الله تعالى أخبر بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وكذا رسوله ﷺ أخبر بأنهم أفضل أمته، فقد قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فقد نوه سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وذلك لقيامهم الكامل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذلك إلا لما بلغوا إليه من كمال الإيمان وقوة اليقين ولأنهم حققوا صفات الخيرية المنوه عنها في هذه الآية، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة^(١)، وقال عليه السلام: «خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث»^(٢)، وإنما كان قرنه خير الناس؛ لأنهم آمنوا به حين كفر به الناس، وصدقوه حين كذبوه، ونصروه حين خذلوه، وجاهدوا وآووا^(٣) وأفراد الصحابة الذين يعتقد الخوارج المارقون كفرهم هم من الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي مقدمة من يتناوله هذا الثناء العالي الرفيع هم هؤلاء، فهم من أهل الهجرة ومن الذين آمنوا بالنبى ﷺ حين كفر به الناس وهم من الذين جاهدوا معه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، فالآية والحديث فيهما شهادة الله ورسوله للصحابة عموما بأنهم خير أمة محمد عليه السلام^(٤)، وأبرز الصحابة الذين تكفرهم الخوارج كعلي والزبير وطلحة، وغيرهم وردت أحاديث في حقهم بأنهم من أهل الجنة وقد بشرهم رسول الله ﷺ بذلك.

(١) «المستدرک» (٢/٢٩٤)، صححه الحاكم، وأقره الذهبي.

(٢) «مسلم» (٤/١٩٦٥).

(٣) «فيض القدير» للمناوي (٣/٤٧٨).

(٤) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (٣/١١٦٠).

الأمر الثاني: شهادة الله لهم بالإيمان الحقيقي الثابت في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨] فكلمة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ في هذه الآية أول ما ينطلق هذا اللفظ على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين؛ إذ إنهم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب بلا نزاع، ولكن الخوارج أزاغ الله قلوبهم لم يهتدوا إلى شهادة العليم الخبير بحقيقة الإيمان للصحابة الذين كفروهم أو تبرؤوا منهم^(١).

الأمر الثالث: إن الرب تبارك وتعالى أخبر في محكم كتابه العزيز، أنه رضي عن الصحابة ورضوا عنه، وأنه وعدهم بالخلود في الجنات والفوز العظيم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ففي هذه الآية صرح تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهو دليل قرآني صريح في أن من يعتقد كفرهم، فهو ضال مخالف لله جل وعلا حيث كفر من رضي الله عنه، ولا شك أن تكفير من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان، وهذه صفة الرافضة والخوارج المارقة^(٢).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] وفي هذه الآية أعلن الله رضاه عن جيش الإيمان الذين حضروا الحديبية من صحابة رسول الله صلوات الله عليهم، والذين كان منهم علي وطلحة والزبير، وعثمان رضي الله عنه كان في مكة رسولاً لرسول الله صلوات الله عليهم فبايع له النبي صلوات الله عليهم، وجعل يده عن يده، فكانت خيراً له من يده^(٣).

الأمر الرابع: إن الكفر بعيد الوقوع من قوم أخبر الله جل وعلا، أنه بغض

(٢٠١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام» (١١٦١/٣).

(٣) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (١١٦٣/٣).

إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلهم من الراشدين، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وأما في هذه الآية فقد أخبر تعالى فيها، أنه جعل الإيمان أحب الأشياء إليهم، فلا يقع منهم إلا ما يوافقه ويقتضيه من الأمور الصالحة، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين، كما نطقت بذلك الآية الكريمة، فكيف يكفر أولئك الخيرة على زعم الرافضة والخوارج المارقة؟ وعليهم تتلى آيات الله وفيهم رسوله، بل كيف يكفرون وقد كره الله إليهم الكفر وجعلهم راشدين؟ فلقد زاغ الخوارج الجهلاء بزعمهم كفر عثمان وعلي وطلحة والزبير وابن عباس وعائشة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ومعاوية رضي الله عنهم وأصحاب الجمل وصفين من الصحابة الكرام^(١).

عاشراً: من سمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث:

بدأت سمات الخوارج ونزعاتهم تظهر بين طوائف من أبناء المسلمين اليوم، وبأشكال ومظاهر مختلفة من جماعات وأفراد ودعوات وحركات واتجاهات، وشعارات، ومناهج وأساليب ومواقف وتصرفات، ونزعات فردية وجماعية، ونحو ذلك من أمور تنذر بخطر، وتنبئ عن بدايات ظهور البذور العقدية والفكرية والسلوكية للخوارج^(٢).

ومن هذه السمات والمظاهر، التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين، والتعالم والغرور، وتصدر الأحداث، وقلة الصبر، وضعف الحكمة، والاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين، والطعن في العلماء وسوء الظن فيهم، وتحقيرهم، والتنفير منهم، والحدية في التعامل مع الآخرين، وصعوبة مد جسور

(١) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٣/ ١١٦٥).

(٢) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٢٠).

التفاهم معهم، وقابلية الانشطار والتفرق وسهولة اتهام الآخرين، وصعوبة التجمع والتوحد، والتكفير وغير ذلك من مظاهر الغلو التي ساهم في ظهورها مجموعة من الأسباب منها:

١ - الجهل بالعلوم الشرعية:

فالتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى سمات الخوارج، يجد أنهم يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية، فحين يتصدرون للأمور الكبار والمصالح العظمى؛ يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرفة والمواقف المشنجة^(١)؛ بسبب عدم قدرتهم على استيعاب فقه المصالح والمفاسد، والعلم بمراتبها، فوق جهلهم بأحاد النصوص الحاكمة على القضايا المعينة؛ إذ ليست المنكرات العامة المتعلقة بالسياسة الشرعية - وهي في الغالب سبب الفتن كمسائل الطهارة والصلاة والحج والأحوال الشخصية - يقوم فيها الحق - غالباً - على الأدلة التفصيلية، بل قيام العلم في ذلك على أسس منها:

أ - الأدلة الشرعية العامة والقواعد التي يدخل تحتها أمور كثيرة.

ب - مقاصد الشريعة.

ج - الموازنة بين المصالح والمفاسد.

د - الأدلة التفصيلية.

ولا يمكن للعوام، بل ولصغار المتعلمين فهم القضايا الكلية العامة، وإن كان يمكنهم فهم النصوص الجزئية، وكذلك فهم مقاصد الشريعة لا يكون إلا باستقراء مجمل النصوص، وتصرفات الشارع، ففقه المقاصد فقه عزيز، لا يناله كل أحد، بل لا يصل إليه إلا من ارتقى في مدارج العلم، واطلع على واقع الحال وقلب النظر في الاحتمالات التي يظن حدوثها، والموازنة بين المصالح والمفاسد تحتاج

(١) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٢٧).

إلى فهم للشريعة ومقاصدها، وفهم للواقع ومراتب المفاصد والمصالح وهذا كله لا يكون إلا للعلماء^(١).

إن تصدر العامة أنصاف العلماء الذين لا يفهمون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يشتت المسلمين ويفرق حدوئهم؛ لأن العوام لا يتصور اتفاقهم على أمر إذا لم يكن لهم سراة يصدرون عن رأيهم، ولذلك كان الرد إلى أهل الحل والعقد.

٢- القراءة من الكتب بدون معلم:

ومن الأسباب التي أسهمت في تشكيل فكر الغلو، طلب العلم من غير بابه، والإقبال بنهم على كتب العلم، دون معلم يعين ولا موجه يرشد، وأخذ الطلاب يستخرجون الأحكام في المسائل العضال قبل أن ترسخ أقدامهم في العلم بالكتاب والسنة، فزلت بهم القدم وقد حدث هذا من نوعين من الشباب.

* شباب عاش في السجون، ولقي المحن والتعذيب.

* وشباب لم يدخلوا السجون، ولم يتعرضوا لمحن وكانت النتيجة حصاداً مرّاً من البلبلة الفكرية، وبلاء الغلو، شتت شمل المسلمين المشتت، وزاد تمزيقهم تمزيقاً وقد حدث هذا لأسباب منها:

أ- الإعراض عن العلماء، ولقد سلك الغلاة هذا المنهج الخاطيء بسبب وقوع بعض الانحرافات ممن ينتسبون للعلم من أهل الهوى، فبدؤوا بسحب الثقة في أهل الهوى، وفي أقوالهم ولو كانت حقاً، ثم غلب على هؤلاء سوء الظن، فوسعوا دائرة الإعراض، وأدخلوا فيها العلماء العاملين الصادقين، وسحبوا الثقة فيهم أيضاً، وكلما خالفهم عالم مجاهد في رأي رأوه، أو مالوا إليه، سحبوا الثقة فيه وأعرضوا عنه، وهنا يكمن الخطر ويوجد الشطط، قال أحد العلماء الذين حاوروا الشباب أثناء لقاءهم بهم: الذي أخشاه أن فقد الثقة بالعلماء سيحملك على أحد الأمرين أو الأمرين معاً، وهما: الاجتهاد من غير استعداد

(١) «قواعد في التعامل مع العلماء» ص (١٢١).

كاف ومعرفة تؤهل لذلك، أو العودة للكتب والأخذ عنها دون الاستعانة بأحد، وفي الاثنين من المخاطر ما فيهما.

قال أحد الشباب: لقد وقعنا في الاثنين معاً^(١).

ب - الغلو في ذم التقليد: لقد ذم القرآن الكريم التقليد وأهله، وحذر السلف من هذا المسلك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٧٠ ومن أقوال الأئمة قول الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري^(٢)، وقال أحمد: لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا^(٣)، وقال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا^(٤)، وقرأ الشباب هذا، وقرؤوا أن المقلد مع العالم كالصبي في حجر أمه، وأنه لا فرق بين المقلد والبهيمة^(٥)، فأنفوا من تقليد غيرهم من العلماء، وبالغوا في النفور من التقليد وذمه، فظنوا أن الاهتداء بإزاء السابقين من الصحابة والتابعين والعلماء الصادقين، والاستفادة من مناهجهم، والاسترشاد بفتاويهم المدعمة بأدلة، ظنوا أن ذلك من التقليد المذموم، فأباحوا لأنفسهم إصدار الفتاوى ولم يتأهلوا لها بعد، وأكبوا على الكتب يستخرجون منها الأحكام، ويستنبطون الآراء العجاب، وتوغلوا في هذا الميدان وهم ليسوا فرسانه، فشطوا وتجاوزوا الحدود، إن هؤلاء الشباب لم يحسنوا تمييز الأمور وتفصيلها، ولم يعرفوا صحيح الأقوال من سقيمها، ولم يجيدوا إنزال النصوص منازلها، فعمموا حيث لا تعميم، وأعرضوا حيث يجب الإقبال، وأقدموا حيث يجب الإحجام، فالنصوص التي تذم التقليد ليست عامة، إنما لها حالات تنزل عليها^(٦).

(١) «التكفير جذوره وأسبابه» ص (١٤، ١٥)، و«ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٣).

(٢، ٣) «أعلام الموقعين» (٢/ ٢٠٠). (٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٠١).

(٥) «أعلام الموقعين» (٢/ ٢٠١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٤).

(٦) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٦).

فابن عبد البر بعد أن ذكر الآثار المروية في ذم التقليد قال في نهاية الباب: وهذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تقبل بعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة والله علم، ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]... فكذلك من لا علم له ولا بصر يحص ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء في أن العامة لا يجوز لها الفتيا وذلك والله أعلم؛ لجهلها بالمعاني التي يجوز منها التحليل والتحريم والقول في العلم^(١).

وعامة هؤلاء الشباب عوام في علوم الشريعة ولوازمها، وأنفوا من سؤال العلماء واستفسارهم، فكانت النتيجة حصداً مريراً من الفوضى الفكرية.

ج - التطبيق الخاطئ لكلمات صدق:

إن هذه آفة خطيرة، من اتقاها نجح، فمشكلة من وقع في غلو الخوارج اليوم وأمس، ليست فيما يستدلون به، ولكن في تطبيق ما يستدلون به على واقعه ومراده، فعندما انقلب الخوارج على أمير المؤمنين علي ورموه بالكفر، وقالوا: لا حكم إلا لله، فقال: كلمة حق أريد بها باطل^(٢).

وبعض أبناء العصر الحديث وقعوا فيما وقع فيه غيرهم، حيث أساءوا تطبيق كلمات صدق وعدل، فكانت النتيجة اجترأ على الأحكام، والخروج بآراء حائدة عن الاعتدال، ومن هذه الكلمات على سبيل المثال:

التقليد مذموم:

هذه كلمة حق دل عليها القرآن والسنة، ونهى عن تقليد الأئمة العلماء الأفاضل، وهناك أمور هامة ينبغي التنبيه عليها هنا لنضع الكلمة في واقعها المراد:

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/٦٨٨).

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/١١٤، ١١٥).

- إن التقليد الباطل المذموم هو: قبول قول الغير بلا حجة^(١).

- إن التقليد مذموم في حق القادر على الاجتهاد، جائز في حق العاجز عن الاجتهاد^(٢).

- قراءة كتب العلماء السابقين والاستفادة من آرائهم بلا تعصب ليس من التقليد المذموم، بل ينبغي لطالب العلم أن يعرف ما قاله السابقون في المسألة قبل أن يحكم فيها ليسترشد بآرائهم وفهمهم^(٣).

قال عطاء: لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالمًا باختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه^(٤)، وقال قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه^(٥)، وقال يحيى بن سلام: لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي، ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول: هذا أحب إلي^(٦)، لكن بعض أبناء العصر الحديث أخطؤوا في تطبيق قاعدة عدم جواز التقليد، فحملوا على العوام والعلماء على السواء، ولم يفرقوا بين القادر والعاجز، ولا بين الأصول والفروع ثم ماذا؟ الإعراض عن أقوال العلماء، بل بلغ الحد ببعضهم إلى تسفه الآراء، وطرح لمناهجهم؛ لأن هذا تقليد مذموم، ثم اجترأ على الفتوى، واستخراج الأحكام مباشرة من القرآن والسنة دون إمام بالعلوم التي تيسر لهم ذلك^(٧).

- هم رجال ونحن رجال:

كلمة رائعة أعجبت بعض أبناء العصر؛ لأن فيها اعتداد بالنفس، وأنفة في الانقياد للغير، وهذا ما تميل إليه بعض نفوس الناس، هذه الكلمة قالها إمام فقيه هو أبو حنيفة - رحمه الله - لكن بعض الناس نسوا قائلها وخصائصه، ومناسبتها، وانطلقوا يخطفون الأحكام خطفًا بمجرد قراءة الآية أو الحديث، وقل

(٢) المصدر نفسه (٢٠٣/٢٠، ٢٠٤).

(١) «الفتاوى» (١٥/٢٠).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٤٦/٢، ٤٧).

(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٨).

(٧) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣١٩).

(٦٠٥) المصدر نفسه (٤٧/٢).

وقوفهم عند شرح وفهم الأئمة والعلماء للآيات والأحاديث، ولا مانع من إهدارها عندهم، فإذا قيل لهؤلاء الناس: ماذا تفعلون؟ اصبروا وترثوا، وتأنوا في أحكامكم، وانظروا أولاً إلى فهم علمائكم قالوا: هم رجال ونحن رجال، نعم أنتم متساوون من حيث البنية الجسدية، والطباع البشرية، أتدرون من صاحب هذه العبارة؟ وما مناسبتها؟ إنه إمام عالم فقيه من الله عليه بفهم ثاقب، وعلم غزير، وتقوى القلب، ولقد قالها في معرض بيان أصوله حيث قال: إذا كان القرآن أو السنة فأقدمهما، وإذا كان قول الصحابي فلا أخرج عنه، وإذا كان قول تابعي، فهم رجال ونحن رجال^(١)، فينبغي أن يعلم موضع القول ومناسبته حتى لا نشرد في التطبيق، نعم هم رجال علماء مجتهدون، فهل أتم كذلك؟^(٢).

- منهج الصحابة: التلقي المباشر من القرآن والسنة:

قام بعض أبناء العصر يحددون منهج الصحابة الكرام، بعد أن اندرس في الأنام، وأقبلوا على القرآن والسنة لاستخراج الأحكام، وأعرضوا عن الاستئارة بفهم علماء الإسلام، وقالوا: يكفينا القرآن والسنة ولا حجة لنا بأفهام الأموات، فهما النبع الصافي فلا نكدره بشيء، وهنا أخطأت رميتهم، وطاش سهمهم^(٣)؛ لأن التلقي المباشر، والتعامل المباشر مع القرآن والسنة له حدود وقيود، فلكل مسلم أن يتعامل مع القرآن والسنة مباشرة للتعرف على أصول العقائد والأخلاق، والعظات، والعبر الجليلة، فهذه أمور قد جلاها الله سبحانه وتعالى وبينها أتم بيان، بحيث لا يجد المرء عسراً في فهمها ما دام يعرف لغة القرآن، أما التعرف على دقائق الأمور في العقائد والأحكام، فدائرته تضيق عن سابقه لتسع أصحاب الكفاءة والقدرة وحدهم، أولئك الذين تزودوا بعلوم أوسع من اللغة والأصول والحديث... تمكنهم من حسن الفهم، ودقة الاستنباط، وتمنعهم من الشطط عند المشابهات، والأمور الخفية وعلى أساس هذه التفرقة الواعية سار الصحابة الكرام رضي الله عنهم، فقد كانت تنزل بهم المسائل، وتعرض لهم الأمور، فإن

(٢) المصدر نفسه ص (٣٢٠).

(١) "ظاهرة الغلو في الدين" ص (٣١٩).

(٣) "ظاهرة الغلو في الدين" ص (٣٢١).

كانت من القسم الأول عرفوها بكل يسر وسهولة وإن كانت من القسم الثاني لم يتجرؤوا حتى يسألوا علماءهم وفقهاءهم، وهذا المنهج هو الذي ينبغي اتباعه، فهو منهج العقل والحكمة الذي يحمي من الجمود ويقي من الفوضى والبلبلية^(١).

إن تفقه بعضهم بدون معلم قد نتج عنه آثار سيئة ومخاطر جسيمة، من أهمها: نبذ تراث السلف من العلوم والفنون المختلفة، التناول على العلماء، الاتجاه الظاهري في فهم النصوص، التجرؤ على الفتيا، أفكار غالية^(٢).

ولقد علمنا الإسلام أن للعلم أبواباً كما أن له آداباً، والسعيد من طرقه من أبوابه، وتحلى بآدابه، فما علمنا على مدار التاريخ أن أحداً أتى مباشرة إلى القرآن والسنة، وأخذ يُعمَلُ فكره ويستنبط الأحكام في أولى خطواته، ويؤخر النظر في أقوال من سبق أو يعرض عنها ما علمنا هذا عن أحد، اللهم إلا الخوارج الأعراب البدو الجهال المجردين من الفقه، والخالين من الفقهاء، الخوارج ومن حذا حذوهم^(٣)، ولقد كثر زجر العلماء عن تلقي العلم من الكتب مباشرة دون الاستئارة بآراء وأفهام أهل العلم؛ لأن هذا باب إلى التحريف والتصحيف، وتبديل الأحكام والقول على الله بلا علم، وتحليل الحرام، وتحريم الحلال، قال ابن جماعة وهو يذكر آداب طالب العلم، التي أولها الاستخارة في اختيار الشيخ الذي يأخذ العلم عنه، ويكتسب الأخلاق منه: وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع، وله مع من يوثق به من مشائخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق. قال الشافعي رضي الله عنه: من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام، وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية الضعيفة، أي الذين تعلموا من الصحف^(٤)، ولله در القائل:

(٢٠١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣٢٣).

(٣) المصدر نفسه ص (٢٣٤).

(٤) «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم» ص (٨٧).

مَنْ يَأْخُذُ الْعِلْمَ عَن شَيْخٍ مُّشَافِهَةٍ
يَكُنُّ الزَّيْغُ وَالتَّصْحِيفُ فِي حُرْمٍ
وَمَنْ يَكُنْ أَخِيذًا مِنْ صُحُفٍ
فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ

وقال علماء السلف: لا تقرأوا القرآن على المصحفين، ولا تأخذوا العلم من الصحفين^(١).

وقال أبو زرعة: لا يفتي الناس صحفي، ولا يقرئهم مصحفي^(٢)، وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ {الأنبياء: ١} وقد أنكر الله على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة^(٣)، وليس معنى هذا أن نمنع الناس أن يدرسوا ويتعلموا فطلب العلم فريضة، وهو مطلوب من المهد إلى اللحد، لكن نقول: إنهم مهما درسوا، فيسئلون في حاجة إلى أهل الاختصاص، فإنه للعلم الشرعي أدوات لم يتوفروا على تحصيلها، وأصولاً لم يتمرسوا بمعرفتها، واستيعابها، وفروعاً ومكملات لم تسعفهم أوقاتهم ولا أعمالهم أن يتفرغوا لها^(٤)، فلا جراءة وانطلاقة مندفة غير منضبطة، ولا كسل وخمول وتجميد للفكر والنظر وحظر للبحث وحجر للعقل، إنما نريد جداً وسعيًا مع التأنى والتثبت والتروي والتأكد، والسؤال عما أشكل، وخير الأمور أوسطها^(٥).

٣ - تخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم:

العلماء هم ورثة الأنبياء، ولذلك ينبغي أن يكونوا هم أصحاب القيادة والتوجيه في المجتمع، وعليهم أن يفرضوا وجودهم الأدبي والعلمي والمرجعي بين الناس، بأخلاقهم وجهدهم وعلمهم، وعليهم أن يتحركوا بهذا الدين

(٢٠١) «الفتية والتفقه» للخطيب البغدادي (٩٧/٢).

(٣) «تفسير ابن كثير».

(٤) «الصحة الإسلامية» ص (٣٠٦).

(٥) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٣٢٦).

وبالعلم الذي يعلمونه من هذا الدين لصياغة المجتمع صياغة صحيحة، ووضع كل من الحاكم والمحكوم في وضعه الصحيح برد الحاكم إلى الالتزام بشريعة الله، فيزول من ثم ما هو واقع في المجتمع من ظلم سياسي واجتماعي واقتصادي، ورد المحكومين إلى الالتزام بأوامر الله ونواهيه، فيزول من ثم ما وقع في المجتمع من فساد خلقي وروحي وسلوكي، أو الجهاد في سبيل هذا الأمر على الأقل، فيتحقق من الإصلاح بقدر ما يخلص الناس نياتهم لله، وبمقدار ما يبذلون من الجهد اللازم للإصلاح، لقد كان للعلماء دور القيادة والريادة في المجتمع دائماً وأبداً، وكان الناس يعرفون لهم ذلك حكماً ومحكومين، ولم تظهر الزعامات السياسية العلمانية عند المسلمين إلا عندما تخلى العلماء عن دورهم في قيادة الأمة وتوجيهها، بل ما كان الناس يرضون بغير علمائهم بديلاً أبداً، وكانت الأمة الإسلامية في كل أصقاع الدولة تحب علماءهم وتجلهم وتلتف حولهم، وتفزع إليهم بعد الله سبحانه وتعالى كلما حزبها أمر وحلت بها مصيبة، لمعرفة الناس بمكانة العلماء وبقدرتهم على التحرك، وبالتصدي لكل ما يصيبهم من سوء، وكذلك كان الحكام يعرفون للعلماء قدرهم، إما رغبة فيهم أو رهبة منهم، وما كان علماء المسلمين يعرفون بالانقطاع إلى الدرس والتحصيل بل كانوا هم في مقدمة المجاهدين المقاتلين، وفي مقدمة الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكانوا يشاركون أمتهم أفراحها وأتراحها، وقد لاقى بعضهم من جراء ذلك ما لاقى، ولكن لم يشتمهم ذلك عن القيام بواجبهم^(١)؛ لأنهم فهموا معنى ورثة الأنبياء.

إن العلماء هم فقهاء الإسلام، ومدار الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام^(٢)، والعلماء هم أئمة الدين، نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد والصبر واليقين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] والعلماء هم

(٢) «أعلام الموقعين» (٧/١).

(١) «ظاهرة التكفير»، الأمين الحاج محمد أحمد، ص (١٨١).

ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم العلم، فهم يحملونه في صدورهم، وينطبع في الجملة على أعمالهم، ويدعون الناس إليه، والعلماء هم الفرقة التي نفرت من هذه الأمة لتتفقه في دين الله، ثم تقوم بواجب الدعوة ومهمة الإنذار، فعليهم أن يكونوا بين الناس، ويقوموا بواجبهم كورثة للأنبياء، ويتخلوا عن انزوائهم وابتعادهم عن الناس ومشاكلهم والاكتفاء بواجب البلاغ والإنذار، بل يتصدروا لتربية الناس وتهذيبهم وتوجيههم وترشيدهم والصبر على مخالطتهم، وحل مشاكل الناس الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية... إلخ، وفق شرع الله تعالى، فالعلماء هم هداة الناس الذين لا يخلو زمان منهم حتى يأتي أمر الله، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة يقول الرسول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين بأمر الله لا يضرهم من خذلهم، أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»^(١)، فلا ينبغي أن يتخلى الكثير من العلماء عن واجبهم تجاه دعوة الله تعالى، ويتركوا الناس بدون قيادة تقودهم نحو الخير والصلاح.

٤ - شيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية:

من أهم العوامل التي تؤدي إلى بروز ظاهرة الغلو الكبت السياسي، من ظلم الأفراد والشعوب، وظلم الناس مما ينافي مقاصد الشريعة وما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ، من تحقيق العدل ونفي الظلم^(٢).

٥ - التأويلات الخاطئة لبعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين:

فكما أن الخوارج انطلقوا إلى بعض الآيات التي نزلت في الكفار، ففصلوها زوراً وبهتاناً على طائفة من خيار الصحابة نجد كذلك نفرًا من الشباب المتحمس والذي ينقصه العلم الشرعي والفقهاء في الدين في هذا العصر، حملوا بعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين أكثر مما تحمل وركبوا بسبب ذلك مركباً صعباً^(٣).

(١) «البخاري»، كتاب الاعتصام رقم (٧٣١١).

(٢) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٢٦).

(٣) المصدر نفسه ص (١٥٥)، و«ظاهرة التكفير»، الأمين الحاج ص (١٤٦).

٦ - انتشار الفساد بين الناس:

من أكبر النكيات التي أصابت الأمة الإسلامية في هذا العصر: الفساد العقدي والانحراف الكبير عن منهج أهل السنة والجماعة، وظهور البدع بين المسلمين، ولم يعد الكثير منهم يفقه حقيقة الشهادة التي يرددونها صباح مساء: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما ترمي إليه هذه الكلمة، وما هي شروطها وحقيقتها؟ ولقد حاول أعداء الإسلام أن يفرغوا كلمة التوحيد من محتواها الكامل، ويحصر الإسلام في النطق بالشهادتين فقط، أو في التلفظ بهما مع إقامة الشعائر، ويزوي الدين كله في جانب قصي من الحياة؛ لكي يعيش المسلمون حينئذ في وهن وذل وخضوع وانهزام نفسي أمام الطغيان المادي وبهرج الحياة الزائف، كما هو حال المسلمين اليوم^(١)، وانتشر الفساد الخلقي بين الناس، وأشرف على هذا الإفساد أعداء الإسلام، وقد استشرى الفساد وعم بصورة جعلت بعض الأخيار يأسون من الإسلام، ومن ثم ولد هذا اليأس والقنوط في نفوس بعض الشباب الذي كان متحمساً للعمل الإسلامي، ردود فعل عنيفة، ردود الفعل هذه لها صور مختلفة ومتباينة فمنهم من انحرف مع التيار، ومنهم من اتخذ لنفسه موقفاً عدائياً سلبياً، وقنع أن هذا المجتمع الذي أصيب بهذا القدر من الفساد العقدي والأخلاقي لا خير فيه البتة، وربما حكم عليه بعضهم بأنه مجتمع كافر^(٢).

٧ - عدم تزكية النفوس:

إن من الأسباب الرئيسية لتولد بدعة التكفير، عدم تزكية النفوس بسبب ضعف الجانب التربوي مما يؤدي إلى الغرور والاستبداد، ويجعل المرء يشتغل بعيوب غيره، أكثر من اهتمامه واشتغاله بعيوب نفسه، وعدم تزكية النفوس يتولد منه أمراض خطيرة منها: العجلة، والاستعلاء بالطاعة، والهوى، واحتقار الناس، وعدم احترامهم، وربما إخراجهم من الملة^(٣).

هذه بعض الأسباب التي أدت لبروز ظاهرة الغلو في العصر الحديث.

(٣) المصدر نفسه ص (١٨٥).

(٢، ١) (ظاهرة التكفير) ص (١٥٢).

أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث :

إن مظاهر الغلو في العصر الحديث كثيرة منها:

١ - التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين:

من مظاهر الغلو في هذا العصر الخروج عن منهج الاعتدال في الدين، الذي كان عليه النبي ﷺ، وقد حذر النبي ﷺ من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»^(١) والتشدد في الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين، وهما من أبرز سمات الخوارج، أعني التشدد في الدين وقلة الفقه، وأغلب الذين ينزعون إلى خصال الخوارج اليوم تجد فيهم هاتين الخصلتين^(٢)، ومن مظاهر الغلو التعسير وترك التيسير، فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما لا يطيقون، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل، ولا يراعون قدراتهم وتفاوتها، وطاقتهم واستطاعتهم، وتباينها، وأفهامهم واختلافها، فيخاطبونهم بما لا يفهمون، ويطالبونهم بما لا يستطيعون، ومن أسباب التعسير الورع الفاسد، والجهل بمراتب الأحكام، والجهل بمراتب الناس، وأما مجالاته وصوره وأشكاله، إيجاب النظر والاستدلال على الجميع، وتحديث الناس بما لا يعرفون، وترك الرخص والإلزام بما لم يلزم به الشرع^(٣).

٢ - التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث:

من السمات البارزة في ظاهرة الغلو في الوقت المعاصر، التعالي والغرور، وادعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بديهيات العلم الشرعي، والأحكام وقواعد الدين، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ولا رأي سديد، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين

(١) «البخاري»، كتاب الإيمان، «فتح الباري» (١/٩٣).

(٢) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٣٠).

(٣) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٤٩-٢٤١).

والآخرين، فيستقل بغروره عن العلماء، عن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره ويهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد ويتناولون على العلماء وهم من أجهل الناس^(١)، وأدى التعالي والغرور إلى تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه، فاتخذ بعض الناس منهم رؤساء جهالاً، فأقتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ، ولا يعرف لهم قدرهم، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه، أو بخلاف موقفه أخذ يلزمهم إما بالقصور أو التقصير، أو الجبن والمداهنة، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم، وغرس الغل على العلماء والخط من قدرهم، ومن اعتبارهم وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ في دينهم ودنياهم^(٢).

٣ - الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين:

من أبرز معالم الغلو حديثاً التعصب للرأي، وعدم الاعتراف برأي الآخرين، وإنكار ما عنده من الحق ما دام خالفه في الرأي، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي، والانحياز له: قلة العلم، مصادفة الرأي لذهن خال، الإعجاب بالرأي، اتباع الهوى.

إن آفة الإعجاب بالرأي والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة، في أزمنة قبلنا، فما الذي هوى بذي الخويرة الجهول، يقول ابن الجوزي: وآفته أنه رضي برأي نفسه، ولو وَقَفَ لَعَلِمَ أنه لا رأي فوق رأي رسول الله ﷺ^(٣)، والذي هوى بأصحاب ذي الخويرة غير إعجابهم برأيهم، وظن السوء في غيرهم، وكانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه وهذا مرض صعب^(٤)، إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها، ولم

(٢) «الخوارج»، د. ناصر العقل ص (١٢٩).

(١) «الخوارج»، لناصر العقل ص (١٢٩).

(٤) المصدر نفسه ص (٩١).

(٣) «تلبس إبليس» ص (٩٠).

يستمعوا لمن يجليها لهم، ويفهمهم إياها؛ لأن الصواب هو رأيهم وما عداه خطأ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان، ولا حكم إلا لله، والتبرؤ من الظالمين، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا الدماء الإسلامية وشنوا الغارة في كل مكان^(١)، إن هذا التعصب المقيت قد صدهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه، فقد ناظرهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما وأزالوا أعدارهم، ودحضوا شبهاتهم، وأقاموا عليهم الحجج الدامغة، وأفحموهم بالبراهين الساطعة، فلم يستجب إلا بعضهم، واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين^(٢)، إن التعصب للرأي وتجهيل الآخرين يتنافى مع مبادئ هامة في الإسلام كالشورى والتناصح.

٤ - الطعن في العلماء العاملين:

شاهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة، ألا وهي الاعتداء على هيبة العلماء العاملين، وطعنهم بخناجر الزيف والضلال، ولقد شهدت الصحف والمجلات، والكتب والمقالات، وقاعات الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات، فجلب على أمة الإسلام أبلغ الأضرار، فشتت الشمل المشتت، وفرق الجمع المفرق، وعمق الشقائق الغائرة، ولا شك أن للطعن في العلماء أسباب منها: التعلم بدون معلم، الفهم الخاطيء لبعض عبارات العلماء، واتباع الهوى، والحسد، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيئ ألا وهو تتبع عورات العلماء وزلاتهم، وتصيد أقوالهم، وشواذ آرائهم، وتحريف كلمهم عن مقصودهم، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء في الطعن في العلماء قديماً وحديثاً ممن يخالف آراءهم، ولا يقر مناهجهم الحائدة عند الاعتدال، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام، وقرة عين لأعداء الإسلام من بني صهيون وعابدي الأوثان، وإن هذا المسلك المشين الذي يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقده، قد حذر

(١) «تاريخ المذاهب الإسلامية»، لمحمد أبي زهرة ص (٦١).

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (١٨٥).

منه العلماء لخطورته على المسلمين؛ ولأنه تنفيذ لمخطط أعداء الدين، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب^(١).

يقول ابن تيمية رحمه الله - وهو ينهى عن رواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء-: ومثل هذه المسألة الضعيفة، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه، ولا على وجه المتابعة له فيها، فإن ذلك ضرباً من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة، وبمثل ذلك صار وزير التتار يلقي الفتنة بين مذاهب أهل السنة، حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة ويوقعهم في مذهب الرافضة وأهل الإلحاد^(٢)، إن الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين، يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخباراتية سواء شعروا بذلك أم لا، والذين لا يزالون يطعنون في علماء الأمة بفعلهم هذا يكونون قد ابتعدوا عن منهج أهل السنة والجماعة، الذي يقول به علماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل^(٣)، وليعلم الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين: أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة، وما يدري هذا المتعلم أن الاعتبار في الحكم على الأشخاص بكثرة الفضائل، قال ابن القيم: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وأثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور، بل مأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته في قلوب المسلمين^(٤)، فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن في علمائهم؟ أبقى شباب أحداث، لا يحسنون التلاوة، ولا تستقيم لهم لغة، وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع؟

(٢) «الفتاوى» (١٣٧/٣٢).

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢١٥-٢٢٣).

(٤) «أعلام الموقعين» (٢٨٣/٣).

(٣) «شرح الطحاوية» (٧٤٠/٢).

إن أسلوب الطعن في العلماء قرّة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشئ جيلاً بلا قادة، وهل رأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟

إن أسوأ ما في الأمم السابقة علماءها وأحبارهم فقد كثر فيهم الضالون المضلون، قال تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

وأفضل ما في الإسلام علماءه الربانيون العاملون، قال الشعبي: كل أمة علماءها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءها خيارهم^(١)، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماءهم، فعلماءهم شرارهم، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم، فعلماءهم خيارهم^(٢).

٥ - سوء الظن:

لقد كثر هذا المرض واستشرى ضرره في عصرنا، وكانت هذه الآفة أداة فتك وتدمير، ووسيلة هدم وتخريب، وقد ترتب عليها نتائج خطيرة، ومفاسد عظيمة، ولهذه الآفة أسباب ودوافع منها: الجهل، فالجهل بتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى ذلك، عدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف خصوصاً إذا كانت المواقف غريبة، تحتاج إلى فقه دقيق، ونظر بعيد، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن، والاتهام بالعيب، والانتقاص من القدر، ومنها الهوى؛ وهو آفة الآفات، فيكفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه، ولا يرضاه، ولا يوافق عليه مبتغاه. . . . يكفي ذلك لأن يطلق للظن السيئ الحبال، ويرخي له العنان فيرتع ويصول ويجول، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق، ولا يحاول أن يلتمس المعاذير، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فهمه، فالهوى يصده عن ذلك، ومنها العجب والغرور، فأحسان المرء ظنه بنفسه، وغروره بفهمه، إن كان ذا فهم، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكي نفسه

ويحتقر غيره، فهو الصواب والكل خطأ وهو الحق والكل باطل، وهو الهدى والجميع ضلال، وقد رأينا أناساً بلغ بهم سوء الظن مبلغاً غريباً عجيباً، حتى خرجوا جميع الناس عداهم، أحياء وأمواتا، فرموهم بالزيف والضلال، وفساد الاعتقاد، فالجميع في عقيدته دخن ودخل وهم وحدهم المخلصون، الجميع هالكون وهم الناجون، إن الظن السيئ آفة، ولكل آفة آثار وخطورة، فمن آثاره السيئة والسيئ لا يلد إلا سيئاً.

* إنه يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن الزلات، والتنقيب عن السقطات، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه؛ لأن ذلك من صفات مرضى القلوب الذين توعدهم رسول الله صلوات الله عليه وآله - بالفضيحة فقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبع عوراتهم يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في بيته»^(١).

* كما يدفع صاحبه إلى الغيبة، ونهش أعراض الآخرين، والتشفي فيهم.
* وأخيراً فالظن السيئ يزرع الشقاق بين المسلمين، ويقطع حبال الأخوة، ويمزق وشائج المحبة، ويزرع العدا والبغضاء والشحناء.

ولما كانت هذه الآفة ذات خطورة عظيمة كما تبين، فقد كان موقف الإسلام حاسماً، فقد دعا وأمر باجتنب أكثر الظن؛ لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجري وراءه واتباعه عاقبته وخيمته وأضراره عظيمة^(٢)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

قال ابن كثير: يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو: التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً^(٣)، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك، قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً^(٤).

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٠١-٢١١).

(١) «مسند أحمد» (٤/٤٢١-٤٢٤).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/٢١٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٢١٢).

٦ - الشدة والعنف مع الآخرين:

من مظاهر الغلو حديثاً الشدة والعنف في التعامل مع الآخرين، واستخدامهما في غير محلهما، وكأن الأصل في التعامل مع الغير هو العنف والغلظة لا الرفق والرحمة، وهذه الشدة أصبحت هي الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب، وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل، فسفكت دماء بريئة بسببه ودمرت منشآت، ولقد تسبب هذا العنف في أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسية وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة، والقسوة والغلظة، نستطيع أن نجملها فيما يلي:

- المحن: فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى، أثرت في نفوسهم وكان لذلك رد فعل شديد، فقابلوا العنف بالعنف، وغلب ذلك على طباعهم.

- الجهل بفقہ الاحتساب: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي كلف الله بها هذه الأمة، وينبغي للقائم بها أن يكون فقيهاً فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة واجتناب المفسدة بأيسر طريق، فهناك أمور ينبغي فقهها والعلم بها لمن يؤدي هذا الواجب منها: إن هذا الواجب قد يؤدي تارة بالقلب وتارة باللسان، وتارةً باليد، والقلب واجب في كل حال، وبعض الناس قد يقع هنا في خطأ، فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً، من غير فقه وحلم وصبر، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ولرسوله ﷺ، وهو معتد في حدوده^(١)، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ولا بد من العلم بحال الأمور والمنهي، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصرط المستقيم، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود، ولا بد في ذلك من الرفق ولا بد أيضاً أن يكون حليماً صبوراً على الأذى، فإنه لا بد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فلا بد من

(١) «الفتاوى» (٢٨/١٢٧، ١٢٨٠).

هذه الثلاثة: الحلم، والرفق، والصبر، والحلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال، وقد ذكر القاضي أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه^(١)، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة.

- ولقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلظة والقسوة في إرشاد الناس ومحاورتهم لهم، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع، وظنوا أن طرق الشدة هي المجدية والرادعة، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل ولا يترك إلا بعد أن تستنفذ وسائله، لأنه هو المجدي النافع، المؤثر في النفس، أما الشدة فإنها تنفر في غالب الأحيان، وتحمل المخالف على الإصرار، ومن العجب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف على علم والجاهل الذي لا يدري، ولا بين الداعية للبدعة والضحية المضلل المخدوع، ولا بين المنكر المختلف فيه والمتفق عليه، ومن الأسباب الغليظة التي يسلكها بعض هؤلاء: الخشونة في معاملة الوالدين، فلا يقيم لهما حرمة، ولا يعاونهما ولا يخدمهما، لقد نسي هؤلاء أن الوالدين لها خصوصيات عن سائر الناس لا سيما في دعوتهما وإرشادهما ولا يعني ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين أو ارتكاب معصية إرضاءً لهوئهما. . . كلا. . . كلا. . . إنما نريد الأدب في المعاملة، واللين في القول، وحسن العشرة، والصبر عليهما والشفقة والرحمة بهم، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
القمان: ١٤، ١٥.

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء في نظرهم لا يستحقون أي خدمة، ولا كلمة طيبة، ولا مساعدة نافعة، فهؤلاء الشباب لم يتضح عندهم مفهوم الولاء والبراء وحدود كل منهما، فيطغى عندهم البراء على الولاء ونسوا أن الخدمات الاجتماعية وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة؛ لأنها عملية، فهي أبلغ تأثيراً في النفس من القول ونسوا أن خشونتهم في المعاملة، وتخليهم عن المساعدة؛ يعمق الهوة بينهم، ويذهب بهؤلاء الناس إلى صفوف المنحرفين أعداء الدين، ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلظة بالقول إلى القتل وسفك الدم- دم العلماء، أو الجنود الأبرياء، أو المواطنين العزل- وأخيراً فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء، كثيراً ما انقلب بعضهم على بعض، وتناولت الألسنة وأحياناً الأيدي، وذلك ليس بغريب إذا رجع الإنسان قليلاً لدراسة أحوال الفرق التي تركت كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها وضلل بعضها بعضاً وكفر بعضها بعضاً، وهكذا مصير من ترك المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء ﷺ، إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة في الدعوة ومعاملة الناس.

قال تعالى -أمراً موسى وأخاه هارون - : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] تلك هي توجيهات ربنا لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية، القول اللين في بيان الحق؛ لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى وإحداث الخشية، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [انصت: ٣٤، ٣٥].

إن الداعية قد يلتقى في طريقه ما يغضبه ويضايقه وهو لاقية لا محالة فلا بد أن يوطن نفسه بالصبر، ويحصنها بكظم الغيظ، والعفو عن الناس ﴿ يَا بَنِي آدَمَ الصَّلَاةَ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

وينبغي للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز، فيبتعد عن السباب والشتم ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١) الأنعام: ١٠٨.

ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد، وتركز على الالتزام بقاعدة الرفق، والبعد عن الشدة والعنف، قال عليه السلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(١).

والرفق هو الأصل في الدعوة، وليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية، لا، فالشدة مواضعها بعد استفاد وسائل الرفق والصبر، والموفق من وفقه الله لإنزال كل في منزله، وعصمه من هواه^(٢).

٧ - التكفير:

تلك هي قمة الغلو وذروته ولقد بدأت ظاهرة التكفير في عام ١٩٦٥م، وأخذت تتسع شيئاً مع عام ١٩٦٧م نتيجةً لبعض المحن، وأخذ هذا الفكر ينتشر رويداً رويداً حتى شكل ظاهرة بارزة، وقد رأينا كثيراً ممن يتصدون لتكفير الناس، قد غاب عنهم مبادئ هامة، فوقعوا فيما وقعوا فيه، ومن هذه المبادئ:

القاعدة الأولى: الذنوب: كبائر وصغائر، يقول ابن القيم: والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، بنص القرآن والسنة، وإجماع السلف وبالاعتبار^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ النساء: ٣١ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ النجم: ٣٢ وأجمع الجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر، وفي الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر»^(٤) فالذنوب متفاوتة في الإثم.

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٣١-٢٣٧).

(٤) «مسلم» (٢٠٩/١) رقم (٢٣٣).

(١) «مسند أحمد» (٤/٣٦٢).

(٣) «مدارج السالكين» (١/٢٣٧).

القاعدة الثانية: الكفر نوعان: أكبر وأصغر، لقد دلت النصوص على أن الكفر نوعان ينبغي التمييز بينهما، فالكفر الأكبر: منه التكذيب بما جاء به الرسول والجحود والإعراض، والأصغر: ذنوب توجب استحقاق الوعيد دون الجلود؛ كقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا...﴾ [الحجرات: ٩].

فقد وصف الله الطائفتين المقتلتين بالإيمان، فدل ذلك على أن وصف الكفر بهذا لا ينقل عن الملة، وذلك هو الكفر الأصغر: يقول ابن القيم: والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر، فإنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة^(٢).

القاعدة الثالثة: تفاوت البدع:

لقد ذم الإسلام البدع بجميع أنواعها، وردها على صاحبها: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(٣)، وقال ﷺ: «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها»^(٤)، غير أن بعض الناس قد وقفوا في البدعة لغلبة أهوائهم، وسيطرة الشبهات عليهم فاستحقوا بذلك الذم، غير أنهم متفاوتون في الإثم لتفاوت البدع فمثلاً: بدعة التكفير ليست كبدعة صوم النصف من شعبان، فقبل إصدار أي حكم ينبغي النظر إلى البدعة، والمبتدع الجاهل المقلد غير الداعية، فلا يستوي الأول والثاني، كذلك المجاهر والمسر.

القاعدة الرابعة: للتكفير شروط وموانع:

هذه القاعدة من أهم القواعد، وقد تخفى على كثير، فينبغي التنبيه لها، ومراعاتها في كل حكم، فقد يرتكب المرء ذنباً هو كفر، وقد يقول قولاً هو كفر، وقد يعتقد اعتقاداً هو كفر، فهل بمجرد اقترافه لهذا القول أو الفعل أو الاعتقاد يصبح كافراً حلال الدم والمال؟.

(٢) «مدارج السالكين» (١/٢٥٣).

(٤) «البخاري» رقم (٧٢٧٧).

(١) «مسلم» (١/٨٢) رقم (٦٦).

(٣) «البخاري» (٢/٣) رقم (٢٦٩٧).

أجاب العلماء: بأن هذا الشخص المعين لا يكون كافرًا حلال الدم والمال إلا إذا توفرت فيه عدة شروط، وانتفت عنه عدة موانع، حينئذ يجوز الحكم عليه بالكفر، أما إذا انتفى أي شرط أو وجد أي مانع؛ فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر، وليس معنى هذا إعفائه من العقوبة تمامًا، بل يعاقب على حسب حاله، إنما الممنوع الحكم عليه بالكفر لا مطلق العقوبة.

شروط التكفير:

هناك شروط ثلاثة لا بد من اجتماعها فيمن عمل عملاً يستحق عليه الوعيد كاللعن والكفر، وإذا سقط شرط منها فيمتنع لعن الشخص وتكفيره وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: العلم: فلكي يحكم على شخص بالكفر؛ لأنه عمل عملاً، أو قال قولاً، واعتقد اعتقاداً هو كفر، لا بد قبل الحكم من التأكد من معرفة هذا الشخص بأن ما يفعله كفر، وأنه مخالف لما يجب فعله من الحق والصواب، فإذا كان جاهلاً بالحق والصواب، فلا تشرع عقوبته قبل بيان الحق والصواب بياناً شافياً، فالله سبحانه وتعالى لم يشرع العقوبة قبل إقامة الحجة^(١)، قال عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴿[الملك: ٨، ٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤].

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٦٥-٢٦٧).

فهذه النصوص القرآنية تفيد: أن الله تعالى لا يؤاخذ عباده إلا بعد قيام الحجة عليهم، وعلمهم بالحق والصواب، وقد ثبت في نصوص أخرى أن الله لا يؤاخذ الجاهل، ولو كان جهله بمسائل في العقيدة^(١).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له»، وفي رواية: «مخافتك يا رب»^(٢).

هذا الحديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبي سعيد، وحذيفة وعقبة بن عمرو، وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة، يعلم أهل الحديث أنها تفيد العلم اليقيني، وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ممن لم يشركهم في أسباب العلم، فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم، بعدما أحرق وذري، وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك، وهذان أصلان عظيمان:

أحدهما: متعلق بالله تعالى، وهو الإيمان بأن الله على كل شيء قدير.

والثاني: متعلق باليوم الآخر، وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله.

مع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة، ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة، وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت، وقد عمل صالحاً، وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه، فغفر الله له بما كان منه في الإيمان بالله واليوم الآخر، والعمل الصالح^(٣)، والأدلة من السنة كثيرة.

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٦٧).

(٢) «البخاري»، رقم (٣٤٧٨).

(٣) «الفتاوى» (١٢/٤٩١)، و«الفصل في الملل والنحل» لابن حزم (٣/٢٩٦).

الشرط الثاني: العمد: بعد استيفاء شرط العلم، وبيان دليل الحق والصواب للمخالف، والتأكد من وصوله إليه، إن ظل على فعله أو قوله أو اعتقاده الذي يجلب الكفر أو اللعن، لا يجوز الحكم عليه بالكفر إلا بعد استيفاء شرط آخر، وهو العمد، فنرى هل تعمد نصره القول الباطل، ومخالفة الحق بعد وصوله إليه ووضوحه، أو هو مخطئ متأول قد عرضت له بعض الشبه؟ لا بد من توفر شرط العمد؛ لأن الله تعالى قد رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول^(١)، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قال: قد فعلت»، لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بهذا الدعاء، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، وأنه لم يقرأ بحرف منها إلا أعطيتها»^(٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان»^(٣).

وقال ابن تيمية: وذلك بعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية^(٤).

الشرط الثالث: الاختيار والقدرة:

إذا علم المرء الحق وقال بخلافه ولم يكن متأولاً هل يكفي ذلك للحكم عليه؟ هنا نتقل إلى الشرط الثالث، فننظر في حال هذا الشخص، وهل قال هذا القول الباطل وهو مختار قادر أو لا؟ وهذا الشرط لا بد من توفره؛ لأن النصوص والوقائع بينت أن الله تعالى لا يؤاخذ المكره والعاجز عن الاختيار^(٥)، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

(١) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٧٠). (٢) «مسلم» رقم (١٧٣، ٨٠٦).

(٣) «سنن ابن ماجه» رقم (٢٠٤٣)، صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٤٧/١).

(٤) «الفتاوى» (٢٢٩/٣). (٥) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٧٤).

موانع التكفير المعين: الخطأ والجهل والعجز والإكراه^(١).

موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين:

قد بين ابن تيمية رحمه الله أن موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين عشرة هي: التوبة والاستغفار، الحسنات الماحية، دعاء المؤمنين، ما يعمل للميت من دعاء البر، شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة، المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا، ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر الله به الخطايا، أهوال يوم القيامة وكربتها وشدائدها، رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد، تلك أسباب عشرة تمنع من لحوق الوعيد بالشخص المعين إذا تلبس ما يوجب الوعيد^(٢)، فإذا عدت هذه الأسباب كلها ولن تعدم إلا في حق من عتا وتمرد، وشرد على الله شراد البعير على أهله، فهنالك يلحق الوعيد به، فإن قيل: فما فائدة الوعيد إذن؟ فالإجابة: وذلك لأن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب في هذا العذاب فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه، أما أن كل شخص قام به ذلك السبب يجب وقوع ذلك المسبب به، فهذا باطل قطعاً؛ لتوقف ذلك المسبب على وجود الشرط وزوال جميع الموانع^(٣).

معنى من لم يكفر الكافر فهو كافر:

من العبارات التي اشتهرت على ألسنة من يلهبون الناس بسياط التكفير قولهم: من لم يكفر الكافر فهو كافر، وجعلوا هذه القاعدة مسوغاً لتكفير من يخالفهم في رأيهم، وحقيقة إن هؤلاء الناس لم يحسنوا إنزال هذا القول منزله، ولم يجيدوا فهمه، فالمراد بالكافر الذي من لا يكفره يكون مثله، هو الشخص المقطوع بكفره الذي توفرت فيه جميع الشروط وانتفت عنه جميع الموانع، ومن

(١) «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» (٢/٢٣٠-٢٦٦).

(٢) «ظاهرة الغلو في الدين» ص (٢٨١-٢٨٤).

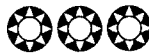
(٣) «الفتاوى» (٢٠/٢٥٤، ٢٥٥).

كان كافرًا من البداية ولم يدخل في الإسلام أبدًا مثل فرعون، أبي جهل، أبي لهب، ماركس... إلخ، فمن لم يكفر هؤلاء وأمثالهم فهو مثلهم، وأما الشخص الخفي حاله لإظهاره الإسلام مثلاً وإبطانه الكفر وكرهيته الإسلام، فمثل هذا الشخص من اطلع على حاله، وعرف حقيقته في مجالسه الخاصة وللقرب منه، وتحقق من وجود الشروط، وانتفاء الموانع وجب عليه اعتقاد تكفيره، ومن لم يطلع، وشهد له بالإسلام، فلا إثم عليه لأنه شهد بما علمه، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر، وقد كان المنافقون يعاملون بما يعامل به المسلمون؛ لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ولا يعلنون كفرهم بل يطنونه، وقد دلت أعمال أئمة السلف على أن المراد بالكافر هو المقطوع بكفره لا المختلف فيه؛ إذ المختلف في تكفيره لا يكفر من لم يكفره ودليل ذلك: أن الإمام أحمد كان يرى كفر تارك الصلاة، وكان الأئمة الثلاثة لا يرون كفره وقد دارت مناقشة بين الإمام الشافعي والإمام أحمد حول هذه المسألة، فهل حكم أحمد على الشافعي بالكفر لعدم تكفيره تارك الصلاة؟ بالطبع لا.

وقد حقق ابن تيمية ما نسب إلى الإمام أحمد من الحكم على من لا يكفر أهل البدع، فقال: وعنه في تكفير من لا يكفر روايتان أصحهما: لا يكفر^(١)، وهذا في حق من لم يكفر الكافر المختلف في كفره، أما المقطوع بكفره فلا، وما نسب إلى الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من تكفير من لا يستحق ذلك، فهذه نبذة من أقواله توضح منهجه في الدعوة، وينفي بها عن نفسه ما نسب إليه زوراً وبهتاناً من تكفير من لا يستحق ذلك، قال رحمه الله في رسالته للشريف: وأما الكذب والبهتان مثل قولهم: أنكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، وكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله صلوات الله عليهم، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي

على أحمد البدوي ، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ، ويقا تل ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم^(١) ، وفي رده في رسالته إلى السويدي البغدادي يقول : وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، فيا عجباً ، فكيف يدخل هذا عقل عاقل ؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ؟ إلى أن قال : وأما التكفير : فأنا أكفر من عرف دين الإسلام ثم بعدما عرفه سبه ، ونهى الناس عنه وعادى من فعله وهذا هو الذي أكفره ، وأكثر الأمة والله الحمد ليسوا كذلك^(٢) .

تلك قواعد هامة ينبغي مراعاتها قبل النظر في مسألة التكفير ، وهي قواعد اتفق عليها العلماء واعتبروها في أحكامهم ، لذلك عصمتهم من الزلل ، ووقتهم من السقوط في هاوية التكفير ، وثبتتهم على الصراط المستقيم ، والطريق السوي ، والسبيل القويم الذي لا عوج فيه ولا انحراف ، ومن أراد المزيد في بحث هذه المسألة فليراجع : «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» للدكتور عبد المجيد المشعبي ، و«ظاهرة التكفير» للأمين الحاج محمد أحمد ، و«ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث» لمحمد عبد الحكيم حامد ، و«الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة» لعبد الرحمن بن معلا اللويجف ، و«شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر» ، لسالم البهنساوي ، و«الحكم وقضية تكفير المسلم» ، لسالم البهنساوي .



المبحث الثاني

أمير المؤمنين رضي الله عنه علي وفكر الشيعة

أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح، والرفض في اللغة والاصطلاح:

١. الشيعة في اللغة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره ويقال: شايعه كما يقال: والاه من الولي . . . وتشيع الرجل أي: ادعى دعوى الشيعة، وتشايح القوم صاروا شيعاً، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعضهم فهم شيع، وقوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ {سبا: ٥٤} أي بأمثالهم من الأمم الماضية^(١).

وجاء في المصباح المنير: والشيعة: الأتباع والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة نبرا - أي وصفاً - بجماعة مخصوصة والجمع شيع مثل سدره وسدر، والأشباع جمع الجمع وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها^(٢) فالشيعة: من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان، وقدر ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ {القصص: ١٥} وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ {الصافات: ٨٣} فلفظ الشيعة في الأولى تعني القوم، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

٢. تعريف الشيعة في الاصطلاح:

إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن من الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر، فالمتشيع في العصر الأول غير المتشيع فيما بعده، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى

(٢) «المصباح المنير»: شيع .

(١) «الصحاح» للجوهري، و«اللسان العرب»، (شيع).

شيعياً إلا من قدم علياً على عثمان، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم علياً على عثمان^(١)، فعلى هذا يكون التعريف للشيعية في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط^(٢)، ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر^(٣)، وقد منع شريك بن عبد الله - وهو ممن يوصف بالشييع - إطلاق اسم التشيع على من يفضل علياً على أبي بكر وعمر؛ وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك، والتشيع يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنازعة^(٤).

وروي ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد ابن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبدالله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، فقال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك، في فضل أبي بكر وعمر وتقدمهما، وقدمت الآن وهم يقولون ما يقولون، ولا والله ما أدري ما يقولون^(٥). قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخي عظيم فيه تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها^(٦). ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمر حتى توفي سنة ١٢٧هـ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر، وعمر، ومتى أخذوا يفارقون علياً ويخالفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه، صاحبي رسول الله ﷺ ووزيره وخليفته على أمته في أنقى وأطهر

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٦٤/١).

(٢) «فتاوى ابن تيمية» (١٥٣/٣)، و«فتح الباري» (٣٤/٧).

(٣) «منهاج السنة» (٦٠/٢).

(٤) «المنتقى» ص (٣٦٠).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (٦٥/١).

(٦) ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٦٣/٨)، و«الخلاصة» ص (٢٩١).

أزمانها^(١)، وقال ليث بن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون علي أبي بكر وعمر أحداً^(٢)، وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير عليه السلام من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأحلوه من الفضل محلّه، ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتكفيره وسبه^(٣)، ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء، والسلامة والسمو، بل إن مبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعاً وصار التشيع قناعاً يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين. ولهذا نسمي الطاعنين في الشيخين الراضية؛ لأنهم لا يستحقون وصف التشيع^(٤)، ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين، وغير المحدثين من العلماء والأعلام أطلق عليهم لقب الشيعة، وقد يكونوا من أعلام السنة؛ لأن للتشيع في زمن السلف مفهوماً وتعريفًا غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة ولهذا قال الذهبي في معرض الحديث عن رومي ببدعة التشيع: إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى، كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير في التابعين، وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر عليهما السلام، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم، ولا كرامة أيضاً فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً، ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذه حاله، حاشا وكلا، فالشيوعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير، وطلحة ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً عليه السلام وتعرض لسبهم والغالي

(١) «حاشية المنتقى» ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٢) «المنتقى» ص (٣٦٠، ٣٦١).

(٣) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص (٣).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (١/٦٦، ٦٧).

في زمننا وعُرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر^(١)، إذن التشيع درجات، وأطوار، ومراحل، كما أنه فرق وطوائف، وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات، أنها دأبت على القول في التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع علي... إلخ .

وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها، وهذه النتيجة أن يكون علي شيعياً يرى ما يراه الشيعة، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بريء مما تعتقده الشيعة فيه وفي بنيه ولذلك لا بد من وضع قيد واحتراز في التعريف رفعاً للإبهام، فيقال: هم الذين يزعمون اتباع علي؛ حيث إنهم لم يتبعوا علياً على الحقيقة، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون^(٢)، أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلي، أو الراضية، ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله: الراضية المنسوبون إلى شيعة علي^(٣)، فهم أيضاً ليسوا على منهج شيعة علي المتبعين له، بل هم أدياء وراضية^(٤) .

٣- الرفض في اللغة:

هو الترك، يقال: رفضت الشيء: أي تركته^(٥)، فالرفض في اللغة معناه الترك والتخلي عن الشيء .

٤- الراضية في الاصطلاح:

هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا القليل منهم، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم^(٦)، قال الإمام أحمد رحمه الله: الراضية: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد

(١) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٦٠٥/١)، و«لسان الميزان» (١٠٠٩/١) .

(٢) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (٦٨/١) .

(٣) «منهاج السنة» (١٠٦ / ٢) .

(٤) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (٦٩/١) .

(٥) «القاموس المحيط» للفيروز آبادي (٣٣٢/٢)، و«مقاييس اللغة» (٤٢٢/٢) .

(٦) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٥) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسبونهم وينتقصونهم^(١)، وقال عبد الله بن أحمد - رحمه الله - سألت أبي عن الرافضة، فقال: الذين يشتمون - أو يسبون - أبا بكر وعمر رضي الله عنهما^(٢)، وقال أبو القاسم التيمي الملقب بقوام السنة في تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ورضي عن محبهما^(٣)، وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر، دون غيرها من الفرق الأخرى، وهذا من عظيم خذلانهم قاتلهم الله^(٤)، يقول ابن تيمية - رحمه الله -: فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما، دون غيرهم من الطوائف^(٥)، وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا: وهو جعلهم محبة الشيخين وتوليئهما من عدمهما هي الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب، فقد روى الدراري عن محمد بن علي بن موسى قال: كتبت إلى علي بن محمد عليه السلام^(٦) عن الناصب هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت^(٧)، واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب^(٨).

٥ - سبب تسميتهم رافضة:

يرى جمهور المحققين أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة؛ لرفضهم زيد بن علي وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه، حين خروجه على هشام بن عبد الملك، في سنة إحدى وعشرين ومائة وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين فنهاهم عن ذلك، يقول أبو الحسن الأشعري: وما كان زيد بن علي

(١) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٣٣/١).

(٢) «السنة» للخلال رقم (٧٧٧)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٣) «الحجة في بيان المحجة» (٤٧٨/٢).

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٦).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤٣٥/٤).

(٦) هو أحد الأئمة الاثنا عشرية عند الإمامية، «وفيات الأعيان» (٢٧٢/٣).

(٧) يعنون بهما: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كما جاء ذلك في «تفسير العياشي» (٢٤٦/١)، وهو من أهم كتب التفسير عندهم، عند قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ» {النساء: ٥٠}.

(٨) «المحاسن النفسانية»، لمحمد آل عصفور الدراري ص (١٤٥).

يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺ وكان يتولى أبا بكر وعمر، ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه فترفق عنه الذين بايعوه فقال لهم: رفضتموني فيقال: إنهم سموا رافضة؛ لقول زيد لهم: رفضتموني^(١)، وبهذا القول قال قوام السنة^(٢)، والرازي^(٣)، والشهرستاني^(٤) وابن تيمية^(٥) - رحمهم الله - وذهب الأشعري في قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة؛ لرفضهم إمامة الشيخين، قال: وإنما سموا رافضة؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر^(٦).

٦. رافضة اليوم:

والرافضة اليوم يغضبون من هذه التسمية ولا يرضونها، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقتها بهم مخالفوهم، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينبز به من يقدم علياً رضي الله عنه في الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام^(٧)، ولهذا يتسمون اليوم الشيعة وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية، وفي الحقيقة إن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايح علياً رضي الله عنه^(٨)، وقد ذكر أصحاب الفرق والمقالات أنهم ثلاثة أصناف:

أ - غالية: وهم الذين غلوا في علي وادعوا فيه الألوهية أو النبوة .
 ب - ورافضة: وهم الذين يدعون النص على استخلاف علي ويتبرؤن من الخلفاء قبله وعامة الصحابة .

ج - وزيدية: وهم أتباع زيد بن علي، الذين كانوا يفضلون علياً على سائر

- (١) «مقالات الإسلاميين» (٣٧/١) .
 (٢) «الحجة في بيان المحجة» (٤٧٨/٢) .
 (٣) «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ص (٥٢) .
 (٤) «الملل والنحل» (١٥٥/١) .
 (٥) «منهاج السنة» (٨/١) ، و «المجموع الفتاوى» (٣٦/١٣) .
 (٦) «مقالات الإسلاميين» (٨٩/١) .
 (٧) «عيان الشيعة» (٢٠/١) .
 (٨) «مقالات الإسلاميين» (٦٥/١) ، و «الملل والنحل» للشهرستاني (١٤٤/١) .

الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر^(١)، فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح؛ لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية^(٢)، وهم يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، بل إن تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا في عهد علي رضي الله عنه ومن بعدهم فإن هؤلاء مجمعون على تفضيل الشيخين علي رضي الله عنه وإنما كانوا يرون تفضيل علي على عثمان وهؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخير والفضل، ويقول ابن تيمية - رحمه الله - ولهذا كان الشيعة المتقدمون الذين صحبوا علياً، أو كانوا في ذلك الزمان، لم يتنازعو في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان^(٣)، ولذا فإن تسمية «الرافضة» بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين تقليداً للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم، ومقتهم إياهم، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهاً وتدليساً على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم، فكان من آثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة؛ لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه يتنزل على الرافضة في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم^(٤)، وعليه فإن من الواجب، أن يسمى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي، الذي اصطلح عليه أهل العلم وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق؛ لما في ذلك من اللبس والإبهام، وإذا ما أطلق عليهم مصطلح «التشيع» فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة؛ كأن يقال «الشيعة الإمامية» أو «الشيعة الاثني عشرية» على ما جرت بذلك عادة العلماء عند ذكرهم^(٥)، والله تعالى أعلم .

(١) «مقالات الإسلاميين» (١ / ٣٧، ٦٦، ٨٨)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١ / ٢٥) .

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٢٩) .

(٣) «منهاج السنة» (١ / ١٣) .

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٠) .

(٥) المصدر نفسه ص (٣٢) .

ثانياً: نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود في نشأتهم:

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الرافضة التي انبت عليها عقائدهم الأخرى: رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ من يهود اليمن، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأخذ يتنقل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد، وهذا نص ما ذكره الطبري في تاريخه قال - كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً لا يرجع وقد قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ١٨٥]، فمحمّد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان عليّ وصيّ محمّد، ثم قال: محمّد خاتم الأنبياء، وعليّ خاتم الأوصياء، ثم قال لهم بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله ووثب عليّ وحى رسول الله صلّى الله عليه وآله وتناول أمر الأمة، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله صلّى الله عليه وآله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا الطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعائه وكاتب من كان استفسده في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم^(١)، وهكذا كانت بداية الرفض، وما زالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال وتشربها قلوبهم وعقولهم، حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد هذه الشرذمة الفاسدة، حتى إذا ما جاء عهد علي بن أبي طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل

(١) «تاريخ الطبري» (٥/٣٤٧).

إلى أن بلغت علياً رضي الله عنه فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها، ومما صح في ذلك عن علي رضي الله عنه ما رواه ابن عساكر عن عمار الدهني قال: سمعت أبا الطفيل يقول: رأيت المسيب بن لجة أتى به ملبيه - يعني ابن السوداء - وعلي على المنبر فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله^(١).

وعن يزيد بن وهب عن علي قال: مالي ولهذا الحميت^(٢) الأسود^(٣)، ومن طريق يزيد ابن وهب أيضاً عن سلمة عن شعبة قال علي بن أبي طالب: ما لي ولهذا الحميت الأسود - يعني عبد الله بن سبأ - وكان يقع في أبي بكر وعمر^(٤).

وهذه الروايات ثابتة عن علي رضي الله عنه بأسانيد صحيحة^(٥)، وحكى المؤرخون وأصحاب الفرق والمقاتلات: إن ابن سبأ ادعى الربوبية في علي رضي الله عنه فأحرقه علي - هو وأصحابه - بالنار^(٦)، يقول الجرجاني: السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ وكان أول من كفر من الرافضة، وقال: علي رب العالمين، فأحرقه علي وأصحابه بالنار^(٧)، ويقول الملطي في معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ. قالوا لعلي رضي الله عنه: أنت أنت، قال: ومن أنا؟ قالوا: الخالق الباري فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم ناراً ضخمة وأحرقهم وقال مرتجلاً:

أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبِرًا^(٨) لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا

وذهب بعض المؤرخين إلى أن علياً رضي الله عنه لم يحرق ابن سبأ وإنما نفاه إلى المدائن. ثم ادعى بعد موت علي رضي الله عنه أن علياً لم يميت، وقال لمن نعاه: لو

(١) «تاريخ دمشق»، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٣٥).

(٢) الحميت: هو وعاء سمن الذي متن بالرُب، ويطلق على التين من كل شيء، وفي حديث وحشي: كأنه حميت، قال ابن حجر: «أي زق كبير وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءاً» «فتح الباري» (٧/٣٦٨).

(٣) (٤،٣) «فتح الباري» (٧/٣٦٨).

(٥) «عبد الله بن سبأ» للعودة ص (٩٨)، والأسانيد حكم عليها الألباني.

(٦) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٦).

(٧) «التعريفات» ص (١٠٣).

(٨) «التنبيه على أهل الأهواء والبدع» ص (٨).

جئتمونا بدماعه في سبعين صرة ما صدقنا موته^(١)، ولعل القول الأول هو الصحيح ويشهد له ما جاء في صحيح البخاري، وعن عكرمة قال: أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلوات الله عليه: «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله صلوات الله عليه: «من بدل دينه فاقتلوه»^(٢).

قال ابن حجر في شرح الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات في هؤلاء المحرقين وفيها: إنهم ناس كانوا يعبدون الأصنام، وفي بعضها: إنهم قوم ارتدوا عن الإسلام، وعلى اختلاف بين الروايات في تعيينهم قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفراييني في «الملل والنحل» أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادعوا فيه الألوهية وهم السبئية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً أظهر الإسلام، وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما روينا . . . من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري قال: قيل لعلي: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا^(٣)، ثم ساق بقية الرواية وفيها: إن علياً رضي الله عنه استتابهم ثلاثًا فلم يرجعوا، فحرقهم بالنار في أخاديد قد حفرت لهم وقال:

أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُبْرًا لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا

قال ابن حجر: وهذا سند حسن^(٤)، والمقصود هنا هو ظهور عقائد الشيعة الرافضة المتمثلة في الغلو في علي رضي الله عنه في تلك الفترة الزمنية، وإمعان علي رضي الله عنه في عقوبتهم حتى قال ابن عباس ما قال، كما ثبت إنكار علي رضي الله عنه لكل العقائد الأخرى التي ظهرت في عهده، وانتظمت في سلك التشيع له كتفضيله على عامة الصحابة وتقديمه على الشيخين، وكان انتشار سب الصحابة والإزراء عليهم بين أولئك الضلال.

(١) «الفصل» لابن حزم (٣٦/٥)، و«التبصير في الدين» للإسفراييني .

(٢) «البخاري»، كتاب استتابة المرتدين رقم: (٦٩٢٢) .

(٣) (٤، ٣) «فتح الباري» (١٢ / ٢٧٠) .

قال ابن تيمية - رحمه الله - ولما أحدثت البدع الشيعة في خلافة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ردها وكانت ثلاث طوائف غالية وسبابه، ومفضلة، فأما الغالية فإنه حرقهم بالنار فإنه خرج ذات يوم من باب عنده فسجد له أقوام فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله فاستتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا، فأمر في الثالث بأخاديد فخذت وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها .

وأما السبابة: فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا وكلم فيه أميره، وكان علي يداري أمراءه؛ لأنه لم يكن متمكناً ولم يكونوا يطيعونه في كل ما يأمرهم به .

وأما المفضلة: فقال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتريين فقال: وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر^(١) .

وعلى كل حال فعقائد الرافضة مع ظهورها في عهد علي رضي الله عنه إلا أنها بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة، حتى انقضى عهد علي رضي الله عنه وهي على تلك الحال، وقد أفرد الدكتور سعدي الهاشمي عقيدة ابن سبأ والبدع التي نادي بها في رسالته «ابن سبأ حقيقة لا خيال»، وذكرها في كتابه «الرواة الذين تأثروا بابن سبأ» وأهم البدع التي نادي بها ابن سبأ، القول بالوصية، وهو أول من قال بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص، وأول من أظهر البراءة من أعداء علي رضي الله عنه بزعمه، وكاشف مخالفه، وحكم بكفرهم، وأول من قال بالوهية وربوبية علي رضي الله عنه، وكان أول من ادعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة، وكان أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته ورجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من ادعى أن علياً رضي الله عنه هو دابة الأرض، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق، وقالت السبئية: إنهم يموتون وإنهم يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطيارة، وقال قوم منهم - السبئية - بانتقال

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٥/١٨٤، ١٨٥).

روح القدس في الأئمة، وقالوا بتناسخ الأرواح، وقالت السبئية: هدينا لوحى ضل عنه الناس، وعلم خفي عنهم، وقالوا: إن علياً في السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه، هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه وصاروا بها من الغلاة^(١).

إن فرق الشيعة الرافضة، كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طوراً زمنياً، ومرت بمراحل، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن علياً وصي محمد - كما مر - وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة، وهي أساس التشيع الرافضي كما يراه شيوخ الشيعة الروافض، ومن ذلك ما جاء في «الكافي» عن أبي الحسن قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولاً إلا بنبوته محمد - صلى الله عليه وسلم - ووصية علي رضي الله عنه^(٢).

وشهدت كتب الشيعة الروافض - كما سيأتي تفصيله بإذن الله - بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرحامه وخلفائه، وأقرب الناس إليه رضي الله عنه، والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة الروافض في الصحابة كما هي في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال برجعة علي^(٣)، والرجعة من أصول الشيعة الروافض كما سيأتي بإذن الله، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد بن الحنفية^(٤) في رسالة الإرجاء^(٥)، وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت في صحيح

(١) «الرواة الذين تأثروا بابن سبأ»، د/ سعدي الهاشمي ص (١٩، ٢٠).

(٢) «أصول الكافي» (٤٣٧/١)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٧١/١).

(٣) «المقالات والفرق» للقمي ص (٢١)، و«فرق الشيعة» للنوبختي ص (٢٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٩٦/١).

(٤) «تهذيب التهذيب» (٣٢/٢).

(٥) «رسالة الإرجاء» ضمن كتاب «الإيمان» لمحمد العدني ص (٢٥٠-٢٩٤).

البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر، وأن علياً رضي الله عنه سئل عنها، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو مما ليس عند الناس؟ فنفي ذلك نفيًا قاطعاً^(١)، هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة الراضية^(٢).

وقد وجدت إثر مقتل عثمان رضي الله عنه وفي عهد علي رضي الله عنه ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة معروفة، بل إن السبئية ما كادت تظل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه كما مر معنا، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحاً لظهور هذه العقائد، وتمثله في جماعة كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسين، كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومناق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطاءه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاضم خطرها، حيث وجد لابن سبأ خلفاء كثيرين، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاتة والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الراضية اليوم^(٣).

إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي ثم الحسين... إلخ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث... لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي رضي الله عنه، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة... إلخ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان، دخيلة على المسلمين ترجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد

(١) «البخاري»، كتاب العلم مع الفتح (٢٠٤/١).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (٩٧/١).

(٣) «أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» (٩٨/١).

ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من العقائد الفاسدة، كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم، ولهذا ذهب ابن تيمية رحمه الله إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من قبلها...، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع^(١).

ثالثاً: المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة:

مرت الشيعة الرافضة في نشأتها بعدة مراحل حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة، ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

١. المرحلة الأولى:

دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة، كدعوته لعقيدة الرجعة، وإحداثة القول بالوصية لعلي رضي الله عنه، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ في ترويح فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

أ - اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته، حيث بث دعوته في بلدان مصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار، كما مر في كلام الطبري^(٢)، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقهاء بدين الله تعالى؛ وذلك لقرب عهداها بالإسلام فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقه والتلمذ والتربية على أيديهم.

(١) «منهاج السنة» (٤/١٤٧)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/١٠٩). (٢) «تاريخ الطبري» (٥/٣٤٧).

ب - إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر والخديعة، أحاط دعوته بستر من التكتم والسرية، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس، وأصحاب الأغراض الخبيثة، ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيداً لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبري السابق عن ابن سبأ: فبث دعواته، وكتب من كان استفسده في الأمصار، وكتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم^(١) يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون^(٢).

٢. المرحلة الثانية:

إظهار هذا المعتقد والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفساً في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة، ممن أصلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلي بمصيبتهم في مقتل عثمان رضي الله عنه، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين، ومما يدل على ذلك ما نقله الطبري: وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم^(٣)، وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السيئة وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها، يقول ابن حزم مقررًا ذلك: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبدلوا السيوف فيهم، فدفع القوم عن أنفسهم^(٤).

(٢) المصدر نفسه (٣٤٨/٥).

(٤) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢٣٩/٤).

(١) «تاريخ الطبري» (٣٤٧/٥).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥٢٦/٥).

٣. المرحلة الثالثة:

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة وذلك بعد مقتل الحسين رضي الله عنه للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبري في حوادث سنة أربع وستين للهجرة، وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي وتكاتبوا في ذلك^(١)، وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله ابن عوف بن الأحمر الأزدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصره وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم ولم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صرد الحزاعي، وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى المسيب بن نجبة الزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وإلى عبد الله وال التيمي، وإلى رفاعة بن شداد البجلي، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم^(٢)، وكان هذا الاجتماع عام يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً، ثم لم تعجب سليمان قتلهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنأدى في الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريباً من عشرين ألفاً^(٣)، ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد بن الحنفية، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة

فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة^(١)، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة واقتتلوا قتالاً عظيماً لمدة ثلاثة أيام.

يقول ابن كثير: لم ير الشيب والمرد مثله لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل^(٢)، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة^(٣)، وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: وبعد فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله، فأعدوا واستعدوا وأبشروا^(٤)، يقول ابن كثير: وقد كان قبل قدومهم قد أخبر الناس بهلاكهم عن ربه، الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان فيوحي إليه قريباً مما كان يوحي شيطان مسيلمة له^(٥)، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات، ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضع فيقتله^(٦).

٤. المرحلة الرابعة:

انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عندما

(٢) المصدر نفسه (٨/٢٥٧).

(٤) المصدر نفسه (٨/٢٥٨).

(٦) المصدر نفسه (٨/٢٧١).

(١) «البداية والنهاية» (٨/٢٥٤).

(٣) المصدر نفسه (٨/٢٥٦، ٢٥٧).

(٥) «البداية والنهاية» (٨/٢٥٧).

خرج زيد بن علي ابن الحسين على هشام بن عبد الملك^(١)، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية^(٢).

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام، عند خروج زيد ابن علي في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة^(٣)، وقال: ومن زمن خروج زيد افتقرت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه^(٤)، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقداتها^(٥)، والله تعالى أعلم .

هذا وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة، فذكروا منها: السبئية، والغرابية، والبياتية، والمغيرية، والهاشمية، والخطابية، والعلبائية، والكيسانية، والزيدية الجارودية، والسليمانية، والصالحية، والبترية، وبعض هذه الفرق غالت غلوًّا عظيمًا، والبعض الآخر أقل غلوًّا، ومن أراد الاستزادة فليراجع «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري، و«الملل والنحل» للشهرستاني، و«الفرق بين الفرق» لأبي الطاهر البغدادي، و«فرق معاصرة» للدكتور غالب بن علي عواجي وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين .



(١) «تاريخ الطبري» (٧/ ١٦٠)، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٤٧) .

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٦/١٣) .

(٣) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٧) .

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٤٨) .

(٥) «منهاج السنة» (١/ ٣٥) .

المبحث الثالث

من أهم عقائد الشيعة الرافضة « الإمامة »

يعتقد الشيعة الرافضة الاثني عشرية أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام، وأصل أصيل من أصول الإيمان، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها، وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الرافضة هو ابن سبأ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه، وكفرهم^(١)؛ لأنه كان يهودي الأصل، يرى أن يوشع بن نون وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي ابن أبي طالب^(٢)، وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الرافضة، فابن بابويه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبي وصياً أوصى إليه بأمر الله تعالى^(٣)، ويذكر أن عدد الأوصياء مائة ألف وصي، وأربعة وعشرون ألف وصي^(٤)، كما ذكر المجلسي في أخباره أن علياً هو آخر الأوصياء^(٥)، وجاء في بعض عناوين الأبواب في «الكافي»: «باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد^(٦)»، «باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً^(٧)»، وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التي يعدونها من الأدلة التي لا يرقى إليها الشك .

ولهذا قال شيخهم مقداد الحلبي (ت ٨٢١) بأن مستحق الإمامة عندهم لا بد أن يكون شخصاً معهوداً من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق^(٨)، ويقرر

(١) «رجال الكشي» ص (١٠١)، و«المقالات والفرق» للقمي ص (٢٠) .

(٢) «رجال الكشي» ص (١٠١)، و«أصول الشيعة» (٧٩٢/٢) .

(٣) «عقائد الصدوق» ص (١٠٦) .

(٤) «أصول الكافي» (٢٢٧/١) .

(٥) «بحار الأنوار» (٣٩٢/٣٩) .

(٦) «النافع يوم الحشر» ص (٤٧) .

(٧) المصدر السابق (٢٨٦/١) .

محمد حسين آل كاشف الغطاء - أحد مراجع الشيعة الاثنا عشرية في هذا العصر - أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كَنَصٌ من الله عليه . . فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده^(١)، فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء، يختار سبحانه أئمة، وينص عليهم، ويُعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجة، ويؤيدهم بالمعجزات، وينزل عليهم الكتب، ويوحى إليهم، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه . . أي أن الإمامة هي النبوة، والإمام هو النبي، والتغيير في الاسم فقط، ولذلك قال المجلسي: إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال^(٢)، ثم قال: ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة^(٣)، هذا قولهم في مفهوم الإمامة، ويكفي في نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ اليهودي^(٤).

أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جردها:

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها، كما قرره جمع من أهل العلم^(٥) . . ولكنها عند الشيعة الراضية لها شأن آخر، ففي «الكافي» روايات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربعة وتركوا هذا - يعني الولاية -^(٦) فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من

(١) «أصول الشيعة وأصولها» ص (٥٨) .

(٢، ٣) «بحار الأنوار» (٨٢/٢٦) .

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٧٩٤/٢) .

(٥) «غاية المرام» للأمدى ص (٣٦٣)، و«الاقتصاد» للغزالي ص (١٣٤) .

(٦) «أصول الكافي» (١٨/٢) رقم (٣) .

أركان الإسلام، ووضعوا مكانهما الولاية، وعدوها من أعظم الأركان، كما يدل عليه قولهم: ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، وكما يدل عليه حديثهم الآخر، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة وزاد: قلت - الراوي - وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل^(١).

ويقول المجلسي: ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لهم من جملة أصول الدين، وأفضل من جميع الأعمال البدنية؛ لأنها مفتاحهن^(٢).

ويقول المظفر - وهو من علمائهم المعاصرين - : نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمرين، مهما عظموا، بل يجب النظر فيها، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة^(٣)، بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: عرج النبي صلوات الله عليه بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض^(٤).

هذه الروايات الشيعية الرافضية ومثيلاتها في كتب الشيعة الروافض كانت كفيلاً بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره، وأن تجعل المسلم معرضاً للاتهام بالكفر لمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة، يقول ابن بابويه القمي في رسالته «الاعتقادات»: واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة محمد صلوات الله عليه^(٥)، ويقول يوسف البحراني في موسوعته «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»:

(٢) «مرآة العقول» (١٠٢/٧).

(٤) «بحار الأنوار» (٦٩/٢٣).

(٥) «الاعتقادات» ص (١٠٣)، و«ثم أبصرت الحقيقة»، لمحمد الخضر ص (١٢٧).

(١) «أصول الكافي» (١٨/٢).

(٣) «عقائد الإمامية» ص (١٠٢).

وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين^(١)، ويقول المجلسي: اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وَفَضَّلَ عليهم غيرهم يدل على أنهم مخلدون في النار^(٢).

وقال ابن المطهر الحلي: الإمامة لطف عام، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص^(٣).

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفراً من اليهود والنصارى، وقد بنى على ذلك أن الزمان لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذي أنكره طوائف من الشيعة، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً، ولكن شيخ الشيعة الراضية يرى أن إنكاره أعظم من الكفر^(٤)، وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار^(٥)، وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا^(٦).

(١) «الحدائق الناضرة» (١٨/١٥٣).

(٢) «بحار الأنوار» (٢٣/٣٩٠).

(٣) «الألفين» ص (٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٦٧).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٦٧).

(٥) «المسائل» للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في «البحار» (٨/٣٦٦).

(٦) «الأنوار النعمانية» (٢/٢٧٩).

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم، لهذا جاء حكم الشيعة (الاثنا عشرية) على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم (الاثني عشر) مكماً لهذا الغلو؛ حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا (الاثنا عشرية)، فتناول تكفيرهم:

١. الصحابة رضوان الله عليهم:

كتب الشيعة الرافضة مليئة باللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية^(١)، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيعة الإمامية، قال القاضي عبد الجبار: وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثني عشر النص الجلي، الذي يكفر من أنكره، ويجب تكفيره، فكفروا لذلك صحابة النبي صلى الله عليه وآله، وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي: وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم^(٢) أن الصحابة ارتدت بعد النبي صلى الله عليه وآله سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم^(٣)، ويقول ابن تيمية رحمه الله: إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفراً قليلاً . . . إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وتقول كتب (الاثنا عشرية): إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة علي، ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون على ذلك، ولقد تداولت الشيعة أبناء

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٦٨).

(٢) «شرح الأصول الخمسة» ص (٧٦١).

(٣) تلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها.

(٤) «الفرق بين الفرق» ص (٣٢١).

هذه الأسطورة في المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو «كتاب سليم بن قيس»^(١)، ثم تابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها «الكافي» أوثق كتبهم الأربعة، و«رجال الكشي»^(٢)، عمدتهم في كتب الرجال وغيرها من مصادرهم^(٣)، وسيأتي الحديث عن موقف الشيعة الرافضة من الصحابة مفصلاً بإذن الله تعالى .

٢ - تكفيرهم أهل البيت:

إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد، لا تستثني منهم جميعاً إلا سبعة في أكثر تقديراتها، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحداً من أهل بيت رسول الله ﷺ باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر، فقلت: فعمار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة^(٤)، فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله ﷺ وقربته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله ﷺ، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة^(٥)، وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله؛ كعم النبي العباس، حتى قالو بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي خصصوه باللعن وبأنه سخييف العقل، كما جاء في

(١) «كتاب سليم بن قيس» ص (٧٤، ٧٥) .

(٢) «رجال الكشي» ص (٦-١١٠٩) .

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٧٨٠) .

(٤) «تفسير العياشي» (١/ ١٩٩)، و«البرهان» (١/ ٣١٩)، و«تفسير الصافي» (١/ ٣٨٩)، و«أصول الشيعة الإمامية»

(٢/ ٨٩١) .

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٩١) .

«الكافي»^(١)، وفي «رجال الكشي»: اللهم العن ابني فلان واعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما . . واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما^(٢)، وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس^(٣)، وبنات النبي عليه السلام يشملهن سخط الشيعة (الاثنا عشرية) وحقنهم، فلا يذكرن فيمن استثنى من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي عليه السلام ما عدا فاطمة عليها السلام^(٤)، فهل يحب رسول الله عليه السلام من يقول فيه وفي بناته هذا القول؟!^(٥) .

وقد نص صاحب «الكافي» في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثني عشر فهو كافر، وإن كان علويًا فاطمياً^(٦)، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيه الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة (الاثنا عشر) التي لم توجد إلا بعد سنة ٢٦٠هـ، كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله عليه السلام؛ إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم، ولكنهم يخصون منهن عائشة^(٧)، وحفصة رضي الله عنهم أجمعين، بالذم واللعن والتكفير^(٨)، وقد عقد شيخهم المجلسي باباً بعنوان «باب أحوال عائشة وحفصة» ذكر فيه سبع عشرة رواية^(٩)، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى^(١٠)، وقد آذوا فيها رسول الله عليه السلام في أهل بيته أبلغ الإيذاء، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من سبع سماوات - عائشة بنت الصديق - بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم - «تفسير القمي» -^(١١) قذف شنيع متضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير في تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم - رحمهم الله - قاطبة

(١) «أصول الكافي» (٢٤٧/١).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٨٩٢/٢).

(٣) «كشف الغطاء» لجعفر النجفي ص(٥)، و«أصول الشيعة» (٨٩٢/٢).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٨٩٢/٢).

(٥) «أصول الكافي» (٣٠٠/١) و«رجال الكشي» ص (٥٧-٦٠).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٨٩٣/٢).

(٧) «بحار الأنوار» (٢٢٧-٢٤٧).

(٨) «تفسير القمي» (٣٧٧/٢).

(٩) «بحار الأنوار» (٢٤٥/٢).

على أن من سبها ورمأها بما رمأها به بعد هذا الذي ذكر في الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن^(١)، وقال القرطبي: فكل من سبها بما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر^(٢).

٣. تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم:

في دين الشيعة الرافضة الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية الرافضية باطلة، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثني عشر حديثاً عن أئمتهم^(٣)، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خمسة أحاديث^(٤).

وكل خلفاء المسلمين ما عدا علياً والحسن طواغيت -حسب اعتقادهم- وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويحسنون لأهل البيت، ويقيمون دين الله، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم عجل الله فرجه^(٥) صاحبها طاغوت^(٦)، قال شارح «الكافي»: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق^(٧)، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة^(٨)، حسب مقاييسهم^(٩).

٤. الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب، وتكفير أهلها على وجه التعيين، ويخصون منها غالباً ما كان أكثر التزاماً بالإسلام واتباعاً للسنة، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، ففي عصر جعفر الصادق

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٢٨٩، ٢٩٠)، و«الصارم السلول» ص (٥١).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/٢٠٦).

(٣) «الكافي» (١/٣٧٤).

(٤) المصدر السابق (١/٣٧٤-٣٧٦).

(٥) هو: المهدي المنتظر.

(٦) «الكافي» بشرحه للمازندراني (١٢/٣٧١)، و«بحار الأنوار» (٢٥/١١٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٩٦).

(٧) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٩٦).

(٨) «مرآة العقول» (٤/٣٧٨).

(٩) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٩٦).

كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر من أهل الروم - يعني شر من النصارى - وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة^(١)، وقالوا: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة، وإن أهل المدينة أخبت من أهل مكة، أخبت منهم سبعين ضعفاً^(٢)، ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا - ولاسيما في القرون المفضلة - يتأسون بأثر رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من سائر الأمصار، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم^(٣).

وقالوا أيضاً عن مصر وأهلها: أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام، فجعل الله منهم القردة والخنازير^(٤)، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها^(٥)، وقالوا بئس البلاد مصر، أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل^(٦)، وقالوا: انتحوا عن مصر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الديانة^(٧)، وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكنائها، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى محمد الباقر، وإلى علي الباقر، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله: إن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة؛ لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم^(٨)، ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيديين على يد صلاح الدين الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الوارد في

(١) «أصول الكافي» (٢/٤٠٩). (٢) المصدر السابق (٢/٤١٠).

(٣) «الفتاوى» (٢٠/٢٩٩، ٣٠٠).

(٤) «بحار الأنوار» (٦٠/٢٠٨)، و«تفسير القمي» ص (٥٩٦).

(٥) «تفسير العياشي» (١/٣٠٤)، و«البرهان» (١/٤٥٦).

(٦) «تفسير العياشي» (١/٣٠٥)، و«البرهان» (١/٤٥٧).

(٨) «بحار الأنوار» (٨/٢٠٨).

(٧) «بحار الأنوار» (٦٠/٢١١)، و«أصول الشيعة» (٢/٩٠٠).

صحيح مسلم: «باب وصية النبي بأهل مصر»^(١) وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها^(٢)، ولم يُسْتَنَّ من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم وهي قليلة في تلك الأزمان، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة^(٣).

٥. قضاة المسلمين:

تعدُّ أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عنه، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، ومن يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به^(٤)، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ النساء: ٦٠، وهذه الرواية تحكم على القضاء والقضاة في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة، فما بالك فيمن بعدهم؟!^(٥).

٦. تكفيرهم أئمة المسلمين وعلماءهم:

حذروا من التلقي عن شيوخ المسلمين وعلمائهم، وعدوهم كملل أهل الشرك، عن هارون بن خاروجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نأتي هؤلاء المخالفين^(٦)، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأتئهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشرك^(٧)، وجاء في «الكافي» عن

(١) «مسلم» (٢/٢٩٧٠).

(٢) (٣، ٢) «بحار الأنوار» (٦٠/٢٠٦)، و«أصول الشيعة» (٢/٩٠١).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٠٢)، و«أصول الكافي» (١/٦٧).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٠٢).

(٦) هذا اللقب يطلق على أهل السنة، وقد يتناول كل مخالف.

(٧) «بحار الأنوار» (٢/٢١٦)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٠٥).

سدير عن أبي جعفر قال: يا سدير فأريك الصادين عن دين الله؟ ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إن هؤلاء الأحباث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس، فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلوات الله عليه وآله حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

وقد بين ابن تيمية - رحمه الله - موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فكفروا جماهير أمة محمد صلوات الله عليه وآله من المتقدمين والمتأخرين، ويكفرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم، ولهذا يكفرون أعلام الملة، مثل سعيد ابن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل ابن عبدالله التستري، وغير هؤلاء، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي إلى أن قال: وأكثر محققهم - عندهم - يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبي صلوات الله عليه وآله مثل عائشة، وحفصة، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما آمنوا بالله طرفة عين قط؛ لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله. ومنهم من يرى أن فرج النبي صلوات الله عليه وآله الذي جامع به عائشة وحفصة لا بد أن تمسه النار ليظهر بذلك من وطء الكوافر على زعمهم؛ لأن وطء الكوافر حرام عندهم (٢).

(١) «أصول الكافي» (١/٣٩٢، ٣٩٣)، و«أصول الشيعة» (٢/٩٠٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٦١، ٢٦٢).

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد، هل يحتاج إلى نقد؟ إن بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعاً ويكفرها، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان في قلبه على المسلمين أغل^(١).

فيإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين والأنصار وهم في الذروة في الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟ ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة - بإذن الله - وما بني على الباطل فهو باطل، ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه^(٢)، ولذلك قال أحمد الكسروي الإيراني والشيوعي الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فللقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟ فأى الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجل أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب^(٣).

إن القرآن الكريم بين فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها وهو التبيان لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ {النحل: ٨٩} ويقول واصفاً كتابه بأنه لم يفرط في قضية يقوم عليها الدين: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩١٦).

(١) «الإبانة» لابن بطه ص (٤١).

(٣) «التشيع والشيعة» ص (٦٦)، و«أصول الشيعة» (٢/٩١٦).

شيءٍ ﴿الإنعام: ٣٨﴾ فإذا كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة، فكتاب الإسلام العظيم «القرآن الكريم» يذكر فيه مرات الصلاة والصيام، والزكاة والحج، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة (الاثنا عشرية) أو الإمامة من بعد الرسول برغم كون الإمامة كما تقول النظرية الشيعية الرافضية أعظم أركان الدين !! أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء ويصنّف أنواع المحرمات من الطعام والشراب ويتحدث عن الجهاد تارةً وعن السلم تارةً أخرى ويناقش القضايا الأخلاقية ثم يتجاهل إمامة (الاثنا عشر) التي يصفها آل كاشف الغطاء بأنها «منصب إلهي كالنبوة» إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرض في قضية يحتاج إليها البشر، فكيف يفرض في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم!!^(١).

ثانياً: العصمة عند الشيعة الرافضة:

إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة الإمامية شرط من شروط الإمامة وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي ولها أهمية كبرى عندهم، ونتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات وقدرات ومواهب علمية غير محدودة، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله خير لا شر فيه؛ لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا يصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان^(٢)، وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» لمحمد سالم، ص (١٣٠).

(٢) «دراسات عن الفرق» د. أحمد جلي ص (٢٠٣)، و«مسألة التقريب» (١/٣٢٢).

الأنبياء، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة وأنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب^(١)، وقال ابن المطهر الحلي: ذهب الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً وخالف فيه جميع الفرق^(٢).

وقد نص على ذلك المجلسي بقوله: اعلم أن الإمامية عليهم السلام اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه^(٣).

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس - كذباً وزوراً - أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون^(٤)، وقال أيضاً في تقرير ذلك: اعتقادنا في الأنبياء والرسول والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر^(٥).

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الرافضة، بل شاركهم المعاصرون في ذلك، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سنّ الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان^(٦)، وقد نص على ذلك الزنجاني في «عقائد الإمامية»^(٧)، كما نص عليه أيضاً علي البحراني في «منار الهدى»^(٨)، والسيد مرتضى العسكري في «معالم المدرستين»^(٩)، إلا أن هناك آثاراً في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا

- (١) «أوائل المقالات» للمفيد ص (٣٥).
 (٢) «كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد» ص (٩٠).
 (٣) «بحار الأنوار» (٢٠٥/٩).
 (٤) «إكمال الدين» للصدوق ص (٤٧٤).
 (٥) نقل ذلك عن الزنجاني في «عقائد الإمامية الاثنا عشرية» (١٥٧/٢).
 (٦) «عقائد الإمامية» ص (١٠٤).
 (٧) «العقيدة في أهل البيت» ص (٣٧١).
 (٨) «منار الهدى» ص (١٠٢).
 (٩) «معالم المدرستين» ص (١٥٩).

إليه، ولذلك تحيّر المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه، فقال: المسألة في غاية الإشكال؛ لدلالة كثير من الأخبار والآيات عن صدور السهو عنهم، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز^(١)، وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح بأنهم يجمعون على ضلالة، وعلى غير دليل حتى من كتبهم^(٢).

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة أو أن الشيعة قد اختلفت عقائدهم في تحديدها - في أول الأمر - فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ٣٨١هـ وشيخه محمد بن الحسن القمي، كان رأي جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٣)، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم من الشيعة الغلاة ولكن بعد ذلك تبدلت الحال وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم، وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة في الكوفة، ففي البحار للمجلسي: أنه قيل للرضا - إمام الشيعة الثامن - إن في الكوفة قوماً يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقع عليه السهو في صلته فقال: كذبوا لعنهم الله إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو^(٤)، فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معينين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو أفضل الأئمة ولم يقولوا بذلك للأئمة، ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة (الاثنا عشر) وليعم طائفة الشيعة الإمامية كلها، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وآيتها العظمى عبد الله الممقاني يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي^(٥)، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلوًّا،

(٢) «مسألة التقريب» (١/ ٣٣٠).

(١) «البحار» (٢٥/ ٣٥١).

(٣) «شرح عقائد الصدوق» للمفيد ص (١٦٠، ١٦١). (٤) «البحار» (٢٥/ ٣٥٠).

(٥) «تنقيح المقال» (٣/ ٢٤٠).

لكنه يقول إن ما يعتبر غلوًّا في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي^(١)، وإذا كانت دعوى عصمة الأئمة تعني مضاهاتهم للرسول فإن نفي السهو عنهم تأليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن علي الرضا، ولذا قرر ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم^(٢)، وإذا كان شيخهم المعاصر الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي ومنكر الضروري كافر عندهم كما يؤكده شيخهم المعاصر محسن الأمين^(٣)، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم ومتقدميهم يكفرون متأخريهم، وإذا كان الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك^(٤)، فإننا نجد في بعض الكتابات الموجهة لديار السنة^(٥)، القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة^(٦)، وهكذا يكفر بعضهم بعضاً، ويناقض بعضهم بعضاً، وكلٌّ يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة^(٧)، وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية - كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى - وذلك أن واقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم فإذا حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا: هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة^(٨).

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم (الاثنا عشر) هو كقول الله ورسوله، ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدھا إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله ﷺ، والشيعة زعمت لأئمتھا عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع^(٩).

- (١) «تنقيح المقال» (٣/ ٢٤٠)، و«مسألة التقريب» (٩٧/٢).
 (٢) «مسألة التقريب» (٩٨/٢).
 (٣) «كشف الارتباب المقدمة الثانية ومهذب الأحكام» (٣٨٨-٣٩٣).
 (٤) «صراط الحق» (٣/ ١٢١)، و«مسألة التقريب» (٩٨/٢).
 (٥) «مسألة التقريب» (٩٨/٢).
 (٦) «الشيعة في الميزان» لمحمد جواد ص (٢٧٢، ٢٧٣).
 (٧) «مسألة التقريب» (٩٨/٢).
 (٨) «مسألة التقريب» (١/ ٣٢٩).
 (٩) المصدر نفسه (١/ ٣٢٤).

١- استدلالهم على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم:

برغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للاثني عشر أصلاً - كما مر - فضلاً عن عصمتهم، إلا أن (الاثنا عشر) تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في «بحاره» بشأن العصمة بعنوان: باب لزوم عصمة الإمام^(١) وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين^(٢)، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة^(٣)، ويتولى صاحب «مجمع البيان» سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم فيقول: استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً من القبائح؛ لأن الله - سبحانه - نص الأئمة على عهد - الذي هو الإمامة^(٤) - ظالماً، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه وإما لغيره، فإن قيل إنما نفى أن ينال ظالماً في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالماً فيصح أن يناله، فالجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظالم، وإن تاب فيما بعد^(٥).

٢- نقد استدلالهم:

أ- اختلف السلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة، قال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي نبوتي، وقال مجاهد: الإمامة، أي لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن

(١) «بحار الأنوار» (١٩١/٢٥). (٢) «أعيان الشيعة» (٤٥٨/١). (٣) «أصل الشيعة» ص (٥٩).

(٤) اختلف السلف في معنى العهد - كما سيأتي - ولكن الروافض يأخذون بما وافق هواهم ويقطعون به بلا دليل

(٥) «مجمع البيان» للطبرسي (٢٠١/١)، و«التيان» للطوسي (٤٤٩/١).

وعكرمة : لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين فأسأما في الدنيا فقد ناله الظالم ، فأسمن به وأكل وعاش . . قال الزجاج : وهذا قول حسن ، أي لا ينال أماني الظالمين ، أي : لا أو منهم من عذابي ، والمراد بالظالم : المشرك . وقال الربيع بن أنس والضحاك : عهد الله الذي عهد إلى عباده : دينه ، يقول : لا ينال دينه الظالمين ، ألا ترى أنه قال : ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ {الصفات : ١١٣} ، يقول : ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق . وروي عن ابن عباس -أيضاً- : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال : ليس للظالمين عهد ، وإن عاهدته فانقضه^(١) ، فالآية كما ترى ، اختلف السلف في تأويلها فهي ليست في مسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم ، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والافتداء ، لا الإمامة بمفهوم الرافضة^(٢) .

ب - لو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدل على عصمة بحال ؛ إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الظالم معصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو . . إلخ كما هو مفهوم العصمة عند الشيعة ؛ إذ يكون قياس مذهبهم : من سها فهو ظالم ومن أخطأ فهو ظالم . . . وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتفق مع أصول الإسلام ، فبين إثبات العصمة ، ونفي الظلم فرق كبير ؛ لأن نفي الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية^(٣) .

ج - لا يسلم لهم أن من ارتكب ظلماً ثم تاب منه لحقه وصف الظلم ولازمه ، ولا تجدي التوبة في رفعه ، فإن أعظم الظلم الشرك ، قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ {الأنعام : ٨٢} ، ثم فسر الظلم بقوله : ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ {لقمان : ١٣} ، ومع هذا قال جل شأنه في الكفار : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ {الأنفال : ٣٨} ، لكن قياس قول هؤلاء أن من أشرك ولو لحظة ، أو ارتكب معصية ولو صغيرة فهو ظالم لا ينفك عنه

(١) «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/٢٥٠) ، و«أصول الشيعة» (٢/٩٥٣) .

(٢، ٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٥٣) .

وصف الظلم، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك؛ لأن الظلم هو الشرك^(١)، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية؛ لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حالة عدم توبته، ومن المعلوم في بدهة العقول - فضلاً عن الشرع والعرف واللغة- أن من كفر أو ظلم ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم . . وإلا جاز أن يقال: صبي لشيخ، ونائم لمستيقظ، وغني لفقير، وجائع لشبعان، وحي لميت، وبالعكس، وأيضاً لو اطرده ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافراً قبل سنين متطاولة أن يحنث، ولا قائل به^(٢)، ومن المعروف أنه قد يكون التائب من الظلم كمن لم يقع فيه، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل^(٣)، كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين وكذلك الشيعة وأهل البيت - إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم - جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسي بأن الظلم اسم ذم فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] .

د - ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الشيعة (الاثنا عشرية) بهذه الآية، حيث قال: احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن في إمامة أبي بكر وعمر، وهذا لا يصح؛ لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم، ولم يمنعه - تعالى - من نيل العهد إلا حال كونه ظالمًا^(٤) .

(١) هم يعنون بالظلم؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر؛ لأنهما قد أسلما بعد شرك، والشرك لم ينفك عنهما بعد إيمانهما في زعمهم، ولذلك قال الكليني: هذه الآية أبطلت إمامة كل ظالم، «أصول الكافي» (١/١٩٩) .

(٣) «منهاج السنة» (١/٣٠٢، ٣٠٣) .

(٢) «روح المعاني» للألوسي (١/٣٧٧) .

(٤) «الثمرات اليبانة»، ليوسف بن أحمد الزيدي، مخطوطة نقلت عن «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٥٥) .

آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (٣٢) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً [الأحزاب: ٣٢، ٣٣] وقد تعمد علماء الشيعة (الاثنا عشرية) اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاءت فيه والذي خاطب الله به نساء النبي ﷺ إغفالاً لنساء النبي ﷺ من الخطاب، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة^(١)، قالت : خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرط^(٢) مرحل^(٣) من شعر أسود فجاء الحسن بن علي ، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وحديث أم المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت أم سلمة رضي الله عنها : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : «أنت على مكانك، وأنت على خير»^(٤) ؛ لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة^(٥) ، ويرى علماء الشيعة (الاثنا عشرية) أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء : علي وفاطمة والحسن والحسين ، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها ، بل ومن الخطأ والسهو البشري^(٦) .

(١) عائشة التي يدعون أنها تبغض علي هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة .

(٢) مرط : يعني كساء .

(٣) مرحل : وهو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل .

(٤) «سنن الترمذي» ، كتاب المناقب رقم (٣٧٨٨) .

(٥) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٧٦) .

* نقد لاستدلالم من وجوه:

أ. حديث أم سلمة المذكور آنفاً قد ورد بعدة صيغ:

فروي عن أم سلمة أنها قالت: كان النبي صلوات الله عليه عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قטיפة، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وفي رواية أخرى أنه صلوات الله عليه أجلسهم على كساء، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم، وأوماً بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم^(١).

وقد وردت روايات عن أم سلمة رضي الله عنها فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء، لا يخلو أكثرها من الضعف لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي صلوات الله عليه «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»^(٢)، وهناك رواية مهمة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه^(٣)، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد؛ فلذلك أدخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد خروج أهل الكساء منه، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي صلوات الله عليه حين جاء نعي الحسين بن علي، لعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله، غروه وذلوه لعنهم الله؛ فإني رأيت رسول الله صلوات الله عليه جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٧٧).

(٢) «فضائل الصحابة» (٧٢٧/٢) رقم (١٩٩٤)، إسناده فيه ضعف، وله طرق تقوية.

(٣) «ثم أبصرت الحقيقة» ص(١٧٧).

فيها عصيدة تحملها في طبق لها، حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: «أين ابن عمك؟» قالت: هو في البيت، قال: «أذهبي فادعيه وائتني بابنيه»، قال: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في إثرهما، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره، قالت أم سلمة: فاجتذ كساء خبيراً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة فلفه رسول الله ﷺ جميعاً فأخذ بشماله طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، قال: «اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قلت: يا رسول الله، أأنت من أهلك؟ قال: «بلى فادخلي في الكساء»، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة^(١)، فشهد رسول الله ﷺ لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم^(٢).

ب. ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب

في الآيات كله لأزواج النبي ﷺ حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تَرْضُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعَنَّكُمْ وَأُسرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِن كُنْتُمْ تَرْضُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَا تُمَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتْهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٣٤].

(١) «فضائل الصحابة» (٢/٨٥٢) رقم (١١٧٠)، إسناده حسن. (٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٧٨).

فالخطاب كله لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر؛ لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك، لذلك خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء لهم، كما أن زوج الرجل من أهل بيته، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونسأوك، فيقول: هم بخير، وقد قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [مؤد: ٧٣] والمخاطب بهذه الآية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت (١).

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩] والمخاطب هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤، ٥٥] فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في الأهل، باعتبار أن السورة مكية (٢).

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥]، فالمخاطب هنا عزيز مصر، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ أي زوجتك، وهذا بين (٣).

(١) «الإمامة والنص» لفیصل نور ص (٣٨٦).

(٢) المصدر نفسه ص (٣٩١).

(٣) المصدر نفسه ص (٣٩٣).

جـ. إذهاب الرجس لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القرآن معنى

العصمة:

يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القرآن مادة رجس، الرجس الشيء القذر، قال: رجل رجسي، ورجال أرجاس، قال تعالى: ﴿رَجَسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر، وجعل الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٠٠] قيل: الرجس: النتن، وقيل: العذاب، وذلك كقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] وقوله: ﴿أَوْ لَحْمِ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وبالجملة لفظ «الرجس» أصله القذر يطلق ويراد به الشرك كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعمات والمشروبات ونحو قوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمِ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] وقوله: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] ولم يثبت أن استخدام القرآن لفظ «الرجس» بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته^(١).

د. التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة «الرجس» لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد وإنما يراد بها القدر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ

(١) ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨١).

لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴿المائدة: ٦﴾ وقال عز من قائل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ ﴿التوبة: ١٠٣﴾ وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿البقرة: ٢٢٢﴾، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ولعموم المؤمنين الذين نصت الآيات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ ﴿التوبة: ١٠٨﴾ ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً: ﴿وَيُنزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿الأنفال: ١١﴾ ولم يكن في هذا إثبات لعصمته مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وبين قوله في أهل بدر: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ فالرجس والرجس متقاربان، ويطهركم في الآيتين واحد، لكن الهوى هو الذي جعل من الآية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى، والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالآية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ثم يتناسون في الوقت نفسه آيات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة، بل هم بالمقابل يقدهون فيهم، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الآية^(١)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿التور: ٤٠﴾.

هـ. الإرادة في الآية إرادة شرعية:

وهي غير الإرادة القدرية، يعني يحب الله أن يذهب عنكم الرجس، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية، والإرادة القدرية الكونية، فقالوا:

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨٢).

- إرادة شرعية دينية: وهي تتضمن معنى المحبة والرضا؛ كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿ [النساء: ٢٧، ٢٨].

- إرادة قدرية كونية خلقية: وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات، وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: ٣٤] فالعاصي إرادة كونية قدرية فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها، ويكرهها وينهى عنها، هذا قول السلف والأئمة قاطبة، فيفرقون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا^(١)، ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلي وزوجات النبي ﷺ، ولكن الإرادة في هذه الآية، إرادة شرعية، ولذلك جاء في الحديث أن النبي ﷺ لما جللهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس»^(٢).

و- دعاء النبي ﷺ يحسم القضية:

آية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله ﷺ بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس»^(٣)، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي ﷺ، وأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاه لهم^(٤)، فطهرهم كما طهر الله نساء النبي بنص الآية.

(١) «وسطية أهل السنة بين الفرق»، لمحمد باكريم ص (٣٨٧).

(٢) «سنن الترمذي»، كتاب مناقب أهل البيت رقم (٣٧٨٧).

(٣) «سنن الترمذي»، كتاب مناقب أهل البيت (٣٧٨٧)، وصححه الألباني.

(٤) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨٢).

ز. من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة:

أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية بزعم القوم ثبت للسيدة فاطمة رضي الله عنها، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم^(١).

٣. أدلتهم من مروياتهم:

إن (الاثنا عشرية) تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب «الكافي»، وإبراهيم القمي، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكورة في متنها فضلاً عن إسنادها، تثبت لهؤلاء (الاثنا عشرية) العصمة المزعومة، وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثاً وعشرين رواية من روايات شيوخي كالقمي، والعياشي والمفيد وغيرهم، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة، التي تبين أن استدلالهم فيها باطل، أما الكليني في «الكافي» فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة، ساق فيها أخباراً بسنده عن الاثني عشر يدعون فيها أنهم معصومون بل وشركاء في النبوة، بل ويتصفون بصفات الألوهية، وتجد ذلك في «الكافي» في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك، وفي باب: أن الأئمة هم أركان الأرض، وأثبت فيه ثلاث روايات تقول بأن الأئمة (الاثنا عشر) كرسول الله في وجوب الطاعة، وفي الفضل، وفي التكليف، فعلي جرى له من الطاعة بعد رسول الله صلوات الله عليهم ما لرسول الله صلوات الله عليهم^(٢)، ثم ما تلبث أن ترفعهم عن مقام رسول الله صلوات الله عليهم إلى مقام رب العالمين، حيث تقول بأن علياً قال: أعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي: علمت علم المنايا والبلايا .. فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما

(٢) «أصول الكافي» (١/١٩٨).

(١) «الإمامة والنص» ص (٣٨٧).

غاب عني^(١)، والذي يعلم المنايا والبلايا هو الله سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ {القمان: ٣٤} والذي لا يعزب شيء، ولا يفوته شيء هو الخالق -جلا وعلا- قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ {سبا: ٣} ومن تتبع أبواب «الكافي» في هذا المعنى، يلاحظ أنها لا تخرج عن دعاوى المتنبئين والملحددين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار^(٢).

٤. أدلتهم العقلية على مسألة العصمة:

قالوا: إن الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسد خطاها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده فيلزم التسلسل، فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمامة لا بالأمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه.. إلخ^(٣).

والحقيقة غير هذا تماماً، فالأمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، ولا تجتمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبياً بين الحق، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن أحد منهم أن يبدل شيئاً من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله، ولذلك فإن الله سبحانه قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ {النساء: ١١٥} فعصمة الأمة وحفظها من الضلال - كما جاءت بذلك النصوص الشرعية - تخالف تماماً من يوجب عصمة واحد من المسلمين، ويجوز على مجموع المسلمين - إذا لم

(١) «أصول الكافي» (١/١٩٧).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٥٨).

(٣) «كشف المراد» لابن المطهر ص (٣٩٠، ٣٩١)، و«نهج المسترشدين» ص (٦٣)، و«الشيعة في عقائدهم» ص (٣٦٨، ٣٦٩).

يكن فيهم معصوم - الخطأ^(١)، وكل ما سطره وملأوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول صلوات الله عليه، ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ولا ترد إلى الإمام، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ النساء: ٥٩ قال العلماء: إلى كتاب الله، وإلى نبيه صلوات الله عليه، فإن قبض فإلى سنته^(٢)، وهي بهدي الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلالة؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة؛ ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسول، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ النساء: ١٦٣ إلى قوله: ﴿لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ النساء: ١٦٥ ولم يقل - سبحانه - : «والأئمة» وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالأئمة^(٣)، كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين؛ لما في ذلك من المصلحة واللطف، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف، وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان كما كان النبي صلوات الله عليه بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي رضي الله عنه، ومن المعلوم أن المصلحة واللطف الذي كان المؤمنون فيه زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللطف الذي كان في خلافة علي زمن القتل والفتنة والافتراق^(٤)، أما من دون علي فإنما كان يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان علي بن الحسين وابنه أبو جعفر، وابنا جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان في زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والدين ما يحصل من ذوي

(١) «المتقى» ص (٤٠١)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٥٨، ٩٥٩). (٢) «التمهيد» لابن عبد البر (٤/٢٦٤)

(٤) «منهاج السنة» (٢/١٠٤)

(٣) «الفتاوى» (١٩/٦٦).

الولاية من القوة والسلطان، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل، وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة، بل كانوا كأمثالهم من الهاشمين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والدين ما في أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين . . . ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة^(١) .

٥ - نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة:

دعوى العصمة للأئمة تضاهي المشاركة في النبوة، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصة الأنبياء، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة: ١٣٦} فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون، فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون . . . فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة، وإن لم يعطه لفظها^(٢)، وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها .

- أما القرآن فقال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ {النساء: ٥٩} فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسول ﷺ لأمرهم بالرد إليه؛ فدل القرآن أن لا معصوم إلا الرسول ﷺ^(٣) .

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ {النساء: ٦٩} وقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ {الجن: ٢٣} .

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٢٤٨) . (٢) «منهاج السنة» (٣/ ١٧٤) . (٣) «منهاج السنة» (٢/ ١٠٥) .

فدل القرآن - في غير موضع - على أن من أطاع الرسول صلوات الله عليه كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول صلوات الله عليه كان من أهل الوعيد، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص - سوى الرسول صلوات الله عليه - فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلوات الله عليه؛ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، واتباعه فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع؛ فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى^(١).

- والسنة المطهرة دلت على ذلك، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم، وإليك ما ينقض مذهبهم مما ثبت عندهم من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فقد جاء في «نهج البلاغة» الذي تعتمد عليه الشيعة، ما يهدم كل ما بنوه من دعاوى في عصمة الأئمة؛ حيث قال أمير المؤمنين - كما يروي صاحب النهج -: لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس؛ فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه؛ كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل؛ فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي^(٢).

فهو هنا لم يدع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلن استغناءه عن مشورة الرعية بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، كل فرد وحده معرض للضلالة، فعلم أن دعوى العصمة من غلاة الشيعة^(٣)، وجاء في «نهج البلاغة» - أيضاً -: لا بد للناس من أمير برٍّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفياء، ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي^(٤)، فأنت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل

(١) «منهاج السنة» (٣/ ١٧٥).

(٢) «نهج البلاغة» ص (٣٣٥).

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٩٦٤).

(٤) «نهج البلاغة» ص (٨٢).

رأى أنه لابد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل أنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية - كما تقول كتب الشيعة - ولم يحصر الإمارة في الاثني عشر المعصومين عند الشيعة ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين - كما تذهب إليه الشيعة - بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجراً، وجعل إمارته شرعية بدليل أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر، فأين هذا مما تقره الشيعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر^(١) . . . لأن الإمامة الشرعية محصورة في الاثني عشر؟! وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها، فأمر المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في «نهج البلاغة»: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد علي بالمغفرة، اللهم اغفر لي ما وآيت^(٢) من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي، اللهم اغفر لي رمزات الأخطأ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللسان^(٣)، فأنت ترى الإقرار بالذنب، وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان. . كل ذلك ينفي ما تدعيه الشيعة من العصمة؛ إذ لو كان علي والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثاً، وكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله سبحانه من الذنوب والمعاصي، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب^(٤)، ولقد احتار شيوخ الشيعة في توجيه مثل هذه الأدعية والتي تتنافى ومقرراتهم في العصمة^(٥).

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل، وأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف بل يصدق بعضها بعضاً، ويشهد بعضها لبعض، والاختلاف ناقض للعصمة التي هي شرط للإمامة عندهم، وهو ناقض بالتالي لأصل الإمامة

(١) «فصل الغيبة والمهدية» ص (٨٢٤).

(٢) وآيت: وَعَدْتُ، وآي فلاناً يئبه وآياً: وَعَدَهُ، ويقال: وآى له. والوأي: الوعد الذي يؤثقه المرء على نفسه

(٣) «نهج البلاغة» ص (١٠٤). (٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٦٥). (٥) المصدر نفسه (٢/٩٦٦)

نفسها، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف في أعمال الأئمة كانت سبباً مباشراً لخروج بعض الشيعة من نطاق التشيع حيث رابهم أمر هذا التناقض، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القمي والنوبختي من أنه بعد قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين رضي الله عنهما؛ لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقاً واجباً صواباً من موادعته معاوية، وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربه مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم، فما فعله الحسين من محاربه يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم وكثرة أصحاب يزيد، حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب؛ لأن الحسين كان أعذر في القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والمواذعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه؛ فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام^(١)، وأما الأمثلة على الاختلاف والتناقض في أقوال الأئمة فهو باب واسع، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة عن التشيع، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسي، وقال بأن أخبارهم متناقضة متباينة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها، وعَدَّ ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعي.

ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة الإمامية للمذهب، كتابا: «التهذيب» و«الاستبصار»، وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الشيعة، ويشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر رواياتهما الكثيرة، وقد حاول الطوسي درء هذا الاختلاف ومعالجة هذا التناقض بحمله على التقية فما أفلح إذ زاد الطين بلة، علماً بأن الطوسي هو الذي كان يوجه الروايات فيقول هذا الحديث تقية، وهذه الرواية ليست بتقية، وعليها العمل والمتفق عليه أن الطوسي نفسه ليس بمعصوم، وبالضرورة سوف يخطئ في توجيه بعض هذه الروايات فيجعل ما ليس بتقية تقية

(١) «المقاتل والفرق» للقمي ص (٢٥)، و«فرق الشيعة» للنوبختي ص (٢٥، ٢٦).

والشيعة يتبعونه في توجيه هذا، وبالتالي يتضح أن الشيعة يتبعون في تدينهم أمثال الطوسي، ولا يتبعون المعصوم في دينهم، وقد أوجد الشيعة الراضية عقيدة التقية والبداء - وسيأتي بيانهما بإذن الله - لتغطية هذا الاختلاف في أخبار الأئمة وأعمالهم. . فاكتشف بعض الشيعة هذه المحاولة، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين، فترك التشيع وقال: إن أئمة الراضية وضعوا لشيعتهم مقاليتين لا يظهرن معهما من أئمتهم على كذب أبدأ، وهما القول بالبداء وإجازة التقية.

- وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة، وهو أن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة، فتجدهم مختلفين متنازعين متلاعنين يكفر بعضهم بعضاً لاختلافهم في عدد الأئمة، وفي تحديد أعيانهم، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضي إلى إمام آخر. . . هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور الدين - أصوله وفروعه - فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف. . . وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها، وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم؛ لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠هـ. . . ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود، إلا أن هذه العقيدة لها آثارها اليوم في واقع الشيعة، ويتمثل في جوانب منها:

١ - عملهم بما يؤثر عن الأئمة الاثني عشر كما يعمل سائر المسلمين بالقرآن والسنة.

٢ - غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدتهم فيطاف بها وتدعى من دون الله.

٣ - أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون الراد عليه كالراد على الله وهو كحد الشرك بالله، وهذه من الخطورة بمكان.

٤ - حمل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به^(١) الذي ليس له علاقة بأمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده الأظهر رضي الله عنهم.

ثالثاً: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية):

يعتقد الشيعة الرافضة أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل ، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى ، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه ، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده ، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك ، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر -رحمه الله- أنه قال: أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء ؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله ، رجل فرجل مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها^(٢).

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نص على الأئمة من بعده وعينهم بأسمائهم وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١- علي بن أبي طالب رضي الله عنه المرتضى ت ٤٠هـ.

٢- الحسن بن علي رضي الله عنه الزكي ت ٥٠هـ.

٣- الحسين بن علي رضي الله عنه سيد الشهداء ت ٦١هـ.

٤- علي بن الحسين زين العابدين ت ٩٥هـ.

٥- محمد بن علي الباقر ت ١١٤هـ.

٦- جعفر بن محمد الصادق ت ١٤٨هـ.

٧- موسى بن جعفر الكاظم ت ١٨٣هـ.

٨- علي بن موسى الرضا ت ٢٠٣هـ.

٩- محمد بن علي الجواد ت ٢٢٠هـ.

١٠- علي بن محمد الهادي ت ٢٥٤هـ.

(٢) «الإمامة والنص»، لفصل نور ص (٨).

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٦٩-٩٧٣).

١١- الحسن بن علي العسكري ت ٢٦٠هـ.

١٢- محمد بن الحسن المهدي ت ٢٥٦هـ.

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه، ولكن جاء فيما بعد من عممها في مجموعة من أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفيًا قاطعًا، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت «عقيدة التقية»؛ حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس^(١).

إن من أخطر الأمور التي ابتدعتها الشيعة الوصية، وهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه، وأن من سبقه مغتصبون لحقه كما جاء في كتابهم «الكافي»: من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليًا عليه السلام^(٢)، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين، لا نجد للوصية ذكرًا في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر رضي الله عنهما، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه، عند بزوغ قرن الفتنة، وقد استنكر الصحابة هذا القول عندما وصل إلى أسماعهم، وبينوا كذبه، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها، وذلك في خلافة علي رضي الله عنه، وهذه الوصية التي تدعيها الرافضة قد أثبت علماءهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي - وقد مر ذلك معنا - ويكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ومنهم علي رضي الله عنه نفسه، والأدلة كثيرة منها:

١- ذكر عند عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٨٠٠).

(٢) «أصول الكافي» (١٦/ ١٧).

رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطست، فانخثت، فمات، فما شعرت فكيف أوصى إلى علي؟^(١).

وتصريح عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في حجرها، ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها^(٢).

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده العباس ابن عبدالمطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبدُ العصا، وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى في وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال علي رضي الله عنه: إنا والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣)، وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة رضي الله عنهم على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنها، ولما عبرت الأنصار عن رأيها - في السقيفة - بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير^(٤)؛ ولبايعوا من عهد إليه الوصية، أو على الأقل سيذكر بعضهم، ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون، وهو قد أوصى لي بالخلافة، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس اليوم، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين أن ما يدعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة، وكل ما أوردوه في ذلك من التنصيص على علي مردود؛

(١) «البخاري» رقم: (٢٧٤١)، كتاب الوصايا .

(٢) «بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود» (١/١٩٠) .

(٣) «البخاري»، كتاب المغازي رقم: (٤٤٤٧) .

(٤) «البخاري»، كتاب الحدود رقم: (٦٨٣٠) .

لمخالفته هذا النص الصريح من علي رضي الله عنه؛ لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة^(١).

٣- سئل علي رضي الله عنه: أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من سرق منار الأرض، ولعن الله من لعن والده، ولعن الله من آوى محدثاً»^(٢).

قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه، يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إليه بالخلافة، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة؛ فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتتوا عليه فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضي الله عنهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومضادتهم من حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام^(٣).

قال النووي: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم^(٤).

٤- وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله^(٥).

٥- روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة، قال: قيل لعلي بن أبي

(١) «الإمامة والرد على الرافضة»، تحقيق علي ناصر فقيهي ص (٢٣٨).

(٢) «مسلم» (١٥٦٧/٣) رقم: (١٩٧٨).

(٣) «البدية والنهاية» (٢٢١/٥).

(٤) «شرح صحيح مسلم» (١٥١/٣).

(٥) «الاعتقاد» ص (١٨٤)، وقال البيهقي في دلائل النبوة: سنه حسن.

طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم^(١)، فهذا دليل واضح على أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما هو من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم علي وأهل بيته، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله^(٢).

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة، وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ -الذي هو أول من أحدث الوصية- ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم، بمخالفتهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على ذلك ومن ثمَّ الطعن، ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قرآن وحديث^(٣).

قال ابن تيمية - رحمه الله - في رده على الحلبي: وأما النص على علي فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد ابن حزم، ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يُكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق^(٤).

وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم قديماً ولا حديثاً، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات^(٥).

وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحياء نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي،

(١) «الاعتقاد» ص (١٨٤)، إسناده جيد .

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٦٥) .

(٣) «المنهاج» (٤) ص (٣٦٢/٨)، و«الفصل» (٤) ص (١٦١/٤) .

(٥) «المنهاج» (٧) ص (٥٠) .

ثم عمموها على آخرين من سلالة علي والحسين لإثارة مشاعر الناس وعواطفهم، والدخول إلى قلوبهم؛ لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في آل البيت، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق^(١)، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في آل محمد إماماً مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلقمها، أفترى أنه كان يشفق علياً من حر اللقمة، ولا يشفق علي من حر النار؟ قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر، فلا يكون له فيك الشفاعة^(٢).

وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد، وقد بين محب الدين الخطيب أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة، وحصر الإمامة والتشريع، وادعى العصمة لأناس مخصوصين من آل البيت^(٣)، وقد شارك شيطان الطاق رجل آخر هو هشام بن الحكم المتوفى ١٧٩هـ^(٤)، ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة^(٥)؛ بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن تدعي الصلة بأهل البيت أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم^(٦)، ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة، قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة،

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٠٠).

(٢) «رجال الكشي» ص (١٨٦).

(٣) «مجلة الفتح» ص (٥)، العدد (٨٦٢) عام: ١٣٦٧هـ.

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٠٣).

(٥) «بحار الأنوار» (١٠٠/٢٥٩)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٠٥).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٠٦).

ولكنهم مختلفون في مقدارهم، فقال بعضهم: خمسة، وبعضهم: سبعة، وبعضهم: ثمانية، وبعضهم: اثنا عشر، وبعضهم ثلاثة عشر^(١).

وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشئ الأكبر، أو «الزينة» لأبي حاتم الرازي، أو من كتب (الاثنا عشرية) مثل: «المقالات والفرق» للأشعري القمي، و«فرق الشيعة» للنوبختي، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً، بل هي أساس الدين وأصله المتين، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم ولذلك يكفر بعضهم بعضاً، بل إن أتباع الإمام الواحد يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً^(٢)، أما الاثنا عشرية فقد استقر قولها - فيما بعد - بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، ولم يكن في العترة النبوية من بني هاشم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من يقول: بإمامة الاثني عشر^(٣)، إنما عرف الاعتقاد باثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري^(٤).

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة، أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براءً منها، ففي أحد كتب الشيعة المعتمدة «نهج البلاغة»، عن علي رضي الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري؛ فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول^(٥)، وإن الآفاق قد أغامت^(٦)، والمحجة^(٧) قد تنكرت، واعلموا أنني إن أحببتكم ركبت لكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً^(٨) فلو كانت إمامة علي منصوباً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه تحت أي ظرف

(١) «مختصر التحفة» ص (١٩٣).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٠٧).

(٣) «مناهج السنة» (٢/١١).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨٠٨).

(٥) لا تصبر له ولا تطيق احتمالها.

(٦) أغامت: غطيت بالغيمة، وأغام القوم: صاروا في الغي.

(٧) المَحَجَّة: الطريق المستقيمة، والجمع: مَحَاجٍ.

(٨) «نهج البلاغة» خطبة رقم (٩٢) ص (٢٣٦).

من الظروف أن يقول للناس: دعوني والتمسوا غيري، ويقول: (أنا لكم وزيراً خيراً مني أميراً) كيف والناس تريده وجاءت تباعه^(١)؟!

ويقول في «النهج» كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول: إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار؛ فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضىً، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج عنه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى^(٢).

وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة إلى حقائق جدية بالاهتمام حيث جعل:

أ - الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وبيدهم الحل والعقد.

ب - اتفاقهم على شخص سبب لمرضاة الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.

ج - الإمامة لا تنعقد في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم.

د - قولهم لا يرد ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين. فأين هم الشيعة الاثنا عشرية من هذه التصريحات المهمة^(٣)؟!

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة، كما أنه لا يقبلها العقل ولا منطق الواقع؛ إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند (الاثنا عشرية) لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في

(١) ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٥٨).

(٢) «النهج البلاغة»: كتاب إلى معاوية رقم (٦) ص (٥٢٦).

(٣) ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٦١).

حدود النيابة^(١) وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع، فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي^(٢).

— ما يحتاج به الاثنا عشرية على أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يكون اثنا عشر أميراً». فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم في قريش»^(٣)، وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة». ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: «كلهم من قريش»^(٤).

وفي لفظ: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة»^(٥) وفي لفظ آخر: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً»^(٦)، وعند أبي داود: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة»^(٧). وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا، قال: «الهرج»^(٨). يتعلق الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة؛ لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة^(٩)، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به، وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضياً وصالحاً في عهدهم، وكل هذه الأوصاف لا

(١) «الحكومة الإسلامية» للخميني ص (٦٨)، و«أصول الشيعة» (١٤٤/٢).

(٢) «الحكومة الإسلامية» للخميني ص (٢٤٨)، و«أصول الشيعة» (١٤٤/٢).

(٣) «البخاري»، كتاب الأحكام، باب: الاستخلاف (١٢٧/٨).

(٤) «مسلم»، كتاب الإمارة، باب: الناس تبع لقريش (١٤٥٣/٢).

(٥) «سنن أبي داود»، كتاب المهدي (٤٧١/٤).

(٦) «سنن أبي داود» (٤٧٢/٤)، و«فتح الباري» (٢١١/١٣).

(٧) «أصول الشيعة الإمامية» (٨١٥/٢).

تنطبق على من تدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدة قليلة، كما لم يقيم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر - في نظر الشيعة أنفسهم - بل مازال أمر الأمة فاسداً . . . ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون^(١) وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالتقية^(٢) وأن عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرح بذلك شيخهم المفيد^(٣) فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملته من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري^(٤)، واضطر إلى ممالة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين، كما أقر بذلك شيخهم المرتضى^(٥).

فالحديث في جانب ومزاعم هؤلاء في جانب آخر، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد، بل نوه منه بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصر هؤلاء، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة^(٦)، ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم، ثم استشهد بحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش». ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك^(٧).

ثم إنه قال في الحديث: «كلهم من قريش»^(٨)، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده، ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم، وبنو عدي، وبنو عبد شمس،

(١) «منهاج السنة» (٤/٢١٠)، و«المتقى» ص (٥٣٣).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/١١٦).

(٣) «منهاج السنة» (٤/٢٠٦).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/١١٦).

(٥) «مسلم» (٢/١٤٥٣).

وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل^(١)، فإذا لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد، والعدد لا يدل على شيء^(٢).

* أدلتهم من القرآن على النص:

إن الشيعة الرافضة لما لم يجدوا ما يستدلون به من الشرع لتقرير عقيدة الإمامة بالنص عمدوا إلى آيات من كتاب الله فيها ثناء ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المتقين، فجعلوها خاصة بأمر المؤمنين علي رضي الله عنه وأولوها على حسب هذا المعتقد الفاسد، كما اختلقوا أحاديث كثيرة لتأييد هذه البدعة الشنيعة؛ وذلك لإيقاع جهلة المسلمين ومن قل نصيبه من العلم في ذلك، وما أوردوه في هذا الشأن واضح البطلان، ولذلك استدلالهم لا يخرج عن أمرين:

أ - إما أن يكون فيما استدلوا به دليل على تلك الدعوى، كآية التطهير والمباهلة، وحديث الراية، وحديث غدیر خم وغيرها من الأحاديث.

ب - أو أن تكون أحاديث موضوعة، والموضوع لا تقوم به حجة، ولهذا اشتهر بين أهل العلم أن الرافضة أكذب الفرق المنتسبة للإسلام، وقد ذكر ابن تيمية اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بالكذب^(٣).

وإليك بعض الأمثلة في استدلالهم بالقرآن:

١- آية الولاية: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

ذكروا في تفسير هذه الآية ما يدل على زعمهم بأنها في إمامة علي، قال شيخ

(١) «منهاج السنة» (٤/٢١١).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٨١٨).

(٣) «منهاج السنة» (١/٥٩).

الطائفة - كما يلقبونه - الطوسي : وأما النص على إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ المائدة: ٥٥ (١).

وقال الطبرسي : وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي ﷺ بلا فصل (٢)، ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم؛ حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم (٣)، وأما كيف يستدلون بهذه الآية على مبتغاهم؟ فإنهم يقولون: اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي رضي الله عنه لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بحضور من الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة (٤)، و(إنما) للحصر باتفاق أهل اللغة، والولي بمعنى: الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة (٥)، فأنت ترى أنهم يعتمدون في استدلالهم بالآية بما روي في سبب نزولها؛ لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادهم، فصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة؟ وهل وجه استدلالهم سليم؟ يتبين هذا بالوجوه التالية:

أ - إن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في علي هو من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن علياً لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع (٦).

وقوله: إنها مذكورة في الصحاح (٧) الستة كذب؛ إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة، وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروى في أن هذه الآية نزلت في

(١) «تلخيص الشافي» (١٠/٢)، نقلاً عن: «أصول مذهب الشيعة الإمامية» (٨٢٢/٢).

(٢) «مجمع البيان» (١٢٨/٢)، نقلاً عن: «أصول الشيعة الإمامية» (١٢٨/٢).

(٣) «عقائد الإمامية الاثنا عشرية» (٨١/١)، و«أصول مذهب الشيعة» (٨٢٣/٢).

(٤) «أصول مذهب الشيعة» (٨٢٣/٢).

(٥) «عقائد الإمامية الاثنا عشرية» (٨١/١)، نقلاً عن: المرجع السابق (٨٢٣/٢).

(٦) «منهاج السنة» (٤/٤).

(٧) «أصول مذهب الشيعة» (٨٢٤/٢).

علي حين تصدق بخاتمته، وعقب عليها بقوله: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها^(١)، وقال عبد العزيز الدهلوي: وأما القول بنزولها في حق علي بن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم في حالة الركوع فإنما هو للثعالبي^(٢) فقط وهو متفرد به، ولا يعد المحدثون من أهل السنة روايات الثعالبي قدر شعيرة ولقبوه بحاطب ليل؛ فإنه لا يميز الرطب من اليابس وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهو من أوهى ما يروى في التفسير عندهم^(٣)، وسبب نزول هذه الآية الصحيح هو: أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول صلى الله عليه وسلم ذهبوا إلى عبادة بن الصامت كما أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم وتولى الله ورسوله، فأنزل الله قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ {المائدة: ٥٥}، أي: والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ {المائدة: ٥٥}، يعني: عبد الله بن أبي بن سلول؛ لأنه كان موالياً لبني قينقاع، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم والاهم ونصرهم ووقف معهم، وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لهم، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {المائدة: ٥١}، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين،

(١) «تفسير ابن كثير» (٧٦/٢، ٧٧).

(٢) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص (١٤١، ١٤٢).

(٣) المصدر نفسه ص (١٤١، ١٤٢)، و«عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط» ص (٤٧٣). وانظر: «أسباب النزول للواحدي»، تحقيق أمين شعبان ص (١٦٣). وانظر: «اليهود في السنة المطهرة» (٢٨٢/١)، ويسقى الخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل يتقوى مع المتابعات والشواهد، وانظر: «مختصر تفسير القرآن العظيم»، المسمى: «عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير» لأحمد محمد شاكر (٧٠١/١) فقد قال أحمد شاكر فيمن قال نزلت في علي عليه السلام: بل هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون بتأويل القرآن.

وهو عبادة بن الصامت ومن اتبعه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، أمثال عبادة وغيره، فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت (١).

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهي عن موالاة الكافرين، وهذا المعنى يدرك أيضاً - بعد معرفة سبب النزول الحقيقي - بوضوح من سياق الآيات؛ إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١).

فهذا نهى صريح عن موالاة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنصرة... ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته، وهو الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موالاة المحبة والنصرة التي نهى عنها في الأولى هي بعينها التي أمر بها المؤمنين في هذه الآية بحكم المقابلة كما هو بين جلي من لغة العرب (٢).

قال الرازي: لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من تجب موالاته (٣).

وقال ابن تيمية: إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفاً عن سلف أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين (٤).

ب - إن الله تعالى لا يثني على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحباً لفعله الرسول ﷺ ولحضر عليه، ولكرر فعله، وإن في الصلاة

(١) رواه ابن هشام في السيرة في أمر بني قينقاع (٤٩/٢) عن عبادة بن الوليد، ورواه ابن جرير في تفسيره في تأويل قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...﴾، «تفسير الطبري» (١٧٨/٦)، ورجال إسناده من طريق ابن جرير موثوقون، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن والده لكنه مرسل؛ فإن عبادة بن الوليد تابعي جليل روى عن أبيه وجده وغيرهما وهو ثقة «التهذيب» (١١٤/٥).

(٢) «أصول مذهب الشيعة» (٨٢٦/٢).

(٤) «منهاج السنة» (٥/٤).

(٣) «تفسير الفخر الرازي» (٢٥/١٢).

لشُغلاً، وإعطاء السائل لا يفوت؛ إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه، بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأي جملة من أهل العلم^(١).

ج - إنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختص بالركوع، فكيف يقال: لا ولي إلا الذين يتصدقون في حال الركوع، فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلي، قيل له: أوصاف علي التي يعرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يترك تعريفه بالأمور المعروفة ويعرف بهذا الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟ وجمهور الأمة لا تسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة^(٢).

د - وقولهم: إن علياً أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه فنزلت الآية، مخالفة للواقع؛ ذلك أن علياً رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنه كان فقيراً، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً، وعلي رضي الله عنه لم يكن من هؤلاء^(٣).

هـ - إن الأصل في الزكاة أن يبدأ المزكي، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب، أيهما أفضل أن تبادر أنت بدفع الزكاة، أو أن تجلس في بيتك وزكاتك عندك، ثم تنتظر الناس حتى يطرقوا عليك الباب ثم تعطيهم زكاة أموالك؟ لا شك أن الأول الأفضل^(٤).

و - قولهم: إن المراد بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الإمارة - لا يتفق مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه متولٍ على عباده، وأنه أمير عليهم؛ فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكمهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين^(٥)، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم

(١) «منهاج السنة» (٢٠٨/١) (٥/٤).

(٢) «منهاج السنة» (٥/٤)، و«أصول مذهب الشيعة» (٨٢٥/٢).

(٣) «أصول مذهب الشيعة» (٢٨٢٥).

(٤) «حقبة من التاريخ» ص (١٩٣).

(٥) «أصول مذهب الشيعة» (٨٢٧/٢).

ويحبونه ، ويرضى عنهم ويرضون عنه ، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة^(١) ، فهذه الولاية هي المقصودة في الآية ، وقوله : ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ، أي : خاضعون لربهم منقادون لأمره ، والركوع في أصل اللغة بمعنى الخضوع ، أي : يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله^(٢) ، وهذا كما قال الله تبارك وتعالى عن داود عليه السلام : ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] ، وهو خراً ساجداً ، وإنما سُمِّيَ رَاكِعًا للذل والخضوع لله تبارك وتعالى ، وكما قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] ، أي : اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى^(٣) .

ز - وأما استدلالهم بأداة الحصر (إنما) وأن المراد علي رضي الله عنه بالخصوص ، فهذا الدليل كما يدل على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كما قرر يدل على سلب الإمامة من الأئمة المتأخرين بذلك التقرير بعينه ، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأظهر مسلوبة منهم الإمامة ، فإن أجابوا عن النقص بأن المراد حصر الولاية في بعض الأوقات - أعني : وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده - وافقوا أهل السنة في أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إماماً لا قبله^(٤) ، وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم - كما يقول شيوخهم - تبين أنهم ليسوا على شيء ، ذلك أن الأصل أن يستعمل في هذا الأمر العظيم - والذي هو عند الروافض أعظم أمور الدين ، ومنكره في عداد الكافرين - صيغة واضحة جلية ، يفهمها الناس بمختلف طبقاتهم ، يدركها العامي ، كما يدركها العالم ، ويفهمها اللاحق ، كما يفهمها الحاضر ، ويعرفها البدوي ، كما يعرفها الحضري ، فلما لم يستعمل مثل ذلك في كتاب الله دل أنه لا نص كما يزعمون^(٥) وهذه أقوى آية يستدلون بها

(١) «أصول مذهب الشيعة» (١٢٧/٢) .

(٢) «لكشاف» للزمخشري (١/٦٢٤) ، و«تفسير الرازي» (١٢/٢٥) .

(٣) «حقة من التاريخ» ص (١٩٤) .

(٤) «أصول مذهب الشيعة» ص (٨٢٥) .

(٥) «أصول مذهب الشيعة الإمامية» (٢/٨٢٩) .

من كتاب الله، ويسمونها آية الولاية ولهم تعلق بآيات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي، وأجاب عنها ابن تيمية بأجوبة جامعة^(١).

٢ - آية المباهلة:

إن آية المباهلة التي نزلت في وفد نجران تعتبر دليلاً آخر عند الشيعة (الاثنا عشرية) على الإمامة، وهي قول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

ووجه دلالة الآية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة أنها دلت على أفضليته من وجهين:

أحدهما: أن موضوع المباهلة لتمييز المحق من المبطل، وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوع على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه صلى الله عليه وسلم جعله مثل نفسه بقوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾؛ لأنه أراد بقوله ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، وبقوله: ﴿نِسَاءَنَا﴾ فاطمة، وبقوله: ﴿أَنْفُسَنَا﴾ نفسه ونفس علي عليهما السلام. وإذا جعله مثل نفسه وجب ألا يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد^(٢).

وقد سميت آية المباهلة بهذا الاسم؛ لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره، وكانت المباهلة بالموت؛ لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت، وآية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثنا عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب:

(١) وقد قام الدكتور علي السالوس بدراسة مستفيضة حول الآيات التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة وانتهى من ذلك إلى أن استدلالهم تبني على روايات متصلة بأسباب النزول وتأويلات انفردوا بها لم يصح شيء من هذا ولا ذاك، «مع الشيعة الاثني عشرية» (١/٥٥، ١١١).

(٢) «تفسير التبيان» للطوسي (٣/٤٨٥).

أ - أنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة ﴿نَفْسِي﴾ التي استدلت بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة، ولكن ما استدلت به أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب فهو مذكور في اللغة موافق للدين، قال الزبيدي: قال ابن خالويه: النفس الأخ، قال ابن بري: وشاهده قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، وفسر ابن عرفة قوله تعالى: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، أي: بأهل الإيمان وأهل شريعتهم ^(١) قال الدهلوي: معنى: ﴿نَدَعُ... أَنفُسَنَا﴾ نحضر أنفسنا، وأيضاً لو قررنا الأمير - أي الإمام علي - من قبل النبي صلى الله عليه وسلم لمصداق ﴿أَنفُسَنَا﴾ فمن نقرره من قبل الكفار لمصداق ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ في أنفس الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة ﴿نَدَعُ﴾ ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله ﴿تَعَالَوْا﴾ ^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسِكُمْ﴾، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]. نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك؛ فإن الواحد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، أي: يقتل بعضكم بعضاً. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِن دِيَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]. أي لا يخرج بعضكم بعضاً، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين ^(٣).

وقد قال الله عز وجل في رسوله الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(١) «تاج العروس» (١٦/ ٥٧٠)، واثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨٨)

(٢) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص (١٥٦).

(٣) «مختصر منهاج السنة» (١/ ١٦٧، ١٦٨).

وفي هذه الآية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى: ﴿أَنْفُسَنَا﴾ على معنى المماثلة والتطابق، فهذه الآية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة، وتقول: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فمن ذا الذي يقول بأن نفس رسول الله صلوات الله عليه نفس كفار مكة - عياداً بالله^{(١)؟!!}

وهنا تظهر المزاجية في تفسير آية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأن علياً هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة، وحتى بعض الروايات الشيعية تشير إلى أن إطلاق لفظ «أنفسنا» على الأخ أو القريب، أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس رضي الله عنهما إلى ابن الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلّة، فلما نظروا إليه قالوا: يا ابن عباس، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس؟! فقال: وأنا أول ما أحاصمكم فيه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ وقال: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ {الأعراف: ٣١} فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي^{(٢)؟!}

ب - اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضي أن قوله تعالى: ﴿أَنْفُسَنَا﴾ لا يعني أن علياً رضي الله عنه هو نفس رسول الله صلوات الله عليه كما يقول الشيعة، يقول الشريف الرضي: قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب والمقارب بأنه نفس ابن عمه، وأن الحميم نفس حميمه، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ {الحجرات: ١١} أراد تعالى: ولا تعيبوا إخوانكم المؤمنين، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب، كانت أخلق أن تقع على القريب النسب، وقال الشاعر: (كأنا يوم قرى

(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨٩)

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨٨)

إنما نقتل إيانا). أراد: كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا، فأجرى نفوس أقرابه مجرى نفسه، لشوابك العصم ونوائط اللحم وأطيظ الرحم، ولما يخلج من القربى القريبة، ويتحرك من الأعراق الوشيحة، فأما قول الله تعالى في سورة النور: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] فيمكن أن يجري هذا المجرى؛ لأنه جاء في التفسير أن معنى ذلك: فليسلم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه، وإنما ساغ القول؛ لأن نفوس المؤمنين تجري النفس الواحدة؛ للاجتماع في عقد الديانة، والخطاب بلسان الشريعة، فإذا سلم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه؛ لارتفاع الفروق واختلاط النفوس^(١).

وبهذا يتضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم: أن في هذه الآية ما ينص على مساواة بين رسول الله ﷺ وعلي رضي الله عنه وأرضاه، فلفظ (النفس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب، بإطلاقه على القريب من باب أولى، وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد^(٢).

ج - إن المباهلة إنما تُحدثُ الرغبة والرغبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال، ما لا تحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك^(٣)، فكونه ﷺ يدعو ألصق الناس به وأقربهم إليه، دليل واضح على صحة نبوته ولهذا لما رأى نصارى نجران خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلتهم، ولكن الروافض المتبدعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز^(٤).

د - قول الشيعة الإمامية: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي ﷺ إلا النبوة، كلام لا يُسلم له أبداً؛ إذ إن النبي ﷺ لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره، فأين مقام رسول الله ﷺ وكماله البشري من سائر الناس؟

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٨٩).

(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (١٩٠).

(٣) «منهاج السنة» (٧/١٢٥، ١٢٦).

(٤) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/٥٦٤، ٥٦٥).

إن أمير المؤمنين علي نفسه لا يرضى ما يقول الشيعة الإمامية عنه ، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح^(١) ، فمقام النبوة له هيئته ومكانته عند أمير المؤمنين وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب .

هـ - إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهمات الدين وأساسياته العظمى ، لا بد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ على التوحيد ، ودلالة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ودلالة قوله تعالى : ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ على فرضية الصلاة ومشروعيتها^(٢) . . . إلخ .

٣ - قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

{الشورى : ٢٣} .

وقد أورد الشيعة الإمامية في تفسير هذه الآية حديثاً عزوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهم الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم ، ووجوب مودتهم ، ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم^(٣) .

والإجابة عما سبق كالآتي :

أ - إن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة^(٤) ، ومن المعلوم أن علياً إنما تزوج فاطمة بعد غزوة بدر والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة ، والحسين في السنة الرابعة ، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة ، فكيف يفسر النبي صلى الله عليه وسلم بوجوب قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد^(٥) ؟

(١) ثم أبصرت الحقيقة «ص (١٩١) .

(٢) «آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة» ، لعبد الهادي الحسيني ، ص (٥) .

(٣) «مجمع البيان» للطبرسي (٢٥ / ٤٩ - ٥١) ، و«مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص (١٥٣ - ١٥٥) .

(٤) «تفسير البغوي» (٤ / ١١٩) ، و«العقيدة في أهل البيت» ص (٣٦٤) .

(٥) «منهاج السنة» (٧ / ٩٩) ، و«الدراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ، جلي ص (١٩٠) .

ب - إن تفسير الآية الذي في الصحيح يناقض ذلك، فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فقال سعيد بن جبير: قربي آل محمد صلى الله عليهم، فقال ابن عباس: عجبت؛ إن النبي صلى الله عليه لم يكن بطن في قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة^(١)، قال ابن تيمية - رحمه الله -: فهذا ابن عباس ترجمان القرآن، وأعلم أهل البيت بعد علي، يقول: ليس معناها مودة ذوي القربى، لكن معناها: لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجرًا، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم، فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه؛ فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه^(٢).

ج - إن الحديث الذي جعلوه مفسراً للآية: كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم في هذا، وقد نص على ذلك ابن تيمية^(٣)، وقد تتبع ابن كثير أيضاً الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية، وبين أن الأحاديث التي تنص على أن أولي القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد، وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ - الآية - قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: فاطمة وولداها رضي الله عنهم. وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد؛ فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية؛ فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة، والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح^(٤).

(١) «البخاري»، كتاب التفسير، رقم (٤٨١٨).

(٢) (٣، ٢) «منهاج السنة» (٧/ ١٠٠).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١٢)، و«فتح الباري» (٨/ ٥٦٤).

* أدلتهم من السنة:

١ - خطبة غدِير خَم:

غدِير خَم هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة^(١)، ويقع شرق رابغ بما يقرب من ستة وعشرين ميلاً، ويسمونه اليوم الغربية^(٢)، ويذكر أنه في هذا الموقع خطب النبي صلَّى اللهُ عليه وآله في الناس، وذكر فضل علي رضي الله عنه، واتخذ الروافض هذه الحادثة أساساً يعتمدون عليه في تشيعهم الغالي له من جهة، واعتمدوا عليها في أحقية علي بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة^(٣)، حتى ألف فيها كتاباً من أحد عشر مجلداً، وهو كتاب «الغدِير» ملأه مؤلفه بالأحاديث الموضوعية والضعيفة.

والصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه قال: قام رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله فينا خطيباً بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي». قال له حصين - أي الراوي عن زيد بن أرقم -: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نعم، ولكن أهل بيته من حُرِّم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال: كل هؤلاء حُرِّم الصدقة؟ قال: نعم^(٤).

وجاء عند غير مسلم كالترمذي^(٥)، وأحمد^(٦)، والنسائي في الخصائص^(٧)، والحاكم^(٨)، وغيرهم بأسانيد صحيحة عن النبي صلَّى اللهُ عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي

(١) «معجم البلدان» (٢/٢٨٩).

(٢) «أثر التشيع على الروايات التاريخية»، لعبد العزيز محمد نور ولي ص (٢٩٩).

(٣) «مسلم» رقم (٢٤٠٨).

(٤) «سنن الترمذي» رقم (٣٧١٣).

(٥) «مسند أحمد» الموسوعة الحديثية رقم (٦٧٠) صحيح لغيره.

(٦) «خصائص علي» رقم (٧٩) صحيح رجاله ثقات.

(٧) «المستدرک» (٣/١١٠).

مولاه»^(١) وأما الزيادات الأخرى كقوله: «اللهم وال من والاه وَعَاد من عاداه». فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم، والصحيح أنها لا تصح، وأما زيادة «انصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار»، فهذه زيادة مكذوبة على النبي ﷺ^(٢).

وخطبة النبي ﷺ في غدير خم لها سبب وجيه؛ فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد بن الوليد في اليمن؛ ليخمس الغنائم ويقبض الخمس، فلما خمّس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخمس، ثم إن علياً خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسأله عن ذلك، فأخبرهم أن الوصفة التي كانت في السبي صارت له فتسرّى بها. فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة ابن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي ﷺ، وكان ممن يبغض علياً فصدّق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فقال له النبي ﷺ: «لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك»^(٣)، فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي ﷺ وساق معه الهدى^(٤)، وقد تعجل علي ليلقى الرسول ﷺ بمكة واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حلالاً من البز^(٥)، الذي كان مع علي رضي الله عنه، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لنائبه: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك، انزع قبل أن تنتهي به إلى الرسول ﷺ، فانتزع الحلل وردها إلى البز، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي^(٦)، فلما اشتكى الناس علياً قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً.

(١) «حقة من التاريخ» ص (١٨٢). (٢) انظر: «السلسلة الصحيحة» للالباني رقم (١٧٥٠).

(٣) «مجمع الزوائد» (١٢٧/٩) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية وهو ثقة صرح بالسماع وفيه لين.

(٤) «مسلم» رقم (١٢٨١). (٥) البز: نوع من الثياب، أو متاع البيت من الثياب.

(٦) «البداية والنهاية» (٩٥/٥)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢٥٩/٤) قال ابن كثير: هذا السياق أقرب من سياق البيهقي «الدلائل النبوية» (٣٩٨/٥) برغم أنه قال عن رواية البيهقي: هذا إسناد جيد على شرط النسائي

قال ابن كثير: إن علياً رضي الله عنه لما كثر فيه القليل والقال من ذلك الجيش، بسبب منعه إياهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلال التي أطلقها لهم نائبه لذلك - والله أعلم - لما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من حجته وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة مر بغدير خم، فقام في الناس خطيباً فبرأ ساحة علي ورفع من قدره ونبه على فضله؛ ليزيل ما وقر في قلوب كثير من الناس (١).

إن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الكلام إلى أن رجع إلى المدينة، ولم يتكلم وهو في مكة في حجة الوداع أو في يوم عرفة وإنما أجل الأمر إلى أن رجع، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة؛ لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينة فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريباً مائتين وخمسين كيلومتراً والذي يقول: إنه مفترق الحجيج، فهذا غير صحيح؛ لأن مجتمع الحجيج مكة، فلا يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مائتين وخمسين كيلومتراً أبداً؛ فإن أهل مكة يبقون في مكة وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن وأهل العراق إلى العراق، وهكذا كل من أنهى حجه فإنه يرجع إلى بلده، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها، فلم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا أهل المدينة ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، والاختلاف بين أهل السنة والشيعة الروافض في مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم لا في الثبوت، فالروافض يقولون: «من كنت مولاه فعلي مولاه» أي: من كنت واليه فعلي واليه. وأهل السنة يقولون: إن مفهوم قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» أي: الموالة التي هي النصر والمحبة وعكسها المعادة؛ وذلك لأمر:

أ - للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (٢). والمعادة هي شرح لقوله: «فعلي مولاه» فهي في محبة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

(٢) «السلسلة الصحيحة» للالباني رقم (١٧٥٠).

(١) «البداية والنهاية» (٩٥/٥).

ب - كلمة «مولاه» تدل على معاني متعددة. قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب والمالك والمنعم والناصر والمحب والحليف والعبد والمعتق وابن العم والصهر^(١)، كل هذه الكلمات تطلقها العرب على كلمة مولى.

ج - الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة؛ لأن النبي ﷺ لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحتمل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثير، والنبي ﷺ هو أفصح العرب ولكان يقول: علي خليفتي من بعدي أو علي الإمام من بعدي، أو إذا أنا مت فاستمعوا وأطيعوا لعلي بن أبي طالب، ولكن لم يأت النبي ﷺ بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبداً، وإنما قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٢).

د - قال الله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥] فسمها مولى لشدة الملاصقة والاتحاد مع الكفار والعياذ بالله.

هـ - الموالاتة وصف ثابت لعلي في حياة رسول الله ﷺ، وبعد وفاته وبعد وفاة علي ؑ، فعلي كان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله ﷺ وهو مولى المؤمنين بعد وفاته ؑ، فهو الآن مولانا كما قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]. وعلي ؑ من سادة الذين آمنوا.

و - قال الإمام الشافعي رحمه الله عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١] ^(٣). فالحديث لا يدل على أن علياً ؑ هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ، وإنما يدل على أن علياً من أولياء الله تبارك وتعالى، تجب له الموالاتة وهي المحبة والنصرة والتأييد^(٤).

وعموماً فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في غدير خم، أراد بها تبرئة ساحة علي ؑ ورفع مكانته والتنبيه على فضله؛ ليزيل ما كان وقر في نفوس

(٢) «حقبة من التاريخ» ص (١٨٥).

(١) «النهاية في غريب الحديث» (٢٢٨/٥).

(٤) «حقبة من التاريخ» ص (١٨٧).

(٣) «النهاية في غريب الحديث» (٢٢٨/٥).

الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن وأخذوا عليه بعض الأمور، والرسول عليه السلام لم يرد أن يفعل ذلك في أثناء موسم الحج؛ لأن الحادثة برغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة حتى لا يُمكن المنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكايدهم^(١)، ومما يدل على أن النبي صلوات الله عليه أراد من خطبته هذه بيان فضل علي للذين لم يعرفوا فضله، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتقص في علي - وكان قد رأى من علي جفوة - تغير وجه النبي صلوات الله عليه وقال: «يا بريدة، أَلستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٢).

وهناك بحث قيم في هذا الموضوع قام به الدكتور محمد على السالوسي، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنة، وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعتره وناقشها وحكم عليها ثم قال: مما سبق نرى أن حديث الثقلين لم يصح سنده، وأن الروايات الثمانية التي تأمر بالتمسك بالعتره إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها من ضعف في السند^(٣)، وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يردا الحوض على رسول الله صلوات الله عليه، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار، فمن التشيعيين لأهل البيت من ضل وأضل، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لآل البيت ستاراً يحميها، ووجدت من المنتسبين لآل البيت من يشجعها لمصالح دنيوية، كأخذ خمس ما يغنمه الأتباع. إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنة، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك، واستحقوا أن يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم كما قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ {الفرقان: ٧٤} أي

(١) «أضواء على دراسة السيرة النبوية»، لصالح الشامي ص (١١٣، ١١٤).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٣٣٦/٤) قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٣) ومع هذا الضعف جاء في كتاب «المراجعات» للموسوي بأنها متواترة ص(٥١) ونسب للشيخ سليم البشري أنه تلقى هذا القول بالقبول ص (٤٥) وأنه طلب المزيد، وذكر صاحب «المراجعات» روايات أخرى أشد ضعفاً مع

أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنة، فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم منها كذلك، وهذا ضعف آخر، ومع هذا كله فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثني عشر وأحقيتهم للخلافة^(١).

قال العلامة المناوي في فقه روايات الحديث: إن اتسمرت بأوامر كتابه، وانتهيت بنواهيه، واهتديت بهدي عترتي، واقتديت بسيرتهم، اهتديت فلم تضلوا^(٢).

وقال ابن تيمية بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة.

قالوا: ونحن نقول بذلك كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره. وقال أيضاً: إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع، والعترة بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة^(٣).

إن حديث الثقلين، في قوله صلى الله عليه وآله: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله^(٤) وعترتي». فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي صلى الله عليه وآله، والثابت عند مسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم في مسلم، فأوصى بكتاب الله، وحث على التمسك به ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»، فالذي أمر بالتمسك به كتاب الله، وأما أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاها الله تبارك وتعالى إياها^(٥). ونرد على فهم الشيعة الروافض المنحرف لحديث الثقلين من وجوه:

أ - إن عترة الرجل هم أهل بيته، وعترة النبي صلى الله عليه وآله هم كل من حرمت عليه

(١) «مع الشيعة الاثنا عشرية» (١/١٣٦).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤/١٠٥).

(٣) «سنن الترمذي»، كتاب المناقب رقم (٣٧٨٦) وفيه زيد الأمامي والحديث له أكثر من طريق لا يخلو طريق منها من كلام مع اختلاف المتون.

(٤) «حقبه من التاريخ» ص (٢٠٣).

الزكاة وهم بنو هاشم، هؤلاء هم عترة النبي عليه السلام، فالروافض ليس لهم أسانيد إلى الرسول عليه السلام وهم يقرون بهذا، أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم وإنما هي كتب وجدوها وقالوا: ارووها فإنها حق^(١)، أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة الروافض، إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد^(٢)، فأين لهم ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي عليه السلام؟ بل أهل السنة هم أتباع عترة النبي عليه السلام والذين أعطوهم حقهم، ولم يزيدوا ولم ينقصوا كما قال النبي عليه السلام في حق نفسه: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله»^(٣).

ب - إمام العترة علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعده يأتي في العلم عبد الله ابن عباس الذي هو حبر الأمة، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر عليهما السلام قبل علي عليه السلام بل إن عليّ ابن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله عليه السلام أبو بكر وعمر^(٤). فعلي يقر بفضل الشيخين وهو إمام العترة^(٥).

ج - هذا الحديث مثل قوله عليه السلام: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتي»^(٦) وقال النبي عليه السلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»^(٧)، فأمر بالعض عليها بالنواجذ. وقال عليه السلام: «اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر»^(٨). وقال: «اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود»^(٩)، ولم يدل هذا على الإمامة أبداً، وإنما دلّ على أن أولئك على هدي الرسول عليه السلام، كما أن عترة الرسول عليه السلام لا تجتمع على ضلالة أبداً^(١٠).

(٢-١) «حقبة من التاريخ» ص (٢٠٣).

(٣) «البيخاري» رقم (٣٤٤٥).

(٤) «البيخاري» رقم (٣٦٧١).

(٥) «حقبة من التاريخ» ص (٢٠٤).

(٦) «مستدرک الحاكم» (٩٣/١).

(٧) «سنن أبي داود» (٢٠١/٤)، «الترمذي» حسن صحيح.

(٨) «صحيح سنن الترمذي» للألباني (٢٠٠/٣).

(٩) «سنن الترمذي» رقم (٣٨٠٥).

(١٠) «حقبة من التاريخ» ص (٢٠٥).

د - إن الشيعة الروافض يطعنون في العباس^(١)، ويطعنون في عبد الله ابنه، ويطعنون في أولاد الحسن، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي^(٢)، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري^(٣)، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي ﷺ وعترته، بل أولياء النبي وعترته هم الذين مدحهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم^(٤).

هـ - فهم صحابة رسول الله ﷺ للنص: فهم الصحابة رضوان الله عليهم أن المراد بالمولى أو الولي هو الحب والولاء والطاعة، ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي ابن أبي طالب بمناداته يا مولانا، فعن رباح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدیر خم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» قال رباح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري^(٥).

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث: هو أن علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين علياً قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا)، ولو كان أمير المؤمنين علي العربي الفصيح يراها مرادفة يا أميرنا أو يا إمامنا لما استنكر على القائلين تلك المنادة^(٦).

و - روت كتب الشيعة (الاثنا عشرية) أقوالاً لبعض أهل البيت، ينفون فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله ﷺ، فقد قيل للإمام الحسين بن علي الذي كان كبير الطالبين في عهده وكان وصي أبيه

(١) «رجال النجاشي» ص (٥٢)، نقلاً عن: «حقبة من التاريخ» ص (٢٠٥).

(٢) «بحار الأنوار» (١٩٤/٤٦)، اتهموه بأنه كان يشرب الخمر، و«حقبة من التاريخ» ص (٢٠٥).

(٣) «الكافي» (٥٠٤/١)، اتهموه بأنه فاجر ماجن شارب للخمر، و«حقبة من التاريخ» ص (٢٠٥).

(٤) «حقبة من التاريخ» ص (٢٠٥).

(٥) «فضائل الصحابة» (٧٠٢/٢) حديث رقم (٩٦٧).

(٦) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٢٠٠).

وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله صلوات الله عليه: «من كنت مولاه فعلي مولاه؟» فقال: بلى ولكن - والله - لم يعن رسول الله صلوات الله عليه بذلك الإمامة والسلطان، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به، وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله، وكان ينفي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من الله^(١)، فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرين له، فما ترى غيرهم يقولون^(٢)؟

٢ - حديث الاستخلاف على المدينة في تبوك:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحقق منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام^(٣)، واستعمل رسول الله صلوات الله عليه على المدينة علياً، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم، من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه، وهذا القول منهم في حقه علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن علياً رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلوات الله عليه ألاَّ يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق^(٤).

عند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله، أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله صلوات الله عليه: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»^(٥)، وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله صلوات الله عليه، والرد عليهم من وجوه:

أ - الحديث المذكور له سبب مهم لا ينبغي أن يغفل وأن يفهم الحديث دونه؛

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٢٠١) كذلك الرواية في كتب أهل السنة، و«الاعتقاد» للبيهقي ص (١٨٢، ١٨٣)، ومن كتب الشيعة «بصائر المؤمنين» للصفار ص (١٥٣ - ١٥٦).

(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٢٠١).

(٣) «المرتضى» للندوي ص (٥٥).

(٤) «مسلم» رقم (٧٨).

(٥) «البخاري» رقم (٢٤٠٤).

فقد طعن المنافقون في علي رضي الله عنه، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

ب - من الثابت أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام، والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتالي غير منطبق، ولو أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم النص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقال له مثلاً: أنت مني بمنزلة يوشع من موسى؛ لأن نبي الله يوشع استخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، لكن ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته، ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول صلى الله عليه وسلم له في المدينة، مُستخلفاً على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة، فبين له النبي صلى الله عليه وسلم أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى، فاستخلفني لك من هذا الباب، فموسى لم يستخلف هارون عليهما السلام استخفافاً به وتنقيصاً له وإنما ائتمناً له وثقة به، وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ج - هارون عليه السلام لم يكن وصياً لموسى عليه السلام بل نبياً ووزيراً بنص القرآن، وقياسُ حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي - قياسُ مع الفارق، علماً بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

د - الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيراً لموسى عليه السلام على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعجب من الأولى؛ ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيراً لنيه موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام: ﴿وَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِى * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩-٣٢] فهل يرى من يدعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام^(١).

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٢١٥).

هـ - لقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة غير علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ففي غزوة بدر استخلف عبد الله بن أم مكتوم ، واستخلف في غزوة سليم سبع بن عرفة الغفاري ، أو ابن مكتوم على اختلاف في ذلك ، واستخلف في غزوة السوق بشير بن عبد المنذر ، واستعمل على المدينة في غزوة بني المصطلق ، أبا ذر الغفاري ، وفي غزوة الحديبية ، نُميلة ابن عبد الله الليثي كما استعمله أيضاً في غزوة خيبر ، وفي عمرة القضاء استعمل عوف بن الأصبط الديلي ، وفي فتح مكة كلثوم بن حصين بن عتبة الغفاري ، وفي حجة الوداع أبا دجانة الساعدي ، ذكر هذا ابن هشام في مواقف متفرقة من السير^(١) ، إضافة إلى أن استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير ، فقد استخلف النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في حجة الوداع غير علي ، وهذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية القادة كما حدث عندما أمر أبا بكر رضي الله عنه على الحج ، واختصه أيضاً بإمامة الصلاة وحده^(٢) .

و - وأما تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بهارون فهذه فضيلة ، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بأعظم من هارون ، ففي غزوة بدر لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه ، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوهم قومهم ، ورأى عمر رضي الله عنه أن يقتلهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه : إن مثلك كمثل إبراهيم يوم قال : ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إبراهيم: ٣٦ ومثلك كمثل عيسى إذ قال : ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المائدة: ١١٨ .

ثم التفت إلى عمر فقال : يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ نوح: ٢٦ ، ومثلك كمثل موسى لما قال : ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٣) يونس: ٨٨ فشبهه أبا بكر بإبراهيم وعيسى ، وشبه عمر بنوح وموسى ، وأولئك من

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢ / ٦٥٠ ، ٨٠٤ ، ٨٠٦) .

(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٢١٥) .

(٣) «مسند أحمد» (١/٣٨٣) إسناده صحيح .

أولي العزم وهم خير البشر بعد رسول الله ﷺ ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتشبيه النبي ﷺ لعلي بهارون تكريم له كما كرم النبي ﷺ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما عندما شبههم بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح ^(١) عليهم السلام.

ز - من أقوال العلماء في شرح الحديث :

* قال النووي - رحمه الله -: وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي رضي الله عنه ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده؛ لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، بل توفي في حياة موسى، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة ^(٢).

* وقال ابن حزم - رحمه الله - بعد أن ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده؛ لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة؛ وإذ لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل، فصح أن كونه رضي الله عنه من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط، وأيضاً فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك في أسفاره رجالاً سوى علي رضي الله عنه، فصح أن هذا الاستخلاف

(١) «حقة من التاريخ» ص (٢٠٠).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (١٣/١٧٤).

لا يوجب لعلي فضلاً على غيره، ولا ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين^(١).

* وقال ابن حجر - رحمه الله -: واستدل بحديث الباب على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة؛ فإن هارون كان خليفة موسى، وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته؛ لأنه مات قبل موسى باتفاق أشار إلى ذلك الخطابي^(٢).

* وقال ابن تيمية - رحمه الله - في سياق رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بهذا الحديث: وقول القائل: هذا بمنزلة هذا، وهذا مثل هذا، هو كتشبيه الشيء بالشيء يكون بحسب ما دل عليه السياق، لا يقتضي المساواة المطلقة - في كل شيء، وكذلك هنا بمنزلة هارون وهذا الاستخلاف يسمى من خصائص علي رضي الله عنه، بل ولا هو مثل استخلافاته فضلاً أن يكون أفضل منها، وقد استخلف من هو علي أفضل منه في كثير من الغزوات، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المستخلف على علي إذا قعد معه، فكيف يكون موجباً لتفضيله على علي؟ قد استخلف على المدينة غير واحد، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف علي بل كان ذلك الاستخلاف مع كون علي أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر؛ فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز، وفتحت مكة وظهر الإسلام وعز، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو، ولهذا لم يدع النبي صلوات الله عليه وآله عند علي أحداً من مقاتلة، كما كان يدع النبي صلوات الله عليه وآله بها في سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة^(٣) كلهم.

(١) «الفصل» (١٥٩/٤)، (١٦٠).

(٢) «فتح الباري» (٧٤/٧)، و«الاتصار للصحب والآل» ص (٥٤٠).

(٣) «مهاج السنة» (٣٣٠ - ٣٣٢)، و«مجموع الفتاوى» (٤١٦/٤).

ح - الحكمة في عدم تخصيص رسول الله ﷺ من بعده أحداً ليتولى أمر الأمة :

إن الحكمة في عدم تخصيص رسول الله ﷺ من بعده أحداً ليتولى أمر الأمة، تتضح في إدراكنا لحقيقة الإسلام كدين رباني للبشرية، وأنه لو حدد الرسول ﷺ رجلاً من بعده، فإنه يكون قد أعطى المسوغ الشرعي ليدعي المدعون- وقد فعلوا بدون برهان - بأن قيادة الأمة من حق أسرة بعينها، ويصبح الحكم الوراثي هو الحكم السائد في الإسلام، ولكن رسول الله ﷺ أراد - وهو لا ينطق عن الهوى إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى - أن يترك هذا الأمر مطلقاً للمسلمين؛ ليختاروا أصلحهم وأخيرهم، وإن كان لَمَحَ بعض التلميحات إلى أبي بكر - وكان بمقدوره ﷺ أن يصرح، ولكنه لم يفعل لهذا القصد - إلا أن التلميح لا يعطي شرعية التولية المباشرة، ولو كانت هناك وصية لأحد من الخلق لما حصل اختلاف في سقيفة بني ساعدة في بداية الأمر، ولما استشار أبو بكر الناس في تولية عمر رضي الله عنه، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين... إلخ، ولو كانت المسألة وراثية لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر^(١).

إن هذا الدين للبشرية، ولا يصح - بأي حال من الأحوال - أن يكون محصوراً في أسرة حاكمة واحدة، ويظل متوارثاً كالمتاع، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك، كعصر بني أمية، وبني العباس وغيرهم، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية، وما كان خلاف القاعدة فهو طارئ وغريب على دين الله، وينبغي أن يُنحَى هذا المفهوم القاصر كلية عن الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعاً نقياً^(٢).

بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها على الإمامة:

١ - حديث الطائر:

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي، روى الحاكم في

المستدرك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرخ مشوي فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة، ثم جاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتح»، فدخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما حبسك يا علي؟» فقال: إن هذه آخر ثلاث كرّأت يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: «ما حملك على ما صنعت؟»، فقلت: يا رسول الله، سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل قد يحب قومه»^(١).

روي هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة، فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد روى هذا الحديث، وهم من هم في الثقة والضبط، كأمثال الحسن البصري، وثابت البناني، وحميد الطويل، وحبیب بن أبي ثابت، وبكر بن عبد الله المزني، وأسعد بن سهل ابن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، وأبان بن صالح، وإبراهيم بن ميسرة وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يُعرف، يقول ابن كثير: ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه - أي حديث الطير - سنداً وامتناً للقاضي أبي بكر الباقلاني^(٢)، وقال ابن الجوزي: قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقاً كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك^(٣)، وقال ابن تيمية: حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل^(٤)، وقال الزيلعي: كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه، وهو حديث ضعيف^(٥).

(١) «المستدرك» (٣/ ١٣٠ ، ١٣١) ضعيف من حيث السند والمتن .

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٣٥٤).

(٤) «منهاج السنة» (٤/ ٩٩).

(٣) «العلل المتناهية» (١/ ٢٢٥ - ٢٣٤).

(٥) «تحفة الأحوذني» (١٠/ ٢٢٤).

٢- حديث الدار:

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الاثنا عشرية على نصية الإمامة :
حديث الدار؛ حيث يرى الشيعة أن رسول الله ﷺ نص على إمامة علي منذ
بداية البعثة في أثناء عرضه الإسلام على كفار مكة ، ومنذ مطالبته إياهم بترك
الأوثان وإفراد الواحد القهار بالعبادة لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤.

دعاني رسول الله ﷺ فقال : «يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي
الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنني متى أبادؤهم بهذا الأمر أرى منهم ما
أكره ، فصمت عليه حتى جاء جبرائيل ، فقال : يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به
يعذبك ربك ، فاصنع لنا صاعاً من الطعام واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً
من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به»
فعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو
ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا
إليه ، دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله
خدية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة ، ثم قال : «خذوا
باسم الله» ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة ، وما أرى إلا موضع أيديهم
وايم الله الذي نفسي بيده ، إن كان الرجل الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم ،
ثم قال : «اسق القوم» فجئتهم بذلك العس ، فشربوا حتى رووا منه جميعاً ، وايم
الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن
يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال : لقد سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم
يكلمهم رسول الله ﷺ ، فقال : «الغد يا علي ، إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد
سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلهم ، فعد لنا من الطعام بمثل ما
صنعت ، ثم أجمعهم إلي» . قال : ففعلت ، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته
لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ، ثم قال : «اسقهم»

فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به؛ إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت - وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطشاً وأحمشهم ساقاً^(١) -: «أنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وفي سياق آخر (. . .) فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال: أنا يا رسول الله قال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانياً، فصمتوا، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله، فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال: (اجلس أنت أخي)^(٢).

وهذا الحديث باطل سنداً وممتناً، أما سنداً ففي سنده عبد الغفار بن القاسم، وعبد الله ابن عبد القدوس، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به، قال عنه علي ابن المديني: كان يضع الحديث، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم - أي عند علماء الجرح والتعديل - وقال عنه ابن حبان: يقلب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين^(٣)، وقال النسائي: متروك الحديث^(٤)، وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن حالاً من سابقه، بل هو مجروح أيضاً عند عامة علماء الحديث، قال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: ضعيف^(٥).

(١) مع أن عمره آنذاك ما يقارب عشر سنوات .

(٢) «المراجعات» (١٢/ ٣٥٠) من كتاب «الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات» لأبي مريم بن محمد الأعظمي .

(٣) «المجروحين» لابن حبان ص (١٤٣) .

(٤) «الضعفاء والمتروكين» للنسائي ص (٢١٠) .

(٥) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٤٥٧) .

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

أ - هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي»، لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: «أرأيتمكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي»، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢].

ب - الشيعة الاثنا عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي رضي الله عنه وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب، وأن النصوص متضاربة في إثبات ذلك، وهذا الحديث يدحض قولهم؛ إذ فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا قومه لنصرته، وأن من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ولم يخص علياً بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات، ولما لم يجد ناصراً غير علي قال له ما قال، وهذا يدل على أن علياً لا يستحق هذا المنصب ابتداءً، وأن النبي صلى الله عليه وسلم اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في علي، فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن علياً منصوب عليه من قبل السماء (٢).

٣ - حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وأحاديث أخرى موضوعة:

والأحاديث الموضوعة في هذا الباب كثيرة جداً، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». فهذا الخبر مطعون فيه؛ إذ أنكره البخاري، وقال عنه يحيى بن معين: لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال النووي والذهبي: إنه موضوع (٣).

(٢) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٢٢٤).

(١) «البخاري» رقم (٤٤٩٢).

(٣) «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة» ص (٧١) رقم (٢٥٧)، و«الفتاوى» (٤١٠/٤).

ويقول الألباني: وحديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»، موضوع رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل، والطبراني في الكبير، والحاكم عن ابن عباس، ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه (١)، وكذلك حديث «من ناصب علياً بالخلافة فهو كافر»، فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة أصلاً (٢)، وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الروافض من حجج اختصاص علي رضي الله عنه وتعيينه دون غيره للخلافة، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الروافض من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم (٣)، وما أورده ابن حزم من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة، فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها (٤).

ويعترف الكاتب الشيعي ابن أبي الحديد بأثر الشيعة في وضع الأحاديث؛ لتأييد مذهبهم في الإمامة فيقول: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة؛ فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم، فلما رأت البكرية (يريد بعض السنين) ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها (أبي بكر) أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية أوسعوا في وضع الأحاديث، ولقد كان الفريقان في غنى عما اكتسباه، ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة المعلومة، ما يغني عن تكلف العصبية (٥)، وبرغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن بعض الشيعة المعاصرين مازالوا يرددونها في كتاباتهم، ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة، وهذا أحد

(١) «ضعيف الجامع الصغير» (١٣/٢) رقم (١٤١٦).

(٢) «منهاج السنة» (١٠٧/٤، ١٠٨)، و«دراسات عن الفرق»، جلي ص (١٩٥).

(٣) «المقدمة» ابن خلدون ص (١٩٧). (٤) «الفصل» لابن حزم (٤/٤٨٨).

(٥) «شرح نهج البلاغة» (٤٨/١١ - ٥٠)، نقلاً عن: «دراسات عن الفرق»، لشيخي الدكتور أحمد جلي ص (١٩٥).

أئمتهم يذهب إلى أن الرسول ﷺ يعتبر غير مبلغ للرسالة، لو لم يعين علياً خليفة من بعده^(١)، ويقول: إن الرسول ﷺ الكريم قد كلمه الله وحيًا أن يبلغ ما أنزل الله إليه، فيمن يخلفه في الناس ويحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين علياً للخلافة^(٢).

وقولهم هذا يناقض كل ما يدعونه من آيات وأحاديث يستدلون بها على الإمامة؛ لأنه يلزم من قولهم هذا، أنه إلى واقعة حديث غدیر خم لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله نصًّا على إمامة علي.

ويكفي في نقد نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية: أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله بن سبأ اليهودي الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي ﷺ، ومحصورة بالوحي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي رضي الله عنه، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه وكفرهم^(٣)؛ لأنه كان يهودي الأصل يرى أن يوشع بن نون هو وصي موسى، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤).

رابعاً: التوحيد والشيعة الاثنا عشرية:

جعل الشيعة العقيدة في الإمام أساساً لمذهبهم وركناً من أركان الدين، وأصبح الإمام عندهم جزءاً من العقيدة وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهاً إن مات على هذه الحال مات ميتة جاهلية^(٥)؛ ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة يختلف اختلافاً كلياً عن تصور المسلمين جميعاً لخليفته؛ إذ إن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين

(١) «دراسات عن الفرق» ص (١٩٦).

(٢) «الحكومة الإسلامية للخميني» ص (٤٢، ٤٣)، و«دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (١٩٦).

(٣) «رجال الكشي» ص (١٠٨، ١٠٩)، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية» (٧٩٢/٢).

(٤) «أصول مذهب الشيعة» (٧٩٢/٢).

(٥) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (١٩٧).

شخصاً عادياً في تكوينه ومعارفه، وأن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله، وأنه يعرض عليه الخطأ والانحراف، كما يعرض لسائر الناس فيقوم ويعارض إذا خالف أمر الله، وفوق هذا، فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقاً لمبدأ الشورى^(١).

وخلافاً لهذا التصور يذهب الشيعة إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكمية، وقد نسبوا إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله حديثاً أسنده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢)، ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: وثبت الولاية والحكمية للإمام، لا يعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام؛ فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإن الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محققين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله. وقد قال جبرائيل - كما ورد في روايات المعراج -: لو دنوت أئمة لا احترقت.

وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لهم مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل^(٣)، وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف عند تنفيذ شرع الله بل له هيمنة على شؤون الكون ومجرباته، فعلي عندهم الحاكم المهيمن الشرعي على شؤون البلاد والعباد وأن الملائكة تخضع له، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم؛ لأنهم يخضعون للحق في قيامه وقعوده وفي كلامه وصمته وفي خطبه وصلواته وحروبه^(٤)، وقد أثر اعتقاد الشيعة في الأئمة على عقيدتها في توحيد الله سبحانه بسبب الغلو، وإليك بيان ذلك:

- (١) «النظام السياسي للدولة الإسلامية» ص (١٤٧ - ٢٣٦).
- (٢) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (١٩٨).
- (٣) «الحكومة الإسلامية»، آية الله الخميني ص (٩٣، ٩٤).
- (٤) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (٢٠٠).

١ - نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة:

فأول ما نفاجاً به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة علي رضي الله عنه والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. جاء في الكافي^(١) - أصح كتاب عندهم في الرواية- وفي تفسير القمي^(٢) - عمدة تفاسيرهم - وفي غيرهما من مصادرهم المعتمدة^(٣)، تفسيرها بما يلي: يعني إن أشركت في الولاية غيره^(٤)، وفي لفظ آخر: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك^(٥).

وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور^(٦)، وقد جاء في سبب نزولها عندهم: إن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقيم علياً للناس علماً اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما)، حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك فلما أنزل الله عز وجل ﴿يَأْيُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] شكوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزل الله عز وجل ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وحتى يدرك القارئ مدى تحريفهم لآيات الله، وتآمرهم لتغيير الآية وما قبلها وما بعدها وتتبع ذلك بيان معناها؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤، ٦٦].

فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا

(١) «أصول الكافي» (٤٢٧/١) رقم (٧٦) .

(٢) «تفسير القمي» (٢/٢٥١) .

(٣) «البرهان» (٨٣/٤)، و«تفسير الصافي» (٤/٣٢٨) .

(٤) هذا لفظ الكليني في «الكافي»، و«أصول الشيعة» (٢/٥١٩) . (٥) «أصول الشيعة» (٢/٥١٩) .

(٦) «البرهان» (٨٣/٤)، و«أصول الشيعة» (٢/٥١٩) .

الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا (العبادة) هي الولاية.

والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة^(١)، قال أهل العلم في تفسيرها: إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك^(٢). والمعنى: قل يا محمد لمشركي قومك: أتأمروني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله، ولا تصلح العبادة لشيء سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا عن غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ {الزمر: ٦٤}.

ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليظتن عملك. وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ ثم قال سبحانه: ﴿بَلِ اللّٰهُ فَاعْبُدْ﴾ لا تعبد ما أمرك به المشركون بل اعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان^(٣).

فالمعنى - كما ترى - واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواه عن رؤية الحق.. فهذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة في القرآن الكريم حتى ولو حرفوا آيات الله، فكانت تخبط في هذا الأمر خبط عشواء، لا تستند في الاستدلال إلى أصل في لغة أو عقل فضلاً عن الشرع والدين، كما يظهر في النص الإساءة للنبي عليه السلام بتصويره في موقف الخائف الوجمل من قومه، المتردد في تنفيذ أمر ربه، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله^(٤).

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٢٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦٧/٤)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٤).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٤/٢٤)، و«تفسير القرطبي» (١٥/ ٢٧٦، ٢٧٧)، و«فتح القدير» (٤/ ٤٧٤)، و«روح

المعاني» للألوسي (٢٤/ ٢٣، ٢٤).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٥٢٢).

٢ - الولاية أصل قبول الأعمال عندهم:

قالوا: إن الله عز وجل نصب علياً علماً بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة^(١)، وقالوا: فإن من أقر بولائتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته، وحجه، وإن لم يقر بولائتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئاً من أعماله^(٢)، وزعموا أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي عليه السلام فقال: «يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهن، والأرضين السبع وما عليهن، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبداً دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين، ثم لقيني جاحداً لولاية علي لأكبته في سقر^(٣)، والروايات في هذا المعنى كثيرة وكلها باطلة لا يصح منها شيء، وكل هذه الروايات ليست في الإسلام في شيء، فأماننا كتاب الله سبحانه ليس فيه مما يدعون شيء، وهو الفيصل الأول، والمرجع الأول في كل خلاف، فالقرآن الكريم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد، وسبب الحرمان هو الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وكل ما ذكر من مبالغات الشيعة تكذبها آيات القرآن، فالله سبحانه يقول: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٢]. ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية، وكذلك قال سبحانه: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وهم يزعمون أن ولاية الاثني عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام، والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعاً، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة، فهل أراد جل شأنه إضلال عباده، أو لم يبين لهم طريق

(٢) «أمالي الصدوق» ص (١٥٤ - ١٥٥).

(١) «أصول الكافي» (١/٤٣٧).

(٣) «أمالي الصدوق» ص (٢٩٠)، و«بحار الأنوار» (١٦٧/٢٧).

الوصول إليه سبحانه!! هذا بهتان عظيم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمَ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن نذكر ذلك لعل عاقلاً يتعظ أو غافلاً ينتبه، أو نائماً يستيقظ؛ وإقامة الحجة على المعاند من كُتبه، وبيان ما عليه نصوصهم من تناقض.. جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول لما نزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] قال جبرائيل: يا محمد، إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعاً وبنياً، وإن أصل الدين ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنياه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه^(١).

فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية، ويعد محبة أهل البيت هي الفرع، وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه^(٢).

٣ - اعتقادهم أن الأئمة هم الوسطة بين الله وخلقهم:

يقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة الاثني عشرية هم الوسطة بين الله وخلقهم، قال المجلسي عن أئمتهم: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق^(٣)، وعقد لذلك باباً بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم^(٤)، وجاء في كتاب «عقائد الإمامية» أن الأئمة الاثني عشر، هم أبواب الله والسبل إليه... إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق^(٥)، ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم والتي هي تصب في هذه المعاني:

(١) «تفسير فرات» ص (١٤٨، ١٤٩)، و«بحار الأنوار» (٢٣/٢٤٧).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٥٣٥).

(٣) «بحار الأنوار» (٣/٩٧).

(٥) «عقائد الإمامية» للمظفر ص (٩٨، ٩٩).

١ - قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة:

قال أبو عبد الله - على حد زعمهم - : بلية الناس عظيمة ، إن دعوناهم لم يجيبونا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا^(١) ، وتقول أخبارهم : قال أبو جعفر : بنا عبد الله ، وبنا عرف الله ، وبنا وحد الله^(٢) ، فهذه النصوص لا تنفي الهداية عن الأمة ، ولكن تجعل مصدرها الأئمة ، والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله ، لا يملكها إلا رب العباد ، ومقلب القلوب والأبصار والذي يحول بين المرء وقلبه ، والذي إذا قال للشيء كن فيكون . . والشيعنة في إطلاقها هذه العبارات بلا أي قيد ، تجعل لأئمتها مشاركة لله في هذه الهداية ، والله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له^(٣) ، قال تعالى : ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] ويقول لنبيه : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه ، فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان ، ولا تنحصر في الاثني عشر . ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] ، وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله^(٤) .

٢ - قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة:

قالوا: لا يفلح من دعا بغير الأئمة ، ومن فعل ذلك فقد هلك ، جاء في أخبارهم عن الأئمة : من دعا الله بنا أفلح ، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك^(٥) ، وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا : إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين^(٦) .

هذا ما تقوله الشيعة الرافضة وتفتريه ، ولكن الله يقول : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، ولم يقل سبحانه : فادعوه بأسماء الأئمة

(١) «أمالي الصدوق» ص (٣٦٣) ، و«أصول الشيعة» (٥٣٩/٢) .

(٢) «بحار الأنوار» (١٠٣/٢٣) . (٤٠٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٥٤٠/٢) .

(٥) «وسائل الشيعة» (١١٤٢/٤) ، و«أصول الشيعة» (٥٤١/٢) .

(٦) وهذا أحد أبواب «بحار الأنوار» (٣١٩/٢٦) .

ومقامات الأئمة أو مشاهدتهم. كما قال جل شأنه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [إغافر: ٦٠]، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة؛ لقال: ادعوني بأسماء الأئمة أستجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي تدعيه الشيعة وتفترية من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله؛ لأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول. قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [إغافر: ١٤] ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] وهو لاء الأئمة من سائر البشر ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه ولياً صالحاً ولا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلأً، بل الجميع عباد الله ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

وأما دعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فهي دعوى باطلة، إنما الأنبياء دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى، قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] وأما يونس عليه السلام فتوسل لله بوحدانيته، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

والكلمات التي قالها آدم عليه السلام وزوجه، هي كما قال الله سبحانه: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين بالضرورة، وقد نقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له،

وما من إمام إلا قد رواوا عنه الكثير من الدعاء ومناجاته ، وقد أتى على أكثره المجلسي في بحاره^(١) .

٣- قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله، قال ابن تيمية: حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراف بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت^(٢)، وجاء في الكافي وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة^(٣)، وخصت الروايات الشيعية الموضوعية زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص، تقول: من أتى قبر الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد، كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات . . ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة، ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه، كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل^(٤)، وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل هي أفضل الأعمال، جاء في رواياتهم: إن زيارة قبر الحسين أفضل ما يكون من الأعمال^(٥)، وفي رواية أخرى: من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين^(٦) .

وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم بالقبور والأضرحة، ويجعلونها من أفضل الأعمال، بلا دليل إلا ما صنعتها أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم؛ ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله^(٧) .

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم، ووضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام، قال ابن تيمية - رحمه الله - وقد

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٥٤٥) .

(٢) «ثواب الأعمال»، ابن بابويه ص(٥٢)، و«تهذيب الأحكام» للطوسي (١٦/٢) .

(٣) «فروع الكافي» (١/٣٢٤) للكليبي، و«من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه (١/١٨٢) .

(٤) «كامل الزيارات» ص (١٤٦)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/٥٦١) .

(٥، ٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٥٦١) .

صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتاباً سماه «مناسك المشاهد»، جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه ولم يأمر إلا بحجه^(١)، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الرافضة التي تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجاب، والانحراف عن كتاب الله وهدى الرسول صلّى الله عليه وآله، ومن أراد التوسع فلينظر في كتاب «أصول مذهب الشيعة الإمامية»^(٢).

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة^(٣)، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه سواء كان فاعله منتسباً إلى السنة أو إلى التشيع، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلّى الله عليه وآله لم يأمر بما ذكره من أمر المشاهد، ولا شرع لأئمة مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذي قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح، الآية ٢٣].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء... أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت^(٤)، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله؟ ألا تدع تمثلاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته^(٥)، وهذا المعنى أقرت به بعض روايات

(١) «منهاج السنة» (١/١٧٥)، و«مجموع الفتاوى» (١٧/٤٩٨).

(٢) المصدر نفسه (٢/٥٨٠).

(٣) «أصول مذهب الشيعة الإمامية» (٢/٥٥٠ - ٥٨٦).

(٤) «البخاري»، فتح الباري (٨/٦٦٧) موقوف على ابن عباس من حكم المرفوع قاله الألباني في «شرح العقيدة

الطحاوية» ص (٨٠).

(٥) «مسلم»، كتاب الجنائز رقم (٩٦٩).

الشيعة، فقد روى الكليني عن أبي عبد الله، قال أمير المؤمنين: بعثني رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبراً إلا سويته^(١)، وعن أبي عبد الله قال: نهى رسول الله ﷺ أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه^(٢)، وعن أبي عبد الله قال: لا تبنوا على القبور. فإن رسول الله ﷺ كره ذلك^(٣)، وعنه أيضاً عن آبائه عن رسول الله ﷺ نهى أن تجصص المقابر^(٤).

وقد زعم الحر العاملي أن هذا النهي يشمل كل قبر غير قبر النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وأن هذا النهي لمجرد الكراهة^(٥). وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات. كما أن دلالة التحريم بينة، ولا دليل عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها، والشذوذ دليل على البطلان؛ لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة بما فيهم أهل البيت الذين أثار عنهم التحذير من ذلك؛ لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم إن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر، وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين^(٦).

٤ - قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء:

تزعم الشيعة الإمامية في رواياتها أن الله سبحانه وتعالى خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون^(٧)، وشرح شيخهم المجلسي النص السابق فقال: وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات

(١) «فروع الكافي» (٢/٢٢٧)، و«وسائل الشيعة» (٢/٨٦٩).

(٢) «تهذيب الأحكام» للطوسي (١/١٣٠)، و«وسائل الشيعة» (٢/٨٦٩).

(٣) «تهذيب الأحكام» (١/٣٠)، و«المحاسن» للبرقي ص (٦١٢).

(٤) «من لا يحضره الفقيه» (٢/١٩٤) لابن بابويه، و«وسائل الشيعة» (٢/٨٧٠).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٥٨٤).

(٦) «تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد» ص (٣٠٥).

(٧) «أصول الكافي» (١/٤٤١)، و«بحار الأنوار» (٢٥/٣٤٠).

والأرضيات، كشق القمر وإقبال الشجر وتسييح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحرير والعطاء والمنع^(١)... إلخ وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في «الاختصاص»، والمجلسي في «البحار» وغيرهما عن أبي جعفر قال: من أحللتنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين^(٢) فهو حلال؛ لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام^(٣). ومن المعلوم في كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه، هو المشرع وحده سبحانه يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسول الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إماماً يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، فهو داخل في قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ الشورى: ٢١.

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد، والرسول عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوحيه إليهم قد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التوبة: ٣١ فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام ويحرمون من الحلال كما جاء في تفسير الآية^(٤) عبادة لهم؛ حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل^(٥).

٥ - قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء:

عقد صاحب «الكافي» لهذا باباً بعنوان: باب أن الأرض كلها للإمام^(٦)، ومما جاء

(١) «بحار الأنوار» (٢٥/٣٤١، ٣٤٢).

(٢) الظالمون في معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية، ما عدا أمير المؤمنين علياً وابنه الحسين عليهما السلام؛ لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يوماً واحداً، وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم.

(٣) «الاختصاص» ص (٣٣٠)، و«بحار الأنوار» (٢٥/٣٣٤).

(٤) «تفسير الطبري» (١١٣/١، ١١٤)، و«تفسير ابن كثير» (٢/٣٧٣، ٣٧٤).

(٥) «تفسير ابن عطية» (٨/١٦٦). (٦) «أصول الكافي» (١/٤٠٧ - ٤١٠).

فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله (١).

فهذا النص شرك في ربوبية الله سبحانه؛ لأن الله جل شأنه يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧] ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨] ويقول جل شأنه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: ١٢٠] وقال: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم: ٢٥]، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ [سبا: ٢٤] وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣] وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك (٢).

٦- إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة:

عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام (٣).

يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي رضي الله عنه، لا من أمر الواحد القهار، فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية؟ والله جل شأنه يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢] أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثني عشرية؟ أليس هذا ادعاء لربوبية علي رضي الله عنه، أو أن له شركاً في الربوبية؟ كيف يتجرأ قلم المجلسي

(١) «أصول الكافي» (١/٤٠٩).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٢٢).

(٣) «الاختصاص» للمفيد ص (٣٢٧)، و«بحار الأنوار» (٣٣/٢٧).

ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإيحاء لا يخفى على أمثالهم، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق وملحد، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغناء، ويعظمون شيوخاً يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر والكفر المبين ويبرئ أهل البيت الأطهار من هذا الدرر القاتل، وينقي ثوب التشيع مما لطخه به شيوخ الدولة الصفوية من كفر وضلال!! أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل قوله على التقية كما صنعوا في الكثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق أم إلى طريق مسدود^{(١)؟!!}

٧- الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة:

وترد روايات عند الشيعة الإمامية تدعي بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعلي^(٢)، قال أبو عبد الله: ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا^(٣)، ولكن الله خلطنا بنفسه^(٤). وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة - كما يزعمون - أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة - وتبلغ مئات الروايات - يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين - تعالى وتقدس عما يقولون - في الإحياء والإماتة والخلق والرزق^(٥)، إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام، ويكفي في فساده مجرد تصويره؛ إذ هو مخالف للنقل والعقل والسنن الكونية، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم؛ حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدين، ورسول الهدى عليه السلام يقول - كما أمره ربه - : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٢٤).

(٣) «أصول الكافي» (١/٤٤٠).

(٤) «أصول الكافي» (١/٤٣٥).

(٢) المصدر نفسه (٢/٦٢٨).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٢٨).

ما يخالف هذا؛ لتثبت تناقضها فيما تقول، كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في «رجال الكشي» أن جعفر بن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمتنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون، ومنشورون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم، ما لهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي رضوان الله عليهم... . أشهدكم أنني امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً^(١)، ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية، فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة^(٢).

٨- قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء:

عقد لذلك صاحب الكافي باباً بعنوان: (باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء)^(٣). وضمَّه طائفة من رواياتهم. وعقد باباً آخر بعنوان: (باب أن الأئمة إذا شأوا أن يعلموا علموا)^(٤)، وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب^(٥). قال أبو عبد الله - كما يكذبون -: إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون^(٦). وعن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله ع جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين. فقال: ورب الكعبة ورب البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر؛ لأخبرتهما أنني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٣٠).

(٤) المصدر السابق (١/ ٢٥٨).

(٦) «أصول الكافي» (١/ ٢٦١).

(١) «رجال الكشي» ص (٢٢٥ - ٢٢٦).

(٣) «أصول الكافي» (١/ ٢٦٠ - ٢٦٢).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٧٩).

يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثته^(١).

فهذا نموذج من غلو الشيعة الرافضة وهذا بعض ما عندهم، فالغلو أساس مذهبهم وأصله، وقد نهى الله عز وجل وحذر من الغلو؛ لما فيه من منافاة التوحيد وأصل الشرك قديماً وحديثاً قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتهم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما فعلتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله، وما هذا إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] أي خرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] فالله عز وجل في هاتين الآيتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد، وفيه رد صريح على الشيعة الرافضة وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظمهم، وقد أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وآله أن يبين للناس، أنه لا يملك لنفسه شيئاً وأن النفع والضرب بيد الله وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فالله عز وجل أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبره عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك^(٣). كل ذلك سداً للطرق الموصلة إلى الغلو فيه صلى الله عليه وآله، وتحذيراً لأئمة أن يغلوا فيه كما غلت اليهود

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٧٣).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢/ ٨٥).

والنصارى في أنبيائهم، فإذا كان هذا في حق سيد الخلق، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى، وبهذا يظهر بطلان دعوى الرافضة في الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما سيكون، وجعلهم شركاء لله في الخلق والإحياء وفي الأسماء والصفات، وكيف يستقيم لهم ذلك مع قوله تعالى أيضاً في أكثر من آية في كتابه العزيز. قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [القمان: ٣٤].

وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [الحج: ٦]. وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]. وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب والتي تثبت تفرد جل وعلا بعلم الغيب والتصرف بالكون، فمن نسب شيئاً من ذلك إلى أحد من المخلوقين، فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته وهوى في الشرك، فأنى له الإسلام مع ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليوحده، فأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] والغلو ينافي بتحقيق العبادة^(١).

وكما حذر الله عز وجل من الغلو بكل مظاهره وصوره، فقد حذر النبي ﷺ أيضاً؛ حماية لتوحيد الله وسدّاً لكل ذريعة تكون سبباً في نقص توحيده؛

(١) «العقيدة في أهل البيت» ص (٣٩٨).

لأن الغلو مطية الشرك ووسيلته وما دب في أمة إلا أهلكتها، فقال صلى الله عليه وسلم محذراً أمته من هذا الداء: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»^(١)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»^(٢)، فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر أمته من الغلو ومجاوزة الحد في مدحه، كما فعلت النصارى في عيسى عليه السلام، ويأمر صلى الله عليه وسلم أن يوصف بصفة العبودية والتي قد وصفه الله بها في الإسراء فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ {الإسراء: ١}، كما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه فقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدَ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ {الجن: ١٩}. وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ {الفرقان: ١} فتلك ثلاثة مقامات من أشرف المقامات، وصفه ومدحه ربه جل وعلا فيها بصفة العبودية له، فأين الشيعة الرافضة من تلك الآيات والأحاديث الواردة في النهي عن الغلو والتحذير منه، الداعية إلى تحقيق العبودية؟!

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين علي وأبنائه رضي الله عنهم يجد فيها الرد البليغ على هذا الغلو والإفراط، وبراءتهم من أقوال الشيعة الرافضة وكل من غالى فيهم، كما تبين كذب تلك الروايات المنسوبة إليهم وضلالها^(٣)، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: كنت عند علي ابن أبي طالب فأتاه رجل فقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إليك؟ قال: فغضب، وقال: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسر إلي شيئاً يكتبه للناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع، فقال: ما هن يا أمير المؤمنين، قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض». وفي رواية: أخصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء^(٤).

(١) «صحيح سنن ابن ماجه» (١٧٧/٢) صححه الألباني .

(٢) «البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٤٥) .

(٣) «مسلم»، كتاب الأضاحي رقم (١٩٧٨) .

(٤) «العقيدة في أهل البيت» ص (٣٩٩) .

وفي رواية عند الإمام أحمد: . . ما عهد إلي رسول الله ﷺ شيئاً خاصة دون الناس^(١)، وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يُقتل مسلم بكافر^(٢). وفي رواية: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله^(٣).

قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك؛ لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت - لا سيما علياً - أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها^(٤).

وقال ابن تيمية عقب إيراد هذا الحديث: والكتب المنسوبة إلى علي رضي الله عنه، أو غيره من أهل البيت في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل: كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عنده علم من النبي ﷺ خصه به دون غيره من الصحابة، وكذلك ما ينقل عن غير علي رضي الله عنه من الصحابة، أن النبي ﷺ خصه بشيء من علم الدين الباطن كل ذلك باطل^(٥)، ومما يبين بطلان ذلك: ما روى ابن سعد عن علي ابن الحسين زين العابدين أنه قال: عن سعيد بن جبير رحمهما الله: ذلك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها؛ إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق^(٦)، وجاء عن محمد بن الحنفية محذراً الشيعة الرافضة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله ﷺ حيث قال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله ﷺ إلا ما بين اللوحين^(٧)، وقد تواتر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم: أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً^(٨)، وزيادة على ذلك فقد

(١) «المسند» (١١٩/١).

(٢) «البخاري»، كتاب العلم رقم (١١١).

(٤) فتح الباري (١/٢٠٤).

(٦) «الطبقات الكبرى» (٥/٢١٦).

(٨) «البداية والنهاية» (٩/١١٠).

(٣) «البخاري»، كتاب الجهاد رقم (٣٠٤٧).

(٥) «منهاج السنة» (٨/١٣٦).

(٧) المصدر السابق (٥/١٠٥).

جاء في كتب الشيعة الرافضة، التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم والغلو فينا قولوا إنا عبيد مربوبون^(١)، وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً^(٢).

وروى الكليني بسنده عن سديد قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود ابن كثير في مجلس أبي عبد الله؛ إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي^(٣)، وروى الكشي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنهم يقولون. قال: وما يقولون؟ قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر، وعدد التراب فرفع يده إلى السماء وقال: سبحان الله سبحان الله، لا والله ما يعلم هذا إلا الله^(٤)، فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الرافضة، وهم براء مما ترميهم به الشيعة الرافضة؛ إذ الرافضة من أكذب خلق الله، فالنفاق دينهم والكذب دينهم، ولذلك قال ابن تيمية - رحمه الله -: إنهم من أكذب الناس في النقليات ومن أجهل الناس في العقليات^(٥).

إن روايات الشيعة تكشف نفسها بنفسها وتتناقض نصوصها، وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث. . إلخ، والذي يرويه شيوخ الاثني عشرية هو من مخلفات غلاة الشيعة، والذين أنكر الأئمة مذهبهم، فقد جاء عن أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له: إن المفضل بن عمر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي فضايق

(٢) المصدر السابق (٢٥/٢٨٤).

(١) «بحار الأنوار» (٢٥/٢٧٠).

(٣) «أصول الكافي» (١/٢٥٧).

(٤) «رجال الكشي» ص (١٩٣)، و«العقيدة في أهل البيت» ص (٢٠٤).

(٥) «منهاج السنة» (١/٣).

صدري، وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم، فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبرئ منه^(١).

ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به نفوس شيوخ الشيعة، وإليك مثلاً على ذلك فانظر ما يقوله شارح «الكافي» تعقيباً على قول أبي عبد الله الذي نقلناه آنفاً، والذي يتعجب فيه أبو عبد الله من قوم نسبوا له العلم بالغيب، ويذكر للرد عليهم بأن جاريته قد اختلفت في داره فلم يدر أين هي، فكيف يقال عنه إنه يعلم ما كان وما يكون؟ قال شارح «الكافي»: . . . الغرض من هذا التعجب وإظهاره هو ألا يتخذه الجهال إلهاً، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظاً لنفسه، وإلا فهو خوشت كان عالماً بما كان وما يكون، فكيف يخفى عليه مكان الجنارية؟ فإن قلت: إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب، قلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدتها، فإن المعنى: ما علمت به علماً غير مستفاد منه تعالى بأنها في أي بيوت الدار^(٢)، انظر التكلف العجيب في رد هذه الرواية؛ لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة^(٣)، وأما شيخهم الآخر الشعراني المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التكلف في تأويل الرواية، ورام ردها بأقصر طريق وهو الحكم بأن الرواية كذب، وهكذا يشيعون عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة، فإذا أنكروا على هؤلاء الكذابين فريتهم، وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقية، فصارت التقية حيلة بيد غلاة الشيعة لإبقاء التشيع في دائرة الغلو، ورد الحق والإساءة لأهل البيت^(٤)، وقد ادعى زرار ابن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة، وأهل النار، فأنكر ذلك جعفر لما

(١) «رجال الكشي» ص (٢٧٤)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٦٨٥/٢).

(٢) «شرح جامع على الكافي» للمازندراني (٣١٠،٣٠/٦).

(٣،٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٦٨٦/٢).

بلغه ذلك، وكفر من قاله، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر، قال لمحدثه: لقد عمل معك بالتقية^(١).

٩ - الغلو في الإثبات (التجسيم):

اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الروافض؛ ولهذا قال الرازي: اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول^(٢)، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعددهم الاثنا عشرية في الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها^(٣).

وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كبر هذه القرية من هؤلاء، فقال: وأول من عرف في الإسلام أنه قال: إن الله جسم هو هشام بن الحكم^(٤)، وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين، يقول عبد القاهر البغدادي: زعم هشام ابن الحكم، أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طولهُ مثل عرضه^(٥)، وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها^(٦)، فقد كان تشبيه الله سبحانه بخلقه في اليهود، وتسرب إلى التشيع، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم، ثم تعدى أثره إلى آخرين، عرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غالية منسوبة إليهم^(٧)، ولكن شيوخ الاثني عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذين استفاض خبر فتنتهم، واستطار شرهم، ويتكلفون تأويل كل بائقة منسوبة إليهم أو تكذيبها^(٨)، وقد كان

(١) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٦٩، ٧٠).

(٢) «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» ص (٩٧).

(٣) «أعيان الشيعة» (١/ ١٠٦)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٤١). (٤) «منهاج السنة» (١/ ٢٠).

(٥) «الفرق بين الفرق» ص (٦٥).

(٦، ٧) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٤٢، ٦٤٣).

(٨) «بحار الأنوار» (٣/ ٢٩٠ - ٢٩٢) دفاع المجلسي عن هؤلاء.

لهشام بن الحكم وهشام ابن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة، كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم^(١)، وكان الأئمة يتبرؤون منهما ومن قولهما، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقالوا له: إنا نقول بقول هشام. قال إمامهم أبو الحسن علي ابن محمد: ما لكم بقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة^(٢)، وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه في الرب جل شأنه وتقدست أسماؤه، فهذا أحد رجالهم^(٣)، ينقل لأبي عبد الله - كما تقول الرواية - ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد ققط، فخر أبو عبد الله عليه السلام ساجداً ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم^(٤).

فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلوا في الإثبات؛ حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه وهو كفر بالله سبحانه؛ لأنه تكذيب لقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وعطلوا صفاته اللائقة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه، وإمامهم كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال، ويأمر بالالتزام في وصف الله، كما وصف به نفسه، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة^(٥)، فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت، وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان: اتجاه التجسيم الذي يتزعمه هشام، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، وكما هو ثابت مستفيض في كتب أهل العلم^(٦).

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٤٦).

(٢) «التوحيد» ص (١٠٤) لابن بابويه، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٤٦).

(٣) سمته الرواية: يعقوب السراج وهو من ثقاتهم، «الفهرست» للطوسي ص (٢١٤).

(٤) «التوحيد» ص (١٠٣، ١٠٤)، لابن بابويه، و«أصول الشيعة» (٢/٦٤٧).

(٥) «أصول الكافي» (١/١٠٤ - ١٠٦)، و«أصول الشيعة» (٢/٦٤٨).

(٦) «أصول الشيعة» (٢/٦٤٨).

١٠ - التعطيل عندهم:

بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المائة الثالثة؛ حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل الباري سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة، لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة^(١) وكثير مما كتبه في ذلك منقول عن المعتزلة نقلاً حرفياً، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن العظيم في آيات الصفات والقدر، ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة^(٢)، ولهذا لا يكاد القارئ لكتب متأخري الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقاً، فالعقل - كما يزعمون - هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرون، كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وإنكار الصفات، بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا، هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون، والفرق الذي قد يلمسه القارئ في هذه المسألة هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل؛ فقد جاؤوا بروايات كثيرة في الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل، ويفترون على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل، واعتبر أحد شيوخهم المعاصرين، أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات؛ حيث قال تحت عنوان: طريقة معرفة الصفات: هل يبقى مجال للبحث عن الصفات؟ وهل له طريقة إلا الإذعان، بكلمة أمير المؤمنين رضي الله عنه: «كمال الإخلاص نفي الصفات عنه»^(٣).

هذا والثابت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله، والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم^(٤)، وهذا أيضاً ما تعترف به

(٢) المصدر السابق (١/٣٥٦).

(١) «منهاج السنة» (١/٢٢٩).

(٤) «منهاج السنة» (٢/١٤٤).

(٣) «عقائد الإمامية الاثني عشرية» للزنجاني ص (٢٨).

بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل، إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة له سبحانه، وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم.

إن الله سبحانه بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل، ونفي مجمل، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً^(١). قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فالنفي جاء مجملاً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهذه طريقة القرآن في النفي غالباً. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. أي نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال: مسامياً يساميه^(٢). وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهاً^(٣)؟ وقال سبحانه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. وأما الإثبات فيأتي فيه التفصيل: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وكآخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]. وشواهد هذا كثيرة^(٤).

إن الشيعة تروي عن أئمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه^(٥)، ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر في ذلك التقليد المحض، والأخذ من (نفايات) الفلسفات البائدة، وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي - لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء - على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة؟^(٦).

(١) «شرح الطحاوية» ص (٤٩)، و«التدمرية» لابن تيمية ص (٨).

(٢) «تفسير الطبري» (١٦/١٠٦).

(٣) «التدمرية» ص (٨).

(٤) انظر: «التدمرية» لابن تيمية ص (٨) وما بعدها.

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٥٦).

(٦) انظر: «التدمرية» لابن تيمية ص (٨) وما بعدها.

أ- مسألة خلق القرآن:

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسنة، وإجماع السلف^(١)، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية في القول بخلق القرآن، فقد عقد شيخ الشيعة في زمنه - المجلسي - في «البحار» في كتاب القرآن باباً بعنوان: باب أن القرآن مخلوق^(٢)، أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه، ولكن لشيوخ الشيعة مسلك في تأويلها، سنذكره بعد قليل - بإذن الله تعالى - ويقول آية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق^(٣)، وهذا بناء على إنكارهم لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى، وكجبرائيل حين أنزله بالقرآن^(٤)، هذا بعض ما يقوله شيوخمهم في هذا الأمر^(٥)، وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلونها عن (آل البيت)، وجدتها تخالف في أكثرها ما يذهب إليه هؤلاء، فمن ذلك: ما جاء في تفسير العياشي: عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال: إنه كلام الله غير مخلوق^(٦).

وفي التوحيد لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى رضي الله عنه: يَا بَنَ رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ، فَقَدْ اِخْتَلَفَ فِيهِ مِنْ قَبْلِنَا فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَقَالَ رضي الله عنه: أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ مَا يَقُولُونَ، وَلَكِنْ أَقُولُ: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٧)، وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم^(٨).

ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي، قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر، فأثبت أن قول الأئمة: القرآن غير مخلوق يعني أنه غير مخلوق أي غير مكذوب، لا يعني به أنه غير محدث^(٩). وقال: وإنما امتنعنا

(١) «الرد على الزنادقة» للإمام أحمد، و«خلق أفعال العباد» للبخاري.

(٢) «أعيان الشيعة» (١/٤٦١).

(٣) «بحار الأنوار» (١١٧/٩٢ - ١٢١).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٥٨).

(٥) المصدر السابق (١/٤٥٣).

(٦) «تفسير العياشي» (٨/١).

(٧) «التوحيد» ابن بابويه ص (٢٢٤).

(٨) «البحار» (١١٧/٩٢ - ١٢١)، و«أصول الشيعة» (٢/٦٥٩).

(٩) «البحار» (١١٩/٩٢)، و«أصول الشيعة» (٢/٦٥٩).

من إطلاق المخلوق عليه؛ لأن المخلوق في اللغات قد يكون مكذوباً، ويقال: كلام مخلوق أي مكذوب^(١).

وقد قال علماء السلف رداً عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق خلقه في غيره، فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنف في ذلك مصنفات متعددة^(٢)، وفي كتاب «تفسير الصراط المستقيم» لآيتم البروجردي نقل نصاً عن ابن بابويه - أيضاً - يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقية فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم: إن هذا إلا اختلاق^(٣)، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول (بالتقية) أو ما مائلها. وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء، وأن احتمال التقية في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم وأضاع حقيقة المذهب، فأصبح دينهم دين المجلسي أو الكليني أو ابن بابويه القمي لا روايات الأئمة^(٤)، وهكذا يضع العلم والحق بهذه الطريقة الماكرة، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التي هي من وحي الشيطان ومكره، ولو أحسن محسن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها، لسلك بها طريق الجماعة وأخذ من رواياتهم ما يتفق مع كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وهدي الصحابة الكرام رضي الله عنهم وعلماء أهل السنة والجماعة، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي، ولا سيما والأئمة تشتكي من كثرة الكذابين عليها حتى قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا^(٥)، ولو أردت أن تطبق هذه النظرية - أي ما تتفق فيه روايات أهل السنة مع روايات الشيعة عن أهل البيت في هذه المسألة - لوجدت أن كتب الشيعة روت - كما سبق - روايات عن أهل البيت، بأن كلام الله منزل غير مخلوق، وكتب أهل السنة روت مثل

(١) «أصول الشيعة» (٢/٦٥٩).

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (١٢/٣٠١).

(٣) «تفسير الصراط المستقيم» (١/٣٠٤).

(٤) «رجال الكشي» ص (١٣٥، ١٣٦).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٦٠).

هذا، فقد أخرج البخاري في كتاب «أفعال العباد»^(١)، وابن أبي حاتم^(٢)، وأبو سعيد الدارمي، والآجري في الشريعة^(٣)، والبيهقي في الاعتقاد^(٤)، والأسماء والصفات^(٥). واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة^(٦)، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد^(٧)، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق.

قال ابن تيمية: إنه قد استفاض ذلك عن جعفر^(٨)، فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ويترك الباطل الذي لا يسنده إلا أقوال شيوخ يبغون في الأمة الفرقة والخلاف، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس، وتتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية، والمنزلة المقدسة باسم النيابة عن الإمام الغائب؟ ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول: إن ما خالف العامة ففيه الرشاد^(٩)، ويقصدون بذلك أهل السنة والجماعة.

إن الروايات الواردة في كتب الشيعة والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق، قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم^(١٠)؛ لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداهن متأخري الشيعة^(١١). كما أن الاعتقاد بأن القرآن منزل غير مخلوق، هو الثابت عن أهل البيت؛ إذ ليس من أئمة أهل البيت - مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد - من يقول بخلق القرآن، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم^(١٢).

(١) «خلق أفعال العباد» ص (٣٦) تحقيق البدر .

(٢) «منهاج السنة» لابن تيمية (٢/ ١٨٧، ١٨٨).

(٤) «الاعتقاد» ص (٣٦) .

(٦) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢).

(٨) «منهاج السنة» (١/ ٢٧٨).

(١٠) «منهاج السنة» (١/ ٢٩٦)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/ ٦٦٤).

(١١) «مقالات الإسلاميين»، للأشعري (١/ ١١٤).

(١٢) «منهاج السنة» (١/ ٢٩٦).

وبعد أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة؟^(١).

إن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو أن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [الدثر: ٢٦]. فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [الدثر: ٢٥]. علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر^(٢).

ب- مسألة الرؤية:

ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية، وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه التوحيد، وجمع أكثرها صاحب «البحار» تنفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فتفتري - مثلاً - على أبي عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟ فقال: سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. . إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية^(٣)، وقال شيخهم وآيتهم جعفر النجفي صاحب «كاشف الغطاء»: ولو نسب إلى الله بعض الصفات. . كالرؤية حكم بارتداده^(٤)، وجعل الحر العاملي نفي الرؤية من أصول الأئمة، وعقد لذلك باباً بعنوان: باب أن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر في الدنيا ولا في الآخرة^(٥)، فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضاً خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير، عن أبي

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٦٨).

(٢) «المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية»، لعبد الآخر الغنيمي ص(٩٠) (٣) «بحار الأنوار» (٤/٣١).

(٤) «كشف الغطاء» ص(٤١٧)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢/٦٧٠). (٥) «أصول الشيعة» (٢/٦٧٠).

عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم^(١)، والرؤية حق لأهل الجنة يرونه بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ن: ٣٥] قال أنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل^(٢)، وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ثم قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا وبيّض وجوهنا ويدخلنا الجنة، ويُجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»^(٣). وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [الطائفين: ١٥].

احتج الشافعي -رحمه الله- وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي. وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع ابن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءت رقعة من الصعيد فيها، ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [الطائفين: ١٥]. فقال الشافعي: لما أن حُجِبَ في السخط، كان في هذا دليل على أن أوليائه يرونه في الرضا^(٤)، وأما الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن^(٥)، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وسائر طوائف أهل الكلام المنسويين إلى السنة والجماعة^(٦).

(١) «الفصول المهمة في أصول الأئمة» ص (١٢).

(٢) «مجمع الفوائد» (١١٢/٧).

(٣) «مسلم» رقم (١٨١).

(٤) «مناب الشافعي» لليهقي (٤١٩/١).

(٦) «شرح الطحاوية» ص (١٤٦).

(٥) «شرح الطحاوية» ص (١٥١).

١١- تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل:

الرسول أفضل البشر وأحقهم بالرسالة؛ حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ {الأنعام: ١٢٤}. فهم قد امتازوا برتبة الرسالة عن سائر الناس^(١)، وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ {النساء: ٦٤} ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة: ولا يفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء^(٢)، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي^(٣) والقاضي عياض^(٤)، وابن تيمية^(٥)، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرر صاحب «الوسائل»، أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة^(٦)، وقال: بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى^(٧).

وفي «بحار الأنوار» للمجلسي عقد باباً بعنوان: باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء، وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولى العزم بحجهم صلوات الله عليهم^(٨)، وهذا المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثني عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو؛ فإن الشيعة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق - كما يقول الأشعري:

- فرقة: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

- الفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

(٢) «شرح الطحاوية» ص (٤٩٣).

(٤) «الشفاء» ص (١٠٧٨).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٧٤٥).

(٨) «بحار الأنوار» (٢٦/٢٦٧).

(١) «المنهاج في شعب الإيمان» للحلي (١/٢٣٨).

(٣) «أصول الدين» ص (٢٩٨).

(٥) «منهاج السنة» (١/١٧٧).

(٧) المصدر نفسه (٢/٧٤٥).

- والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة^(١).

ويضيف المفيد في أوائل المقالات مذهباً رابعاً لهم، وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم^(٢). ثم لا ييوح بذكر المذهب الذي يعتمد منه من هذه المذاهب بل يذكر توقفه للنظر في ذلك^(٣)، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعي شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو في الأئمة؛ حتى إن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في بحاره لهذا الغرض: إن أولي العزم إنما صاروا أولي عزم بحبهم صلوات الله عليهم^(٤).

إن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم الاثني عشر ذكر، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله، كما أنه يلاحظ أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحى عباد الله، قال تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩]. فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب^(٥). وكتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم^(٦)، وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم، فالإجماع حجة، وقال ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء^(٧). والعقل يدل صريحاً على أن جعل النبي واجب الطاعة، وجعله آمراً وناهياً وحاكماً على الإطلاق، والإمام نائباً وتابعاً له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه، ولما كان هذا المعنى موجوداً في حق كل نبي مفقوداً في حق كل إمام، لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً، بل يستحيل^(٨). ثم قد ورد في كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص والإجماع

(٢) «أوائل المقالات» ص (٤٢، ٤٣).

(٤) «بحار الأنوار» (٢٦/٢٦٧).

(٦، ٧) «الفتاوى» (١١/٢٢١).

(١) «مقالات الإسلاميين» (١/١٢٠).

(٣) «أوائل المقالات» ص (٤٣).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٧٤٩).

(٨) «مختصر التحفة» ص (١٠٢).

والعقل، وينفي ذلك الشذوذ، وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد ابن علي، أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال^(١)، وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من علي^(٢).

خامساً: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم:

قد كان لمعتقد الشيعة في الإمامة ومحاولة الدفاع عنه، أثر كبير في دفع بعض الشيعة إلى تبني أفكار خطيرة حول القرآن والسنة، والصحابة رضوان الله عليهم، فشككوا في القرآن، وأنكروا كثيراً من الأحاديث الثابتة، وطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم وجرحوهم، ونسبوا إليهم تعمد الكذب وتحريف كتاب الله تعالى.

١ - اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم:

فقد زعم بعض الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم قد حرف، وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات التي أنزلت في فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم، والنهي عن مخالفتهم، وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم ولعنهم، وقد اتهم الشيعة الصحابة رضي الله عنهم، بأنهم أسقطوا من القرآن جملة ما أسقطوه «وجعلنا علياً صهر» من سورة (الشرح)، والتي تشير إلى تخصيص علي، بمصاهرة الرسول صلوات الله عليه دون عثمان رضي الله عنه. وقد جهل هؤلاء أن هذه السورة مكية، وأنها حين نزلت لم يكن علي رضي الله عنه صهرًا للرسول صلوات الله عليه؛ إذ إن علياً تزوج فاطمة بالمدينة وبعد غزوة بدر، كما سبق أن أشرنا، ويذهب الشيعة أيضاً إلى أنه من بين ما أسقط من (القرآن) سورة الولاية، ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها فضائل أهل البيت^(٣)، وهكذا تدور معظم مزاعم هذا النفر من الشيعة في القرآن حول هذه القضايا؛ إذ إنهم لم ينكروا حكماً من أحكامه

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٧٥٣/٢)، و«مختصر التحفة» ص (١٠٠).

(٢) «مختصر التحفة» ص (١٠١).

(٣) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (٢٢٦).

أو قاعدة من قواعده، ولكن تدور آراؤهم حول إسقاط بعض الآيات عن ولاية علي، ومن بعده من الأئمة .

وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم العديد من علماء الشيعة الإمامية وعلى رأسهم: حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩هـ صاحب كتاب «الكافي» الذي يعتبر في حجيته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة، وقد ذكر صاحب «تفسير الصافي» الشيعي أن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه، أنه كان يعتقد أيضاً في التحريف والنقصان في القرآن؛ لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه «الكافي» ولم يتعرض بقدرح فيها، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه^(١)، وكتاب الكليني هذا مليء بهذه المزاعم المنحرفة، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ عن ولاية علي والأئمة بعده ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ هكذا نزلت^(٢)، ويروي أيضاً عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: لم سمي (علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه وهكذا أنزل في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المؤمنين^(٣). ويروي الكليني عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: رفع إليّ أبو الحسن عليه السلام مصححاً وقال: لا تنظر فيه، ففتحتة وقرأت فيه (لم يكن الذين كفروا) فوجدت فيهم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فبعث إليّ بالمصحف^(٤)، وقد زعم الكليني أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة، وأنهم (أي الأئمة) يعلمون علمه

(١) «تفسير الصافي» ص (١٣)، و«الإمام الصادق» لأبي زهرة ص (٣٣٣) .

(٢) «أصول الكافي» (١/٤١٤) .

(٣) «أصول الكافي» (١/٤١٢)، و«السنة والشيعة»، لإحسان إلهي ص (١٠٣) .

(٤) «أصول الكافي» (٢/٦٣١)، و«السنة والشيعة» ص (٨٧) .

كله ، فما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده^(١) ، وقد ردد هذه الفرية التي ربطت جمع القرآن بعلي رضي الله عنه ، وقد ذهب صاحب «الاحتجاج» إلى أنه لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ، جمع علي رضي الله عنه القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار ، وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال : يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه رضي الله عنه وانصرف ، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن ، فقال له عمر : إن علياً جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار ، فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال : فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم ، وأظهر عليُّ القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر : فما الحيلة؟ قال زيد : أنتم أعلم بالحيلة ، فقال عمر : فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه ، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد ، فلم يقدر على ذلك^(٢) ، ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسيج خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القرآن ، والتآمر على حرمان علي من إمامة المسلمين ، وهو إذ يمدح علي يذمه ؛ إذ يصفه بالسكوت السلبي حينما رفض الصحابة الأخذ بقرآنه ، فكيف يتفق هذا مع مواقف علي رضي الله عنه البطولية في سبيل الدفاع عن الإسلام ، ويرد على مثل هذه الافتراءات قول علي رضي الله عنه : أعظم الناس أجراً في المصحف أبو بكر رضي الله عنه ، رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع بين اللوحين^(٣) ، ولم يكتف الكليني بهذا ، بل نسب هذه الافتراءات والمزاعم الباطلة حول التحريف في القرآن إلى جعفر الصادق ؛ إذ ينسب إليه أنه قال : إن القرآن الذي نزل به الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم سبعة آلاف آية ، والآيات التي نزلها ثلاث وستون ومائتان وست آلاف فقط ، والباقي مخزون عند آل

(١) «أصول الكافي» (١/٢٢٨).

(٢) «الاحتجاج» للطبرسي ص (٢٢٥ ، ٢٢٨) ، و«دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (٢٢٨).

(٣) «كتاب المصاحف» للسجستاني (٥/١).

البيت^(١)، وزعم الكليني أن الصادق قال عن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب في زعمه: قيل هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد^(٢)، ويقولون: إن فاطمة رضي الله عنها مكثت بعد النبي خمسة وسبعين يوماً، صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها، وعما يحدث لذريتها، وكان علي يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به في مصحف، قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام ولكن فيه علم ما يكون^(٣).

- ويردد عالم شيعي آخر وهو علي بن إبراهيم القمي نفس المزاعم التي ذهب إليها الكليني، ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيز الكاشي في تفسيره فيقول: المستفاد من الروايات عن طريق آل البيت، أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها: اسم علي في كثير من المواضع ومنها لفظ (آل محمد) غير مرة، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله ورسوله. وبه - أي بهذا الرأي - قال علي بن إبراهيم المسمى بالقمي وله تفسير مليء بهذه الدعاوى والغلو فيها، وأخذ يخلط ويزعم أن هناك آيات في ولاية علي حذف^(٤).

- وقال صاحب كتاب «بصائر الدرجات» الصفار بسنده عن أبي جعفر - علي حد زعمه - ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء^(٥)، وعنه أيضاً: ما من أحد من الناس يقول: إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده^(٦).

(١) «الإمام الصادق» ص (٣٢٣).

(٢) «أصول الكافي» (١/٢٤٠)، و«بحار الأنوار» (٢٦/٤٤)، و«بصائر الدرجات» ص (٤٣).

(٤) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (٢٢٩، ٢٣٠).

(٥) «بصائر الدرجات» ص (٢١٣).

(٦) «بصائر الدرجات» ص (٢١٣).

- وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله: لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين^(١)، وفيه عن أبي جعفر: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجج^(٢).

والروايات في كتب الشيعة الرافضة المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جداً، وقد أخبر عن استفاضتها وتواترها عندهم كبار علمائهم ومحققهم، يقول المفيد: إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان^(٣).

- ويقول هاشم البحراني^(٤) - أحد كبار مفسريهم -: اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها، أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله شيء من التغيرات، وأسقط الذي جمعه بعده كثيراً من الكلمات والآيات^(٥)، ويقول أيضاً: وعندي في وضوح صحة هذا القول - أي تحريف القرآن - بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار؛ بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقاصد الخلافة^(٦).

- ويقول نعمة الله الجزائري^(٧): إن الأخبار الدالة على هذا (التحريف) تزيد على ألفي حديث، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي^(٨)، فهذه أقوال أئمتهم ومحققهم الكبار تقطع بتواتر واستفاضة الروايات في كتبهم، بدعوى تحريف القرآن وتبديله، وأنها تبلغ الآلاف مما جعل بعض هؤلاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة، وزيادة على ما جاء في كتبهم من آلاف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم، وأهل الاجتهاد فيهم،

(٣) «أوائل المقالات» ص (٩١).

(٢٠١) «تفسير العياشي» (١٣/١).

(٤) هاشم بن سليمان البحراني، توفي سنة ١١٠٧ هـ.

(٥) «مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن» ص (٣٦). (٦) المصدر نفسه ص (٤٩).

(٧) توفي سنة ١١١٢ هـ قال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق جليل القدر، «أمل الآمل» (٢/٣٣٦).

(٨) «فصل الخطاب» ص (٢٤٨)، و«الانتصار».

جاءت مؤكدة لتلك العقيدة الفاسدة، ولعل المقام هنا لا يتسع لنقل كلامهم هنا وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك: من كبار علمائهم، يقول المفيد ناقلاً إجماعهم على ذلك واتفقوا (أي الإمامية) على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي صلّى الله عليه وآله. وأجمعت المعتزلة، والخوارج والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عدناه^(١).

- وقد قام النوري الطبرسي، أحد كبار علمائهم المتأخرين الهالك في سنة ١٣٢٠هـ بتأليف كتاب ضخم في إثبات دعوى تحريف القرآن عند الشيعة الرافضة، سماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»^(٢)، صدره بثلاث مقدمات يتبعها بابان:

الأول: في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه.

الثاني: في الرد على القائلين بصحة القرآن في الأمة.

وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا آلاف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم؛ حيث أورد في الفصلين الأخيرين فقط من الباب الأول المكون من اثني عشر فصلاً (١٦٠٢) رواية، هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب والمقدمات الثلاث والباب الثاني وقال معتزلاً عن قلة ما جمعه: ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة^(٣)، وقال موثقاً هذه الروايات: واعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية^(٤)، وقال بعد أن سرد حشداً هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا، بتبعية القاصر، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين

(١) «أوائل المقالات» ص (٤٩).

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٦١).

(٣) «فصل الخطاب» ص (٢٤٩)، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٦٢). (٤) المصدر نفسه ص (٢٤٩).

وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص معينين يأتي ذكرهم^(١)، ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم: الصدوق، والمرضى، وشيخ الطائفة الطوسي، قال: ولم يعرف من القدماء موافق لهم^(٢).

وذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب «مجمع البيان»، وقال: وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحاً إلا من هؤلاء المشايخ الأربعة^(٣)، ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن، بأن الذي حملهم على ذلك التقية والمداراة للمخالفين، فقال معتذراً عن الطوسي عما أورده في كتابه (التبيان) من القول بعدم التحريف: ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب «التبيان»، أن طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين.. وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على وجه المماشاة^(٤).

وقد سبق النوري الطبرسي في الاعتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجزائري حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم قد خالف فيها المرضى والصدوق والشيخ الطبرسي، وحكوا أن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن لا غير، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل، والظاهر أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها: سد باب الطعن فيها، بأنه إذا جاز هذا في القرآن، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه، مع جواز حقوق التحريف لها؟ وكيف أن هؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن، وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا^(٥)؟

وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن واعتقاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الرافضة قاطبة، كما حقق ذلك الطبرسي في فصل الخطاب، ودلت عليه النقول السابقة عن كبار علمائهم، وأنه لم يخالف في هذه العقيدة أحد من علمائهم، حتى وقت تأليف «فصل الخطاب» إلا أربعة منهم حملهم على ذلك

(١) المصدر نفسه ص(٣٢٢، ٣٤).

(١) «فصل الخطاب» ص(٣٠).

(٥) «الأنوار النعمانية» (٢/٣٢٨ - ٣٥٩).

(٤) «فصل الخطاب» ص(٣٤).

التقية والمداراة للمخالفين، على ما نص على ذلك الطبرسي ومن قبله نعمة الله الجزائري. وكما أثبت ذلك البحوث المعاصرة التي بحثت هذه المسألة، وأيدت ذلك بذكر شواهد كثيرة من الروايات الدالة على التحريف الواردة في كتب هؤلاء المشايخ الأربعة^(١)؛ مما يدل على اعتقادهم مضمونها وموافقتهم لسائر علماء الشيعة الرافضة فيما ذهبوا إليه، من اعتقاد تحريف القرآن وتبديله وإن أظهروا تقية ونفاقاً وخداعاً لأهل السنة^(٢)، ومما يدل على ما ذهب إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف في القرآن إلى نقد من قبل الشيعة؛ إذ ظل الكليني موضع الثقة والتبجيل والإكرام والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم، وبرغم أن الشيعة المعاصرين أكدوا نفي التحريف عن القرآن زيادة ونقصاً، فإننا لا نجد أحداً منهم يرد على الكليني رداً صريحاً أو يظهر عدم الثقة به أو يرفض ما ذهب إليه، بل إن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير^(٣)، وإن كان هؤلاء القوم صادقين، فعليهم أن يتبرؤوا ممن قال بتحريف القرآن الكريم، ولا يترددوا في تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل؛ لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بضرورة الدين، واتفاق المسلمين أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي لم يتطرق إليه التحريف والتبديل، وذلك لأن الله تبارك وتعالى تعهد وتكفل بحفظه، بخلاف التوراة والإنجيل؛ فإن الله لم يتكفل بحفظهما، بل استحفظ عليهما أهلهما فضيعوهما، حكى الشاطبي عن أبي عمرو الداني عن أبي الحسن المتاب قال: كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم، وقال في

(١) «الشيعة والقرآن» لإحسان إلهي ظهير ص (٦٨ - ٧١).

(٢) «الانتصار للصاحب والآل» ص (٦٥).

(٣) «أضواء على خطوط محب الدين» ص (٤٢) وما بعدها.

القرآن : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {الحجر: ٩} فلم يجز التبديل عليهم ، قال عليّ : فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية ، فقال : ما سمعت كلاماً أحسن من هذا^(١) ، وقد أجمعت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ، هو القرآن الموجود الآن بأيدي المسلمين ليس فيه زيادة أو نقصان ، ولا تغيير فيه أو تبديل ولا يمكن أن يتطرق إليه شيء من ذلك لوعده الله بحفظه وصيانتها ، ولم يخالف في هذا إلا الشيعة الرافضة حيث زعموا أن القرآن الكريم قد حدث فيه تحريف وتغيير وتبديل ، وزعموا أن الصحابة هم الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الدنيوية ، وعقيدتهم هذه باطلة ودل على بطلانها الأدلة من القرآن الكريم ، وأقوال الأئمة من أهل البيت ، والعقل ، وإليك بيان ذلك :

أ - الأدلة من القرآن الكريم:

الآيات الصريحة الدالة على تكفل الله تعالى بحفظ القرآن ، وأنه لا يمكن أن يتطرق إليه التحريف أو التبديل في هذا الشأن كثيرة منها :

* قوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {الحجر: ٩} وقوله تعالى : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ {الكهف: ٢٧} . وقوله تعالى : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ {فصلت: ٤٢} . وقوله تعالى : ﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ {البقرة: ١} . وقوله تعالى : ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ {هود: ١} . وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ {الحج: ٥٢} . وقوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ {القيامة: ١٦، ١٧} .

الشيعة على التمسك بكتاب الله وردّ كل شيء إلى الكتاب والسنة ومن هذه الروايات : ما جاء عن موسى ابن جعفر أنه سئل : أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه أم تقولون فيه؟ فقال : بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله (١) ، وجاء عن أبي عبد الله أنه قال : من خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله فقد كفر (٢) ، وعن أبي جعفر أنه قال : إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله صلى الله عليه وآله ، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه (٣) ، وعن أبي عبد الله قال : ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة (٤) .

والتأمل لهذه الروايات يخرج بفائدتين مهمتين :

- أن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القرآن الكريم ، وإلا لم يطلبوا من تلاميذهم التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله ونبذ ما سواهما ، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شيء إلا وهو في كتاب الله والسنة وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما .

- أن الروايات المنسوبة إليهم من القول بتحريف القرآن لم يقولوا بها بل هم برآء منها وعن افتراها (٥) .

ج- الأدلة العقلية:

وكما دل النقل على بطلان دعوى الرافضة في تحريف القرآن الكريم، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم تلك؛ وذلك لما يترتب على القول بتحريف القرآن من المفسد العظيمة التي يستلزم منها الطعن في الله تبارك وتعالى، وفي النبي صلى الله عليه وآله ، وصحابته رضي الله عنهم ، والأئمة من آل البيت الأطهار، فالقول بتحريف القرآن يستلزم الطعن في الله تعالى واتهامه بعدم الوفاء بوعدده بحفظ القرآن من التحريف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ويستلزم الطعن في النبي صلى الله عليه وآله حيث إنه لم يبلغ القرآن الكريم البلاغ الكامل؛ بل خصص علياً رضي الله عنه بكثير من الآيات

(٢) «أصول الكافي» (١/٧٠) .

(٥) «بذل المجهود» (١/٤٣٧) .

(١) «الأصول» للكافي (١/٦٢) .

(٤،٣) المصدر نفسه (١/٥٩) .

التي لم يطلع عليها غيره، ويستلزم الطعن في الصحابة الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الخاصة على حسب ما يدعيه الشيعة الرافضة، ويستلزم الطعن في علي والأئمة من بعده، وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذي معهم - على حد زعم الشيعة الرافضة - إلى الناس ويدعوهم إليه، وهذا كتم لكتاب الله وقد توعد الله على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِمَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩] ولو كان للشيعة الرافضة اعتراف بالأدلة العقلية، لكانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة الخبيثة أكبر رادع لهم للإقلاع عن هذه العقيدة؛ والتوبة إلى الله من كل ما افتروه عليه، وعلى نبيه صلى الله عليه وآله وصحابة نبيه الكرام، وأهل البيت الأَطهار^(١).

٢ - اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

قال الكليني صاحب «أصول الكافي» والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السنة^(٢)، يروي ما نصه: .. إن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وإن علياً كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحججة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله^(٣)، كما توجد هذه المقالة في طائفة من كتبهم المعتمدة كرجال الكشي^(٤)، وعلل الشرائع^(٥)، والمحاسن^(٦). ووسائل الشيعة^(٧)، وغيرها. وكيف يقال مثل هذا في كتاب أنزله الله سبحانه ليكون هداية للناس؟ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠].

قال الخليفة الراشد علي رضي الله عنه: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١/١٥٥).

(٤) «رجال الكشي» ص (٤٢٠).

(٦) «المحاسن» للبرقي ص (٢٦٨).

(١) «بذل المجهود» (١/٤٣٧).

(٣) «أصول الكافي» (١/١٨٨).

(٥) «علل الشرائع» ص (١٩٢).

(٧) «وسائل الشيعة» للحر العاملي (١٨/١٤١).

الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيع به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم^(١)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه: ١٢٣^(٢).

وقد جاء في كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقولة في بعض مصادرهم المعتمدة، فقد جاء فيها: . . . فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، من جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل^(٣)، وفي «نهج البلاغة» المنسوب لعلي رضي الله عنه وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع جاء النص التالي: فالقرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه^(٤)، ولهذه النصوص شواهد أخرى وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم، فرواياتهم - كما ترى - يعارض بعضها بعضاً، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجاً خطيراً وهو الأخذ بما خالف العامة - وهم أهل السنة عندهم، والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هدى الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثني عشر؛ لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثني عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر، وهو غائب مفقود عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً، ومعدوم عند طوائف من الشيعة

(١) «فضائل القرآن» لابن كثير ص (١٥) موقوف على أمير المؤمنين علي.

(٢) «تفسير الطبري» (١٦/٢٢٥).

(٣) «تفسير العياشي» (٢/١)، و«البحار» (١٧/٩٢).

(٤) «نهج البلاغة» ص (٢٦٥)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/١٦٠).

وغيرهم - فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها أن الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قيمه أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال؛ لأن الحججة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ، وحسبك بهذا الضلال، والإضلال عن صراط الله، وتلك ليست نهاية التأمير على كتاب الله، وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات، تريد أن تبعد الشيعة عن كتاب الله عز وجل^(١).

إن مما علم من الإسلام بالضرورة: أن علم القرآن الكريم لم يكن سرّاً تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأن الصحابة رضي الله عنهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد صلّى الله عليه وآله ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل، وتعتقد أن الله سبحانه قد اختص أئمتهم الاثني عشر بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل^(٢)، وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ؛ فهو القائل بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي^(٣)، وقد استفاد ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات:

أ - جاء في «أصول الكافي» في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله صلّى الله عليه وآله فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٤)، وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يتبغي علمه عند غير علي هلك»^(٥)، وزعمت

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (١/١٦١).

(٢) المصدر نفسه (١/١٦٢).

(٣) «أحوال الرجال» للجوزجاني ص (٣٨)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/١٦٢).

(٤) «أصول الكافي» (١/٢٥)، و«وسائل الشيعة» (١٨/١٣١).

(٥) «أمالي الصدوق» ص (٤٠)، و«وسائل الشيعة» (١٨/١٣٨).

أيضاً كتب الشيعة أن أبا جعفر قال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، قال أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم - إلى أن قال: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به^(١)، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جداً، وربما تستغرق مجلداً، وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثني عشر بعلم القرآن، وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء^(٢)، والرد على ذلك كما قال الله تعالى لمن طلب آية تدل على صدق الرسول عليه السلام: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ {العنكبوت: ٥١} فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة، ومن ابتغى علم القرآن من القرآن، أو من سنة المصطفى عليه السلام، أو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما فيهم علي فقد اهتدى، والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك، ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلانه من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبي صلى الله عليه وسلم أحداً من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ {النحل: ٤٤}، فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم ولو كانوا أهل بيته، وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلم دون الناس^(٣). وقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة ومن بعدهم، ورغبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحداً منهم، فقال عليه السلام: «نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره؛ فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٤).

وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية المعتمدة^(٥)، فيكون حجة عليهم. وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطب به سوى الأئمة الاثني عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم - إنما يعرف القرآن من خوطب به^(٦) -

(١) «بحار الأنوار» (٢٣٧/٢٤، ٢٣٨)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/١٦٣).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١/١٦٦).

(٤) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/٦٨٩، ٦٩٠).

(٥) «أصول الكافي» (١/٤٠٣)، و«وسائل الشيعة» للحر العاملي (١٨/٦٣).

(٦) «بحار الأنوار» (٢٣٧/٢٤، ٢٣٨)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/١٦٣).

وبهذا الفهم السقيم يعتبر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا - على حد زعمهم - بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء ومنه ما لا يعلمه إلا الله^(١)، فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله وهذه دعوة تفتقر إلى الدليل، وزعم يكذبه العقل والنقل، فمما يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ {النحل: ٤٤}. يتناول هذا وهذا .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن - كعثمان ابن عفان، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً^(٢).

ولهذا كانوا يقون مدة في حفظ السورة؛ وذلك أن الله تعالى قال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ {ص: ٢٩} وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ {النساء: ٨٢}، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ {المؤمنون: ٦٨}. وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ {يوسف: ٢}. وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى.

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها، فقالت: بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الاثنا عشر بل يشركهم غيرهم فيها، أما بواطن الآيات فمن اختصاص الأئمة. وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الإخباريين والأصوليين، والفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير

(١) «تفسير الطبري» (٧٦/١) كلام لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٣١/١٣).

القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة، والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتدبير القرآن وفهمه^(١).

إن دعوى القرآن لم يفسر إلا لعلي مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. فالبيان للناس لا لعلي وحده - كما سبق - فليس لمن قال لهذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يكذب القرآن، وهي مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة، ينافيه اشتهاً عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم وغيرهم. وكان علي رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس رضي الله عنه^(٢).

وقال ابن تيمية - رحمه الله -: وهذا ابن عباس رضي الله عنه نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة، يروي عن عمر، وأبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وغير واحد من المهاجرين والأنصار وروايته عن علي قليلة جداً، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن علي، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهم وغيرهم... وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالأثار عن الصحابة والتابعين، والذي منها عن علي قليل جداً، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب علي جعفر^(٣)، وقد تحدث جعفر بولع الناس بالكذب عليه.

إن قولهم بأن علم القرآن انفرد بنقله علي يفضي إلى الطعن في تواتر شريعة

(١) «البيان» للخوئي ص (٤٦٣)، و«أصول الفقه» للمظفر (٣/ ١٣٠).

(٢) «تفسير ابن عطية» (١٩/١)، و«تفسير ابن جزى» (٩/١).

(٣) «منهاج السنة» (٤/ ١٥٥).

القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال؛ لأنه لم ينقلها - على حد زعمهم - عن رسول الله إلا واحد وهو علي رضي الله عنه، فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره، واستلهام هديه، والتفكر في عبره، والتأمل في معانيه ومقاصده، فالقرآن في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثني عشر، أما غيرهم فمحروم بالانتفاع به، وهي محاولة أو حيلة مكشوفة الهدف، مفضوحة القصد؛ لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين وخطب به الناس أجمعون ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]، وأمر الله عباده بتدبره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بمواعظه، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة لك به من البيان والكلام^(١)، وهي محاولة للصد عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف والأئمة، فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها في دين الشيعة؛ لأنها ليست واردة عن الأئمة الاثني عشر، وقد صرح بذلك أحد شيوخهم المعاصرين فقال: إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها^(٢)، لقد حاولت كتب التفسير المعتمدة عندهم - كتفسير القمي والعياشي والصافي والبرهان وكتب الحديث كالكافي والبحار - تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف في الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله، وتأويل منحرف لآياته، وتعسف بالغ في تفسيره، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت، فهي تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بمفهومها ولا بالسياق القرآني - كما سيأتي أمثلة على ذلك بإذن الله - وبناء على هذه العقيدة فإن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت، وفي ذلك من الزرابة عليهم ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم^(٣).

(١) «تفسير الطبري» (١/٨٢).

(٢) «الشيعة والرجعة» لمحمد رضا النجفي ص (١٩).

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (١/١٧٦).

٣ - اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر:

ذهب الشيعة إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة، ومن يستقي منهم، ويمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الباب للزنادقة والملحدين، وأصحاب الأهواء والمذاهب الهدامة لكي يتلاعبوا بالقرآن، وحاولوا جميعاً الكيد له، وأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام بأفواههم، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون، وقد استغل الشيعة فكرة الظاهر والباطن هذه، وحاولوا بها تفسير القرآن لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة، كما اتخذوا القرآن تكأةً للهجوم على الصحابة رضي الله عنهم، وتجريحهم في الوقت الذي يجدون فيه أهل البيت وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم، وقد أتى الشيعة الرافضة في هذا الباب بآراء تخالف كل ما أثار في تفسير القرآن، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق^(١).

إن جذور التأويل الباطني نبت في أروقة السبئية؛ لأن ابن سبأ حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستنداً من كتاب الله بالتأويل الباطل، وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع. وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ {القصص: ٨٥} (٢).

وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من تأويلات الشيعة لكتاب الله، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد الناس وفكرهم وثقافتهم؛ فقد تحدث الإمام الأشعري^(٣)، والبغدادي^(٤)، والشهرستاني^(٥)، وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد أحد الغلاة باتفاق السنة والشيعة، والذي تنسب إليه الطائفة المغيرية أنه ذهب في تأويل الشيطان في قول الله جل شأنه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ {الحشر: ١٦}. بعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا التأويل بعينه قد

(١) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص (٢٣٣، ٢٣٤).

(٢) «مقالات الإسلاميين» (١/٧٣).

(٣) «تاريخ الطبري» (٥/٣٤٧).

(٤) «الملل والنحل» (١/١٧٧).

(٥) «الفرق بين الفرق» ص (٢٤٠).

ورثته الاثنا عشرية، ودونته في مصادرها المعتمدة؛ حيث جاء في تفسير العياشي^(١)، والصافي^(٢)، والقمي^(٣)، والبرهان^(٤)، وبحار الأنوار^(٥)، عن أبي جعفر في قول الله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ إبراهيم: ٢٢ قال: هو الثاني، وليس في القرآن شيء: وقال الشيطان إلا وهو الثاني، فكأن كتب الاثني عشرية تزيد على المغيرية بوضع هذا الانحراف في كتاب الله قاعدة مطردة^(٦).

فهذه الروايات التي تسندها كتب الشيعة الاثني عشرية إلى أبي جعفر الباقر، هي من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله، فقد ذكر الذهبي عن كثير النواء^(٧)، أن أبا جعفر قال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، ويان بن سمعان فإنهما كذبا علينا أهل البيت^(٨)، وروى الكشي في رجاله عن أبي عبد الله قال: لعن الله المغيرة ابن سعيد كان يكذب علينا^(٩)، وساق الكشي روايات عديدة في هذا الباب^(١٠).

ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعري، والبغدادي، وابن حزم، ونشوان الحميري على أن جابر الجعفي الذي وضع أول تفسير للشيعة على ذلك النهج الباطني كان خليفة المغيرة بن سعيد^(١١) الذي قال: بأن المراد بالشيطان في القرآن هو أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فهي عناصر خطيرة يستقي بعضها من بعض عملت على فساد التشيع^(١٢).

وحين احتج شيخ الشيعة في زمنه - والذي إذا أطلق لقب العلامة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلي) - على استحقاق علي للإمامة بقوله: (البرهان الثلاثون) قوله تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن: ١٩، ٢٠ قال:

(٢) «تفسير الصافي» (٢٢٣/٣).

(٤) «البرهان» (٣٠٩/٢).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢٠٦/١).

(٨) «ميزان الاعتدال» (١٦١/٤).

(١٠) المصدر نفسه ص (١٩٥).

(١) «تفسير العياشي» (٢٢٣/٢).

(٣) «تفسير القمي» (٨٤/٣).

(٥) «بحار الأنوار» (٣٧٨/٣).

(٧) كثير النواء شيعي وروي أنه رجع عن تشيعه.

(٩) «رجال الكشي» ص (١٩٥).

(١١) «مقالات الإسلاميين» (٧٣/١)، و«الفرق بين الفرق» ص (٢٤٢)، و«المحلى» (٤٤/٥) «أصول الشيعة

الإمامية» (٢٠٧/١).

(١٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢٠٨/١).

علي وفاطمة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانُ﴾ النبي ﷺ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ
وَالْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين، فحينما احتج ابن المطهر بذلك قال ابن تيمية -
رحمه الله -: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه
منه بتفسير القرآن وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن، بل
هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن
فيه، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه^(١)، وهذه أمثلة
من تحريف الشيعة الرافضة لآيات القرآن الكريم، وذلك بفتحهم التفسير الباطني
للقرآن الكريم على مصراعيه.

أ - تحريفهم معنى التوحيد الذي هو أصل الدين إلى معنى آخر هو ولاية
الإمامة: فعن أبي جعفر أنه قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبراءة من
عدونا^(٢)؛ وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ب - تحريفهم معنى الإله إلى معنى الإمام: ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا
تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١]. قال أبو عبد الله: يعني
بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد^(٣).

ج - تحريفهم معنى الرب في القرآن إلى معنى الإمام: ففي تفسير قول الله
تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٥]. قال القمي في تفسيره:
الكافر: الثاني (يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، كان على أمير المؤمنين علي عليه
السلام ظهيراً^(٤). وقال الكاشاني في «البصائر»: إن الباقر عليه السلام سئل عن
تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية^(٥).

(١) «منهاج السنة» (٦٦/٤).

(٢) «تفسير العياشي» (٢٦١/٢)، و«البرهان» (٣٧٣/٢).

(٣) «البرهان» (٣٧٣/٢)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٢٠٩/١).

(٤) «تفسير القمي» (١١٥/٢).

(٥) «تفسير نور الثقلين» (٢٥/٤).

د - تحريفهم معاني الكلمة إلى معاني الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ الْفَصْلُ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٢١]. الكلمة: الإمام^(١)، وقوله سبحانه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]. قالوا: لا تفسير للإمامة^(٢).

هـ - تحريفهم معاني المسجد والكعبة والقبلة إلى معاني الأئمة: فقالوا في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال: يعني الأئمة^(٣)، وفي رواية ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] قال: يعني الأئمة^(٤). وفي قوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. قال: إن الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيرهم إماماً^(٥)، ويقول الصادق عنهم: . . نحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله^(٦)، والسجود: هو ولاية الأئمة وبهذا يفسرون قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] حيث قالوا: يدعون إلى ولاية علي في الدنيا^(٧).

و - تحريفهم معاني التوبة في القرآن إلى الرجوع عن ولاية أبي بكر وعمر وعثمان إلى ولاية علي رضي الله عنه وحده:

ففي قوله سبحانه: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ [إغافر: ٧]. جاء تأويلها عندهم في ثلاث روايات، تقول الأولى: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية فلان وفلان (يعنون أبا بكر وعمر وبني أمية)، وتقول الرواية الثانية: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من ولاية الطواغيت الثلاثة (يعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم) من بني أمية، ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ يعني ولاية علي، وتقول الثالثة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾

(١) «تفسير القمي» (٢/ ٢٧٤)، و«بحار الأنوار» (٢٤/ ١٧٤).

(٢) «تفسير القمي» (١/ ٣١٤)، و«بحار الأنوار» (٢٤/ ١٧٥).

(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ١٢)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢١٦).

(٤) «تفسير العياشي» (٢/ ١٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢١٦).

(٥) «البرهان» (٤/ ٣٩٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (١/ ٢١٦).

(٦) «بحار الأنوار» (٢٤/ ٣٠٣).

(٧) «تفسير القمي» (٢/ ٣٨٣)، و«مرآة الأنوار» ص (١٧٦).

من ولاية هؤلاء وبني أمية ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ هو أمير المؤمنين^(١)، وكل الروايات الثلاث المذكورة منسوبة لأبي جعفر محمد الباقر، وعلمه ودينه يتفیان صحة ذلك^(٢)، وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة، فقد قامت مصادرهم في التفسير - غالباً - على هذا المنهج الباطني في التأويل الذي استقته من أبي الخطاب، وجابر الجعفي والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة، ويلاحظ أنه في القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلص من تلك النزعة المفرطة في التأويل الباطني؛ حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، يؤلف لهم كتاباً في التفسير، ويحاول فيه أن يتخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر في تفسير القمي والعياشي وفي أصول الكافي وغيرها، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المتدعة، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذي نزل إليه القمي ومن تأثر به، ومثل الطوسي في هذا النهج الفضل ابن الحسن الطبرسي في مجمع البيان، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسي ومن معه في تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنة، وما في تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة^(٣).

سادساً: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام:

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبي ﷺ موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك اعتقادهم: كفرهم وردتهم إلا نفرًا يسيراً منهم، على ما جاء مصرحاً بذلك في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم وأوثقها عندهم، فقد روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرفَ

(١) «تفسير الصافي» (٤ / ٣٣٥)، و«تفسير القمي» (٢ / ٢٥٥).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١ / ٢١٨). (٣) «منهاج السنة» (٣ / ٢٤٦).

أناساً بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبائعوا حتى جاؤوا بأمر المؤمنين مكرهاً فبايع^(١).

- وقال نعمة الله الجزائري: الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي رضي الله عنه، وكفروا الصحابة، ووقعوا فيهم، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله^(٢)، وقدح الشيعة الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم، وخاصة الخلفاء الثلاثة: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وأمهاث المؤمنين رضي الله عنهم^(٣).

- يقول محمد باقر المجلسي: وعقيدتنا في التبرؤ: أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة؛ أبي بكر وعمر، وعثمان، ومعاوية، والنساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم^(٤). وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبي صلوات الله عليهم استباحة لعنهم، بل أصبح تقرّبهم إلى الله بذلك أمراً يفوق الوصف، فقد روى الملا كاظم عن أبي حمزة الثمالي - افتراء على زين العابدين رحمه الله - أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعون ألف ألف درجة، من أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك، قال: فمضى مولانا علي بن الحسين، فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك، قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث، فقال: نعم يا ثمالي، أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه

(١) «الروضة من الكافي» (٨ / ٢٤٥، ٢٤٦)، و«الانتصار للصحب والآل» ص (٧٦).

(٢) «الأنوار النعمانية» (٢ / ٢٤٤). (٣) «الانتصار للصحب والآل» ص (٧٧).

(٤) «حق اليقين» ص (٥١٩) (فارسي) وقد قام بترجمة النص ونقله إلى العربية الشيخ محمد عبد الستار التونسي في كتابه «بطلان عقائد الشيعة» ص (٥٣).

ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى لعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح^(١).

ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة في كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش (يعنون بهما أبا بكر وعمر)، وينسبون هذا الدعاء ظلماً وزوراً لعلي رضي الله عنه وهو يتجاوز صفحة ونصف وفيه: اللهم صلّ على محمد وآل محمد والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما، وابتئيهما اللذين خلفا أمرك، وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرفا كتابك... إلى أن جاء في آخره: اللهم العنهما في مكنون السر، وظاهر العلانية، لعناً كثيراً أبداً، دائماً سرمداً، لا انقطاع لأمره ولا نفاذ لعدده، لعناً يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهم، وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم، والمسلمين لهم، والمائلين إليهم، والناهضين باحتجاجهم، والمقتدين بكلامهم، والمصدقين بأحكامهم، (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار، آمين يارب العالمين^(٢).

هذا الدعاء مرغّب فيه عندهم؛ حتى إنهم رَووا في فضله نسبة إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن علياً - عليه السلام - كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته، وقال: إن الداعي به كالرامي مع النبي صلّى الله عليه وآله في بدر، وأحد وحنين، بألف ألف سهم^(٣)، ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم؛ حتى إن أغا بزرك الطهراني ذكر أن شروحه بلغت العشرة^(٤)، فهذا ما جاء في كتبهم القديمة وعلى السنة علمائهم المتقدمين، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها متمسكون، فهذا إمامهم المقدس وآيتهم العظمى الخميني - يقول في كتابه كشف الأسرار: إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين، وما قاما به من مخالقات للقرآن،

(١) «أجمع الفضائح» ملا كاظم ص (٥١٣) نقلاً عن «الشيعة وأهل البيت» ص (١٥٧).

(٢) «مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار» ص (١١٣، ١١٤)، و«تحفة عوام مقبول» ص (٢١٤، ٢١٥)، وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين ورد ذكر أسمائهم على غلاف الكتاب ومنهم الخميني.

(٣) «علم اليقين في أصول الدين» لمحسن الكاشاني (١٠١/٢).

(٤) «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» (٨ / ١٩٢).

ومن تلاعب بأحكام الإله، وما حللا وحرماه من عندهما، وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي عليه السلام وضد أولاده، ولكننا نشير إلى جهلها بأحكام الإله والدين^(١)، ويقول عن الشيخين عليهم السلام: وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى إيراد شواهد من مخالفتها الصريحة للقرآن؛ لنثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك^(٢). ويقول متهمهما بتحريف القرآن: لقد ذكر الله ثماني فئات تستحق سهماً من الزكاة، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئاً^(٣)، ويقول: الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره... الرسول الذي كدّ وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم وأغمض عينيه وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية، والنابعة من أعمال الكفر والزندقة^(٤).

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة، وتزعم أنها تقدر الصحابة، كالخيزي وأحمد مغنية والرفاعي، ومحمد جواد مغنية، فعليهم أن يعلنوا موقفهم في تقديمهم للصحابة في الأوساط الشيعية، وأن يعملوا علي تنقية التراث الشيعي من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون يهدون في هذا الضلال، وألا يتجاهلوا ما جاء في كتبهم قديماً وحديثاً وما يجري في واقعهم من عوامهم وشيوخهم وأن يصدقوا ولا يتناقضوا، حتى يقبل منهم موقفهم^(٥).

إن عقيدة الشيعة الرافضة في الصحابة موجودة في أصول كتبهم التي يقوم عليها المذهب من مطاعن وسباب، وشتائم، بذئثة يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها على أكفر الناس، بينما تشرح بها صدور الشيعة الرافضة، وتسارع بها ألسنتهم في حق أصحاب رسول الله عليه السلام وخلفائه ووزرائه وأصحابه عليهم السلام، ويعدون ذلك ديناً يرجون عليه من الله أعظم الأجر والثوبة، وفي الحقيقة إن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس وما هم عليه من بعد وضلال فإنه لا بد له من موقفين:

(٢) المرجع نفسه ص (١٣١).

(٤) المرجع نفسه ص (١٣٧).

(١) «كشف الأسرار» ص (١٢٦).

(٣) المرجع نفسه ص (١٣٥).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (٣ / ١٣١٩ - ١٣٤٢).

أ - موقف استشعار نعمة الله، وعظم لطفه، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال، الأمر الذي يستوجب شكراً لله على ذلك.

ب - موقف الاتعاظ والاعتبار، بما بلغ بهؤلاء القوم من زيغ وانحراف، يعلمه من له أدنى ذرة من عقل، كتقربهم إلى الله بلعن أبي بكر وعمر صباحاً ومساءً، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة في يومه وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكاً ضرورياً من دين الله، أن الله ما تعبدته أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار، ولو كان من أكفر الناس، بل ما تعبدتهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحاً ومساءً، في أورد مخصوصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الراضية بلعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ بل إني لا أعلم^(١)، فيما اطلعت عليه من كتب الراضية أنفسهم - أنها تضمنت دعاء مخصوصاً أو غير مخصوص في لعن أبي جهل، أو أمية بن خلف، أو الوليد بن المغيرة، الذين هم أشد الناس كفرًا بالله وتكذيباً لرسوله صلوات الله عليهم بل ولا في لعن إبليس في حين أن كتبهم تمتلئ بالروايات في لعن أبي بكر وعمر، كما في دعاء صنمي قريش وغيره، ففي هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال، إن هو أعرض عن شرع الله، واتبع الأهواء والبدع، كيف يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفًا من منكر، ولا يميز حقًا من باطل بل يتخبط في الظلمات، ويعيش سكرة الشهوات، وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه^(٢) في قوله: ﴿أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]، وقال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ [مريم: ٧٥].

(١) هو الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب كتاب «الانتصار للصحب والآل» ص (٨٥)

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٨٥)

١- نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الراضية: المتعلقة بردة الصحابة -
علي حد زعمهم - والرد علي باطلهم:

أ- آية سورة آل عمران:

استدل الشيعة الراضية بقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٣، ١٤٤].
على أن هذه الآية - كما يزعمون - صريحة في الدلالة علي انقلاب الصحابة بعد رسول الله صلوات الله عليهم وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة، فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة وهي الفئة التي ترى الشيعة الراضية ثبوتها علي الإسلام، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون، ولا يكونون إلا قلة كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣] والمهم عندهم أن آية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة، الذين يعيشون مع رسول الله صلوات الله عليهم في المدينة وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فعل^(١)، وقد حولوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بني ساعدة، عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق رضي الله عنه، والرد على هذا الكذب العظيم كالاتي:

- روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاك قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ناس من أهل الارتباب والمرض والنفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله صلوات الله عليهم، وشج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول، فذلك قوله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]^(٢).

- وروى أيضاً عن ابن جريج قال: قال أهل المرض والارتباب والنفاق، حين فرّ الناس عن النبي صلوات الله عليهم: قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول فنزلت هذه

(٢) «تفسير الطبري» (٣ / ٤٥٨).

(١) «ثم اهتديت» للتاجاني ص (١١٤، ١١٥).

الآية^(١)، فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب في الآية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله ﷺ قتل، وهو قولهم: ارجعوا إلى دينكم الأول. ولم تكن هذه الآية فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ وإن كانت هي حجة عليهم، مع أنها إن كانت فيمن ارتد بعد موت النبي ﷺ، لكانت أظهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي ﷺ من المرتدين، فإنهم هم الذين قاتلوهم، وأظهر الله دينه على أيديهم، وخذل المرتدين بحربهم لهم، فرجع منهم من رجع إلى الدين، وهلك من هلك على رده، وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم^(٢)، ولهذا ثبت عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٤. الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه رضي الله عنهم^(٣)، وكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين، وأمين أحباء الله، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله^(٤).

لقد كانت لموقعة «أحد» ظروفها الخاصة وملابساتها، ولذلك جاءت الآيات الكريمة في سورة آل عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات، واستخدام الآية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية، وتعتبر هذه الآية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله ﷺ خير شاهد على ذلك. . . يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطباً الناس بعدما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله فقال: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ الزمر: ٣٠. ويقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٤، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات^(٥)، وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا

(١) «تفسير الطبري» (٣ / ٤٥٨).

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٢٢).

(٣) «تفسير الطبري» (٣ / ٤٥٥).

(٤) «البخاري»، فضائل الصحابة رقم (٣٦٦٨).

الكفر بالإيمان، فاتبعوا مسيلمة، وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم، ومن الذين قالوا نصلي ولا نزكي، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى - لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين^(١)، وقد وقف أمير المؤمنين علي بجانب الخليفة الراشد الصديق رضي الله عنه في جهاده ضد المرتدين ومانعي الزكاة، أما التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثني عشرية، فلا زالوا يدندنون حول قضية مانعي الزكاة، محاولين تبرئة ساحتهم ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة، فأبي ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم، ويجعلون من الذين جاهدوا^(٢) في سبيل رفعة هذا الدين رموزاً للكفار والردة والنفاق، ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام أبي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق، يذكر الأربلي - في كتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة - عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف، فقال: لا بأس به، قد حلّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قلت: فتقول: الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق، نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق، فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة^(٣) فرحم الله الإمام أبا جعفر، ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمم ولم تنطق بها ضمائر اليوم^(٤).

ب - آية سورة المائدة:

وقد استدل بعض المنتظعين على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

(١) ثم أبصرت الحقيقة « ص (٣٠٢) .

(٢) ثم أبصرت الحقيقة « ص (٣٠٢) ، (٣٠٣) .

(٣) «كشف الغمة» (٢ / ١٤٧) .

(٤) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٠٤) .

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الاثني عشرية، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم لهي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم^(١)، فقد روى الطبري بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ بأبي بكر وأصحابه رضي الله عنهم، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدتهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام، وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير^(٢).

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالوا العزة والكرامة، بينما سيحقيق بأهل الردة مكرهم السيئ وتغشاهم الزلة، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح، وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسي وسجاح وخبيثتهم^(٣).

إن هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين؛ فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات، فالله سبحانه وتعالى ذكر بأنه يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، وقد شرحت هذه الصفات في كتابي «الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق»^(٤)، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

ج- آية التوبة:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣١١).

(٢) «تفسير الطبري» (٤ / ٦٢٣ ، ٦٢٤).

(٣) «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣١٢).

(٤) «الانشراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق» ص (٢٨٨ - ٢٩١ للمؤلف).

أثاقلتم إلى الأرض أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿التوبة: ٢٨، ٢٩﴾، فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الآية صريحة في أن الصحابة ثاقلوا عن الجهاد، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا، برغم علمهم بأنها متاع قليل، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم، واستبدل غيرهم من المؤمنين الصادقين، وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم في العديد من الآيات، مما يدل دلالة واضحة على أنهم ثاقلوا عن الجهاد في مرات عديدة، فقد جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] عند صاحب كتاب «ثم اهتديت»: ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا، وأوقدوا نار الفتنة، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية، التي سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم^(١)، والرد على هذا الشيعي الرافضي كالاتي: إنه ليس في هاتين الآيتين مطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما فيهما حث الله تعالى الصحابة على الجهاد، وذلك عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم، وكان ذلك في زمن عسرة وفاقه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مع شدة الحر وبعد السفر، فشق ذلك على بعضهم، فنزلت الآيات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله، والتحذير من الثاقل عنه فاستجاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأمر ربهم.

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]. وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم على غزو الروم، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك^(٢) ولا شك أن هاتين الآيتين تضمنتا نوع عتاب من الله عز وجل لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد، وهذا قطعاً لا يرد على عامة

(٢) «تفسير الطبري» (٦ / ٣٧٢).

(١) «ثم اهتديت» ص (١١٥).

أصحاب النبي ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في سبيل الله وهم غالب الصحابة وأكثرهم^(١)، وقال ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك^(٢).

ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعذار، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في الصحيحين^(٣)، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أن الله تاب على الجميع، وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحيًا يتلى في كتابه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ {التوبة: ١١٧، ١١٨}، وتضمنت هذه الآيات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول ﷺ في غزوة تبوك، والتي تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقْر، حتى جاء في بعض الروايات أن النفر منهم كانوا يتناولون التمر بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا، ثم يشرب عليها حتى تأتي على آخرهم^(٤)، كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين، الذين تأخروا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة بعد هجر النبي ﷺ لهم، وندمهم ندمًا عظيمًا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت^(٥)، فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي ﷺ، أو غمزهم بشيء مما قد يقع

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢ / ٣٧٢).

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٢٧).

(٣) «البخاري» رقم (٤١١٨)، و«مسلم» (٢٧٦٩).

(٤) «تفسير الطبري» (٥٠٢/٦)، و«تفسير البغوي» (٢/٣٣٣).

(٥) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٢٩).

منهم، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه وتزكية الرسول صلوات الله عليه لهم في سنته ﷺ (١).

وأما اقتتال الصحابة رضي الله عنهم فقد نشأ في عهد علي رضي الله عنه، وقد تقدم الحديث عن أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة، وبيان وجهة كل فريق، وبراءتهم من كل ما يلصق بهم من ذلك، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه وإنما الإمساك عما شجر بينهم، والترحم عليهم هو السبيل الأمثل، والمنهج الأقوم في حقهم، فرضي الله عنهم أجمعين (٢).

د - حديث المذاذاة عن الحوض:

قال رسول الله صلوات الله عليه: «بينما أنا قائم فإذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار، والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، قال: هلم قلت: أين؟ قال: إلى النار، والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» (٣). وقال صلوات الله عليه: «إني فرطكم على الحوض من مر عليّ شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي» (٤).

يقول بعض الشيعة: فالتمعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم، لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا، بل ارتدوا على أدبارهم بعده صلوات الله عليه إلا القليل الذين عبر عنه بهمل النعم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٢٩).

(٢) المصدر نفسه ص (٣٣٠).

(٣) «البخاري»، كتاب الرقاق رقم (٦٥٨٤، ٦٥٨٧).

(٤) «مسلم»، كتاب الفضائل (١٧٩٣/٤).

الثالث : وهم المنافقون ؛ لأن النص يقول : «أقول أصحابي» ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي ﷺ ، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة النبي ﷺ مؤمناً (١) .

والرد على هذه الشبهة كالتالي : إن أصحاب النبي ﷺ مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه ، وتزكية رسوله لهم في سنته ، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء ، ووصفهم بأحسن الصفات ، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويأتي بيان ذلك بإذن الله تعالى .

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة ، على أن الصحابة غير معينين بهذه الأحاديث وأنها لا توجب قدحاً فيهم ، قال ابن قتيبة - في معرض رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة - : فكيف يجوز أن يرضى الله - عز وجل - عن أقوام ويحمدهم ، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل ، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله ﷺ ، إلا أن يقولوا : إنه لم يعلم وهذا هو شر الكافرين (٢) ، وقال الخطابي : لم يرتد من الصحابة أحد ، وإنما ارتد من جفأة العرب ، ممن لا نصرة له في الدين ، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين ، ويدل القول : (أصحابي) على قلة عددهم (٣) .

وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله ﷺ : هل تدري ما أحدثوا بعدك؟ هذا مما اختلف العلماء فيه المراد به على أقوال :

أ - إن المراد به المنافقون والمرتدون ، فيجوز أن يحشروا بالغيرة والتحجيل ، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم ، فيقال : ليس هؤلاء مما وعدت بهم ، إن هؤلاء بدلوا بعدك : أي لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

ب - إن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ ؛ لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم ، فيقال : ارتدوا بعدك .

(١) «ثم اهتديت» ص (١١٩) . (٢) «تأويل مختلف الحديث» ص (٢٧٩) . (٣) «فتح الباري» (١١/٢٨٥) .

ج - إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام وعلى هذا لا يقطع بهؤلاء الذين يذادون بالنار، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب^(١)، ونقل هذه الأقوال، أو قريباً منها، القرطبي وابن حجر، رحمهما الله تعالى^(٢).

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة، فإن الروايات محتملة لكل هذا، ففي بعضها يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «فأقول: أصحابي أو أصحابي» - بالتصغير - وفي بعضها يقول: «سيؤخذ أناس من دوني فأقول: ياربي مني ومن أمتي». وفي بعضها يقول: «ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني»^(٣).

وظاهر ذلك أن المذاين ليسوا طائفة واحدة، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة؛ فإن العقوبات في الشرع تكون بحسب الذنوب، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب^(٤)، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بين سبب الذود عن الحوض، هو الارتداد كما في قوله: إنهم ارتدوا على أدبارهم، أو الإحداث في الدين، كما في قوله: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٥)، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من الأعراب، أم من كان بعد ذلك، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم، قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج و الروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن

(١) «شرح صحيح مسلم» (٣/١٣٦، ١٣٧).

(٢) المفهم للقرطبي (١/٥٠٤)، و«فتح الباري» (١١/٣٨٥).

(٣) الروايات في «البخاري»، كتاب الرقاق، «فتح الباري» (١١/٤٦٣، ٤٦٥).

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٥٤).

(٥) «مسلم» كتاب الفضائل، إثبات الحوض رقم (٢٢٩٥).

يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم^(١)، وقال القرطبي في التذكرة: قال علماءنا - رحمة الله عليهم أجمعين - : فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون^(٢).

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الرافضة، فالذود عن الحوض، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك، بل هم أعداء المرتدين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأحرجها بعد موت النبي ﷺ، على ما روى الطبري في تأريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق، واشربت اليهود والنصارى، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشتائية؛ لفقد نبهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم^(٣).

ومع هذا تصدى أصحاب النبي ﷺ لهؤلاء المرتدين، وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم، فعاد للدين من أهل الردة من عاد، وقتل منهم من قتل، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة ﷺ، وكذلك أهل البدع كان الصحابة ﷺ أشد الناس إنكاراً عليهم، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها، فعن ابن عمر ﷺ أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدرية: إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم منه براء ثلاث مرات^(٤)، ويقول البغوي - ناقلاً إجماع الصحابة وسائر السلف على معاداة أهل

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣ / ١٣٧).

(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (١ / ٣٤٨).

(٣) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٥٦) نقلاً عن «تاريخ الطبري» (٣ / ٢٢٥).

(٤) «السنن» لعبد الله بن أحمد (٢ / ٤٢٠).

البدع-: وقد مضى الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم^(١)، وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله صلوات الله عليه، حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع، الأمر الذي يظهر به كذب الرافضة في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين، والذود عن حوض النبي صلوات الله عليه، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته، ولا يشكل على هذا قول النبي صلوات الله عليه: «ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني»^(٢)، فهؤلاء هم من مات النبي صلوات الله عليه، وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد ذلك، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي صلوات الله عليه فهؤلاء في علم النبي صلوات الله عليه من أصحابه؛ لأنه مات وهم على دينه، ثم ارتدوا بعد وفاته ولذا يقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وفي بعض الروايات: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري^(٣)، فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي صلوات الله عليه، وأين أصحاب النبي صلوات الله عليه الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين، وفتحوا بذلك الأمصار، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار- من أولئك المنقلبين على أدبارهم. وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي صلوات الله عليه مؤمناً به ومات على الإسلام^(٤).

وأما قول النبي صلوات الله عليه: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»^(٤)، واحتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فلا حجة لهم؛

(٢) «البخاري» رقم ٦٥٨٢.

(٤) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧/١).

(١) «شرح السنة» للبغوي (١ / ١٩٤).

(٣) «مسلم»، الفضائل، (٤ / ١٧٩٦).

(٥) «البخاري»، رقم ٦٥٨٤ - ٦٥٨٧.

لأن الضمير في قوله: (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه، فلا يخلص منهم إلا القليل، وهذا ظاهر من سياق الحديث فإن نصه: بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلمّ، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قالوا: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النعم^(١)، فليس في الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمراً من الرجال يذادون من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل^(٢).

قال ابن حجر في شرح الحديث عند قوله: (فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَلِ النعم): يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه، والمعنى: لا يرده منهم إلا القليل؛ لأن الهَمَل في الإبل قليل بالنسبة لغيره^(٣)، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتلبسهم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم^(٤).

٢ - عدالة الصحابة:

إن تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد، وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي، وأن يبعد عما يخل بالمروءة، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ، والعقل، والسلامة من الفسق، ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله ﷺ، فجميعهم رضي عنهم عدول تحققت فيهم صفة العدالة^(٥)، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله ﷺ، وحققتها التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الدهلوي:

(٢) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٥٩).

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (٣٦٠).

(١) «البخاري»، رقم (٦٥٨٤).

(٣) «فتح الباري» (١١/٤٧٤ - ٤٧٥).

(٥) «عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (٢/٧٩٩).

ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات ، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي صلوات الله عليه وآله أشد الذنوب ، ويحترزون منه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير (١) .

ولقد تضافرت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وآله على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، مما لا يبقى معها الشك لمرتاب في تحقيق عدالتهم ، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى صلوات الله عليه وآله ، لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله ، ويدب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى النبي صلوات الله عليه وآله ؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٢) .

أ - قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم أن وسطاً بمعنى : عدولاً خياراً (٣) ؛ ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة .

ب - قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم ، أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها ، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول ، وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال ، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة ، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة ، وهل الخيرية إلا ذلك؟ (٤) .

(١) «ظفر الأمانى في مختصر الجرجاني» للكنوي ص (٥٠٦ ، ٥٠٧) .

(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام» (٢/٨٠٠) .

(٣) «الكفاية» للخطيب البغدادي ص (٦٤) .

(٤) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/٨٠٢) .

ج - قوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ عَلَىٰ رِضْوَانٍ مَّا هُمْ بَأْسُهُمْ فِي تَحِيَّةٍ وَقَوْمٍ لِّلَّذِينَ تَبِعُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم ﷺ ، أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا ، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه ، ومن أثنى الله تعالى عليه بهذا الثناء كيف لا يكون عدلاً؟ وإذا كان التعديل يثبت بقول اثنين من الناس فكيف لا يثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين؟ (١) .

د - قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] .

فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه ، وهذا الثناء الذي أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم ، قال القرطبي -رحمه الله- عند تفسير هذه الآية : فالصحابه كلهم عدول - أولياء الله تعالى وأصفياءه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله - هذه الأمة ، وقد ذهبت شذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم ، فيلزم البحث عن عدالتهم ، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر ، فقال : إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ، ثم تغيرت بهم الأحوال ، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء ، فلا بد من البحث ؛ وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم ﷺ ، ممن أثنى الله عليهم

وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى: ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول صلوات الله عليه هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبئهم بإخباره لهم بذلك، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذا كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد^(١).

هـ - قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].

فالصادقون هم المهاجرون، والمفلحون هم الأنصار، بهذا فسر أبو بكر الصديق رضي الله عنه هاتين الكلمتين من الآيتين؛ حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين)، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الآيتين، كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله صلوات الله عليه، واتصفوا بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأنهم صادقون وختم صفات الذين آزرهم ونصروهم وآثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول، فهذه الآيات التي أسلفناها من الآيات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القرآن الكريم^(٢).

* وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم:

فقد وصفهم النبي صلوات الله عليه في أحاديث يطول تعدادها، وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم، ومن تلك الأحاديث:

(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/٨٠٧).

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/٢٩٩).

أ - ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ قال: «... ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب» (١).

وجه دلالة الحديث على عدالتهم ﷺ، أن هذا القول صدر من النبي ﷺ في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم حيث طلب منهم أن يبلغوا ما سمعوه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحداً (٢).

قال ابن حبان: وفي قوله ﷺ: «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب» أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول، ليس فيهم مجروح ولا ضعيف؛ إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله ﷺ وقال: ألا يبلغ فلان منكم الغائب، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم دل ذلك على أنهم كلهم عدول، وكفى بمن عدله رسول الله ﷺ شرفاً (٣).

ب - روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» (٤).

وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة ﷺ: أن الوصف لهم بغير العدالة سب، لاسيما وقد نهى ﷺ بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه؛ لشهود المواقف الفاضلة فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى (٥)، فالصحابه كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائه عليهم، وثناء رسول الله ﷺ عليهم، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق (٦).

(١) «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (٩١ / ١).

(٢) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٨٠٧ / ٢).

(٣) «الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان» (٩١ / ١).

(٤) «البخاري» (٢٩٢ / ٢).

(٥) «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (١١١، ١١٠ / ٣).

(٦) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٨٠٩ / ٢).

ولو لم تكن عدالتهم منصوفاً عليها في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف؛ فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصره الحق، ورفع رأيتيه وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار عليه السلام أجمعين، والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم^(١).

قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة، وطلب التزكية إلى أن يثبت ارتكاب قساح، ولم يثبت ذلك والله الحمد والمنة فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله عليه السلام حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير؛ فإنه لا يصح وما صح فله تأويل صحيح^(٢).

* الإجماع على عدالتهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء، من لابس الفتن وغيرها، ولا يفرقون بينهم، الكل عدول إحساناً للظن بهم ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبه عليه السلام ، ولما لهم من المآثر الجليلة من مناصرتهم للرسول عليه السلام والهجرة إليه والجهاد بين يديه، والمحافظة على أمور الدين والقيام بحدوده، فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جمع غفير من أهل العلم، ومن تلك النقول:

أ - قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - : بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام التي دلت على عدالة الصحابة وأنهم كلهم عدول، قال: هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء^(٣).

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة» (٢/ ٨٠٩).

(٢) «فتح المغيب» (٣/ ١١٥).

(٣) «الكفاية» ص (٦٧).

ب - وقال أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله - : ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفيينا البحث عن أحوالهم ؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول فواجب الوقوف على أسمائهم^(١).

ج - وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين - الجويني رحمه الله - وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله : ولعل السبب فيه أنهم نقلت الشريعة ، فلو ثبت توقف في رواياتهم لانحصرت الشريعة على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما استرسلت على سائر الأعصار^(٢).

د - ذكر ابن الصلاح أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم ؛ فقد قال : للصحابة بأسرهم خصيصة ، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه ؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة ، وإجماع من يعتد به الإجماع من الأمة ، وقال أيضاً : إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لباس الفتن منهم ، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر ، وكأن الله - سبحانه وتعالى - أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة^(٣) ، والله أعلم .

هـ - قال الإمام النووي - رحمه الله - بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد ، وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم - قال : ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم^(٤) ، وقال في التقريب : الصحابة كلهم عدول من لباس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به^(٥).

(١) «الاستيعاب على حاشية الإصابة» (٨/١).

(٢) «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (١١٢/٣)، وذكره السيوطي في «تدريب الراوي» (٢١٤/٢).

(٣) «مقدمة ابن الصلاح» ص (١٤٦ ، ١٤٧).

(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٤٩/١٥).

(٥) «تقريب النواوي مع شرح تقريب الراوي» (٢١٤/٢).

و - وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة، بما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نظقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله صلوات الله عليه وسلم، ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل (١).

ز - وقال العراقي في شرح ألفيته - بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة - : إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلبس الفتن منهم، وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان، فأجمع من يعتد به أيضاً: في الإجماع على تعديلهم إحساناً للظن بهم وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد (٢).

ح - وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - مبيّناً أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة : اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة (٣).

فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح، ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم، فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك (٤).

٣ - وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وسلم، وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والاقتران بهم، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله صلوات الله عليه وسلم، والجهاد معه لنصرة دين الإسلام، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين، والهجرة عن أوطانهم وأموالهم، وتقديم حب الله ورسوله صلوات الله عليه وسلم على ذلك كله، قال تعالى:

(١) «الباعث الحثيث» ص (١٨١، ١٨٢).

(٢) «شرح ألفية العراقي السمة بالبصرة والتذكرة» (١٤، ١٣/٣).

(٣) «الإصابة» (١٧/١). (٤) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٨١٣/٢).

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفياء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو أحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفياء، روي ذلك عن الإمام مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد ﷺ أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فياء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (١).

وقد فهم متقدمو أهل السنة والجماعة ومتأخروهم، أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق، ومن الخلف للسلف، الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يا بن أخي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبهم (٢).

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر، قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة ابن مصرف عن مصعب بن سعد بن سعد بن أبي وقاص، قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا لهم (٣).

(٢) «مسلم» (٢٣١٧/٤).

(١) «تفسير القرطبي» (٣٢/١٨).

(٣) «منهاج السنة» (١٥٣/١)، و«المستدرک» (٤٨٤/٢) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

ولا يتردد من له أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة؛ لأنهم لم يترحموا على الصحابة ولم يستغفروا لهم بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يحيد عنها بحال حتى يلقي ربه (١).

وقد قال ابن تيمية - رحمه الله - : وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار ، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم ، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء ، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة ؛ فإنهم لم يستغفروا للسابقين ، وفي قلوبهم غل عليهم ، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك ، وهذا ينقض مذهب الرافضة (٢).

٤ - تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب و السنة :

أ - قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ {الأحزاب : ٥٧} .

وهذه الآية تضمنت التهديد والوعيد بالطرده والإبعاد من رحمة الله ، والعذاب المهين لمن آذاه - جل وعلا - بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك ، وإيذاء رسوله (٣) يشمل كل أذية قولية أو فعلية من سب وشتم أو تنقص له أو لدينه ، أو ما يعود إليه بالأذى (٤) ، ومما يؤذيه صلوات الله عليهم سب أصحابه وقد أخبر صلوات الله عليهم أن إيذاءهم إيذاء له ، ومن آذاه فقد آذى الله (٥) ، وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم؟ والآية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم .

ب- قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ {الأحزاب : ٥٨} .

(١) «عقيدة أهل السنة» (٧٧ / ٢) .

(٢) «منهاج السنة» (١٥٣ / ١) ، و«عقيدة أهل السنة» (٧٧٢ / ٢) .

(٣) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٨٣٢ / ٢) . (٤) «تفسير السعدي» (١٢١ / ٦) .

(٥) «مسند أحمد» (٨٧ / ٤) .

وهذه الآية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء لم يعملوه، ولم يفعلوه، والبهت الكبير أن يحكى أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه، على سبيل العيب والتنقص لهم^(١).

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم أنهم في صدارة المؤمنين فإنهم المواجهون بالخطاب في كل آية مفتوحة بقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ البقرة: ١٠٤، ومثل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الكهف: ١٠٧. في جميع القرآن فالآية دلت على تحريم سب الصحابة؛ لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم وسبهم والنيل منهم من أعظم الأذى، وأن من نال منهم بذلك فقد آذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا، وأن من اتخذ شتمهم والنيل منهم ديناً له فإن الوعيد المذكور في الآية يصيبه^(٢).

قال ابن كثير -رحمه الله- عند هذه الآية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم؛ فإن الله عز وجل قد أخبر أنه قد رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن ولا فعلوه أبداً، فهم في الحقيقة مُنكسِرُ القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين^(٣).

ج - قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَتَّعِنُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الفتح: ٢٩.

ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، أنه لا يسبهم شخص إلا لما

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٥٢٥).

(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/٨٣٣).

(٣) «عقيدة أهل السنة» نقلاً عن «تفسير ابن كثير».

وجد في قلبه من الغيظ عليهم، وقد بين تعالى في هذه الآية أنه يغاظ بهم الكفار، فدللت على تحريم سبهم، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب د - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»^(١). فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم، وفيه التصريح بتحريم سبهم^(٢)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

* نهى السلف عن سب الصحابة:

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان، التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم كثيرة جداً منها:

أ - قال أحمد بن حنبل - رحمه الله - : إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام^(٣).

ب - قال أبو زرعة الرازي - رحمه الله - : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليطلقوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة^(٤).

ج - وقد ذكر الإمام الشوكاني إجماع أهل البيت رضي الله عنهم، على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم، من اثني عشر طريقاً^(٥)، وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا

(١) «مسلم» (٤/١٦٩٧ - ٢٥٤٠).

(٢) «مناقب الإمام أحمد بن الجوزي» ص (١٦٠).

(٣) «الكفاية في علم الرواية» ص (٦٧).

(٤) «إرشاد الغيبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي صلى الله عليه وسلم» ص (٥٠ - ٦٤).

(٥) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/٨٣٨).

ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويزعمون أنني أمرهم بذلك، فأبلغهم عني أنني إلى الله منهم بريء والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالني شفاععة محمد صلوات الله عليه إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما، فأبلغهم أنني بريء منهم ومن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما (١)، وروى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبداً (٢).

٥ - حب أمير المؤمنين علي وأبنائه الصحابة:

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية «نهج البلاغة»، تلك النصوص كفيلة بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله صلوات الله عليه والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده، فهذا أمير المؤمنين علي يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله كما رأهم وعانينهم؛ إذ يقول: لقد رأيت أصحاب محمد صلوات الله عليه فما أرى أحداً يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الرياح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب (٣). وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفاً صفاً، مُره العيون من البكاء، خُمص البطون من الصيام، ذُبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظماً إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم (٤).

(١) «البداية والنهاية» (٣٤٩/٩).

(٢) «عقيدة أهل السنة في الصحابة» (٢/١٥١).

(٣) «نهج البلاغة» ص (١٨٢ - ١٨٩)، «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٢٤).

(٤) «نهج البلاغة» ص (٢٣٥)، «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٢٥).

فيا أحباب أمير المؤمنين علي، تأملوا في نظرته إلى أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم.
وأما الإمام علي بن الحسين - زين العابدين - رحمه الله - فكان يذكر
أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم، ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة؛ لنصرتهم
سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه، فيقول: فاذكروهم
منك بمغفرة ورضوان، اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة،
والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى
دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في
إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ
علقوا بعروته، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في قرابته، اللهم ما تركوا لك
وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك
وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة العيش إلى
ضيقه، ومن كثره في اعتزاز دينك إلى أقله، واللهم وأوصل إلى التابعين لهم
بإحسان، الذين يقولون ربنا اغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك،
والذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم ينهم ريب
في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم
مكانفين ومؤازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم ولا
يتهمونهم فيما أدوا إليهم^(١).

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة، لا ما يدعيه
المن্দسون من الرافضة والمسترون بستار التشيع أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية
المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار.

سابعاً: موقف الشيعة من السنة النبوية:

معنى السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين، ما نقل عن النبي صلوات الله عليهم من قول
أو فعل أو تقرير^(٢)، ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة،

(١) «صحيفة كاملة لزين العابدين» ص (١٣) نقلاً عن «ثم أبصرت الحقيقة» ص (٣٢٩).

(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (٤٧).

وبذلوا جهوداً عظيمة من أجل حمايتها من الوضع والوضاعين وقد بذلوا جهداً لا مزيد عليه، وقد سلكوا طرقاً هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص؛ حتى نستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال، وتتيه به على الأمم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم.

وقد سار أهل علماء السنة على الخطوات التالية في سبيل النقد، حتى أنقذوا السنة مما دبر لها من كيد، ونظفوها مما علق بها من أوحال^(١).

١ - إسناد الحديث: لم يكن صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته يشك بعضهم في بعض، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله ﷺ، حتى وقعت الفتنة وقام اليهودي الخاسر عبد الله بن سبأ بدعوته الأثمة التي يتبناها على فكرة التشيع الغالي القائل بالوهية علي رضي الله عنه، وأخذ الدس على السنة يربو عصرًا بعد عصر، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث، ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها ورواتها واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم.

يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم، وقد ابتداء هذا التثبيت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة، فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد أن بشيراً العدوي جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ كذا فجعل ابن عباس رضي الله عنهما لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يابن عباس مالي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول الله ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول:

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (٩٠).

قال رسول الله صلوات الله عليه ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف، ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب .

يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث عن الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم.

ويقول ابن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، ويقول ابن المبارك أيضاً: بيننا وبين القوم القوائم. يعني: الإسناد^(١).

٢- التوثق من الأحاديث، وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة هذا الفن، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه، أن مدّ في أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم؛ ليكونوا مرجعاً يهتدي الناس بهديهم، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً، ويستفتونهم فيما يسمعون من أحاديث وآثار، ولهذا الغرض كثرت رحلات التابعين بل بعض الصحابة أيضاً من مصر إلى مصر؛ ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقات، ولذلك سافر جابر بن عبد الله إلى الشام وأبو أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

٣- نقد الرواة، وبيان حالهم من صدق وكذب، وهذا باب عظيم توصل به العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب والقوي من الضعيف، وقد أبلوا فيه بلاءً حسناً، وتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم، وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم^(٢).

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب، ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

أ- الكذّابون على رسول الله صلوات الله عليه، وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من كذب على النبي صلوات الله عليه، كما أجمعوا على أنه من أكبر

(١) مقدمة صحيح «مسلم» (١٠/١).

(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (٩١).

الكبائر، واختلفوا في كفره: فقال به جماعة، وقال آخرون بوجوب قتله، واختلفوا في توبته هل تقبل أم لا؟

ب - الكذّابون في أحاديثهم العامة، ولو لم يكذبوا على رسول الله ﷺ، وقد اتفقوا على أن من عُرِف عنه الكذب ولو مرة واحدة يترك حديثه.

ج - أصحاب البدع والأهواء: وكذلك اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته، وكذا إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا؟ أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية؟

قال ابن كثير: في ذلك نزاع قديم وحديث، والذي عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره^(١)، والذي يظهر لي أنهم يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته، أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث في سبيل أهوائها، ولهذا رفضوا رواية الرافضة، وقبلوا رواية المبتدع إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان^(٢).

د - الزنادقة والفساق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون، وكل من لا تتوفر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

وقد وضع العلماء قواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع، وذكروا له علامات يعرف بها، كركاكة اللفظ، وفساد المعنى، ومخالفته لصريح القرآن، ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عهد النبي ﷺ وغيرها من العلامات^(٣).

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة، التي هي ثاني مصادرها التشريعية، واطمأن المسلمون إلى حديث نبيهم فأقصى عنه كل

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (٩٣).

(٢) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (٩٤).

(٣) المصدر نفسه ص (٩٤-٩٨).

دخيل، ومُيز بين الصحيح والحسن والضعيف، وصان الله شرعه من عبث المفسدين ودس الدسائس وتآمر الزنادقة والشعوبيين، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التي كان من أبرزها، تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم الحديث^(١).

* موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحابة:

كانت ل نظرة الشيعة ورأيهم في الإمامة أثر في تكفيرهم لمعظم الصحابة عليهم السلام، وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار الشيعة لكل الأحاديث التي وردت عن طريق الصحابة، ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت، أو ممن نسبواهم إلى التشيع كسلمان الفارسي، وعمّار بن ياسر، وأبي ذر، والمقداد بن الأسود، وقد شنوا هجومًا عنيفًا على رواة الحديث كأبي هريرة وسمرة بن جندب، وعروة بن الزبير، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب^(٢)، واعتبر الإمام عبد القاهر البغدادي الشيعة من المنكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهدى عليه الصلاة والسلام^(٣).

فالشيعة تحارب السنة، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم؛ لاتباعهم سنة المصطفى عليه السلام^(٤)، هذا ما جاء في بعض مصادر أهل السنة، ولكن الشيعة تروي عن أئمتها: أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف^(٥)، وبهذا المعنى روايات أخرى^(٦) عندهم.

وهو يفيد أن الشيعة لا تنكر سنة رسول الله عليه السلام، بل تعتمد عليها، وتجعلها

(١) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (١٠٣).

(٢) «أضواء على محب الدين» ص (٤٨، ٦٥، ٦٨).

(٣) «الفرق بين الفرق» ص (٣٢٢، ٣٢٧، ٣٤٦).

(٤) «منهاج السنة» (١٧٥/٢).

(٥) «صحيح الكافي» (١١/١)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٣٧٣/١).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٣٧٣/١).

مع كتاب الله الميزان والحكم، والدارس لنصوص الشيعة ورواياتها ينتهي إلى الحكم بأن معظم رواياتهم وأقوالهم، تتجه اتجاهاً مجانباً للسنة التي يعرفها المسلمون، في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون. ويتبين ذلك فيما يلي:

١- قول الإمام كقول الله ورسوله: فالسنة عندهم هي: كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير^(١)، ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدى مجانبتهم للسنة في هذا القول؛ إذ إن المعصوم هو رسول الله ﷺ، وتجعل كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وهم الأئمة الاثنا عشر، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثني عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى^(٢)، فهم: ليسوا من قبيل الرواة عن النبي ﷺ والمحدثين عنه؛ ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية؛ بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي^(٣).

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة، وسن النضج العقلي؛ إذ إنهم - في نظرهم - لا يخطئون عمداً ولا سهواً ولا نسياناً طوال حياتهم، كما مرّ معنا في مسألة العصمة؛ ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة، دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة^(٤)، فالسنة عندهم ليست سنة النبي ﷺ فحسب، بل سنة الأئمة، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما ألحقته الشيعة بالسنة المطهرة، قالوا: وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة^(٥).

(١) «الأصول العامة للفقهاء المقارن» ص (١٢٢)، لمحمد تقي الحكيم ص (١٢٢).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٣٧٤/١).

(٣) «أصول الفقهاء المقارن» (٥١/٣)، و«أصول الشيعة الإمامية» (٣٧٤/١).

(٤) «تاريخ الإمامية» لعبد الله قياض ص (١٤٠).

(٥) «سنة أهل البيت»، لمحمد تقي الحكيم ص (٩٠).

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة، وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليهما، حينما ذكر أن قول الإمام عندهم مجرى قول النبي صلى الله عليه وسلم، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع، وأنهم لا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي، فبين أن ذلك يتحقق لهم من طريقين: من طريق الإلهام كالنبي صلى الله عليه وسلم من طريق الوحي، أو من طريق التلقي عن المعصوم قبله^(١).

وهم يزعمون أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه، وقد عقد صاحب «الكافي» باباً لهذا بعنوان: باب أن الأئمة - عليهم السلام - ولاة أمر الله وخزنة علمه^(٢)، وضمن هذا الباب ست روايات في هذا المعنى، وباباً آخر بعنوان: إن الأئمة ورثوا علم النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم^(٣)، وفيه سبع روايات، وباباً ثالثاً بعنوان: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام^(٤)، وفيه أربع روايات^(٥)، وقد توسع الشيعة الرافضة في هذا الباب، ونكتفي بهذا القدر من المصادر الوهمية التي تزعمها الرافضة، والتي يغني في بيان فسادها مجرد عرضها وتصورها، ونتيجة لذلك التصور عن الأئمة، فإن الشيعة الرافضة لم يهتموا بصحة الإسناد وتقويم الرجال، كما اهتم علماء الحديث من أهل السنة، وفي الوقت الذي رفض فيه الشيعة صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة، اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني الذي سبق أن أوردنا أقواله في كثير من عقائدهم واعتبروه حجة، ويعتبر كتابه «الكافي»^(٦)، من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول: وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به والثقة بخبره

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (١/٣٧٧).

(٢) «أصول الكافي» (١/١٩٢، ١٩٣).

(٣) المصدر نفسه (١/٢٢٣ - ٢٢٦).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (١/٣٨٥).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (١/٣٨٥، ٣٨٦).

(٦) «أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله» للسالوس ص (٢٧٤، ٢٧٥).

والاكتفاء بأحكامه ، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره ، على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم ، وهو عندهم أجل وأفضل من جميع أصول الأحاديث ، علماً بأن جل ما في «الكافي» كما يقول أبو زهرة أخبار تنتهي عند الأئمة ، ولا يصح أن نقول إنه يذكر سنداً متصلاً بالنبي ﷺ ، ولا أن يدعي أن هذه أقوال النبي ﷺ ، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي ﷺ ، وأنها دين الله تعالى . . وأكثر ما يروى في «الكافي» واقف عند الصادق وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر ، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي ؑ ، ونادراً ما يقف عند النبي ﷺ (١) .

كما أن هناك كتاب : (من لا يحضره الفقيه) جمعه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى ابن بابويه ، الذي يلقبونه بالشيخ الصدوق ، وهو أيضاً من أكبر علمائهم بخراسان (توفي ٣٨١هـ) ، ومن الكتب المعتمدة عند الشيعة كتابا (تهذيب الأحكام) و(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) لمحمد بن الحسن الطوسي ، وهذه الكتب الشيعية مليئة بعشرات الألوف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها ، بل معظمها موضوع مختلق (٢) ، مثل ما سبق أن أشرنا إليه ، من الأحاديث التي اعتمدوا عليها في دفاعهم عن أحقية علي ؑ بالإمامة من هذا العرض لآراء الشيعة ومعتقداتهم ، والشيعة يعترفون -أو على الأقل بعض منهم- بأن في تلك الكتب بعض الروايات الموضوعية كما أنهم أنفسهم جرحوا بعض رواياتهم ، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ عندما قال : . . الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم واتبعوا سنته ، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن فما عرفه القرآن ، فالزموه ، وما أنكره فردوه (٣) ، وقوله ؑ : واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ ؛ فإنه أفضل الهدى ، واستنوا بسنته ، فإنها أفضل السنن (٤) - وأن يلتزموا بطريقة أمير

(٢) «الخطوط العريضة» ص (٤٩) .

(١) «الإمام الصادق» لأبي زهرة ص (٤٢٩) .

(٤) «البداية والنهاية» (٣١٩/٧) .

(٣) «البداية والنهاية» (٢٤٦/٧) .

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فهم الأحكام من القرآن الكريم ومعاني الآيات، فيلتزموا بظاهر القرآن الكريم، وحمل المجمل على المفسر، والمطلق على المقيد، وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب، وفهم النص بنص آخر، والسؤال عن مشكله، والعلم بمناسبة الآيات، وتخصيص العام، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كيف يحترمون مقام النبوة، ويتعاملون مع سنة الرسول صلوات الله عليه وفق هديه الذي بينته في هذا الكتاب، ثم يعرضوا رواياتهم التي في كتبهم على العدلين، كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه قبلوه وما خالفهما ينبذوه، ويحذرون أتباعهم منه، وخصوصاً تلك الروايات التي تسيء إلى أئمتهم فضلاً عن الإسلام.

إن دين الله كمل، قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ المائدة: ٣، ورسول الله صلوات الله عليه بلغ جميع ما أنزل إليه وامثل أمر ربه في قوله: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ المائدة: ٦٧.

وقد بلغ النبي صلوات الله عليه البلاغ المبين، وأقام الحجة على العالمين، وأعلن ذلك بين المسلمين، ولم يسر لأحد بشيء من الشريعة ويستكتمه إياه، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ آل عمران، الآية: ١٨٧.

فهو بيان للناس وليس لفئة معينة من أهل البيت، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ﴾ البقرة، الآية: ١٥٩، ١٦٠، وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ النحل، الآية: ٦٤.

فالدين قد تم وكمل لا يزداد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل^(١)، لا من إمام مزعوم، ولا من غائب موهوم^(٢)، وقد ودع المصطفى صلوات الله عليه الدنيا بعد أن بلغ الدين كله وبين جميعه كما أمره ربه، قال صلوات الله عليه: «تركتكم على مثل البيضاء

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١/٣٩٨).

(١) «المحلى» (١/٢٦).

ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(١)، وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا محمد صلوات الله عليه وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً^(٢).

ثامناً: التقية عند الشيعة:

١ - وأما تعريفها عند الشيعة الرافضة فيقول شيخهم المفيد: التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا^(٣)، ويقول يوسف البحراني - أحد كبار علمائهم في القرن الثاني عشر-: المراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف فيما يدينون به خوفاً^(٤)، ويقول الخميني: التقية معناها: أن يقول الإنسان قولاً مغايراً للواقع، أو يأتي بعمل مناقض لموازين الشريعة؛ وذلك حفاظاً لدمه أو عرضه أو ماله^(٥). فهذه ثلاثة تعريفات للتقية لثلاثة من كبار علماء الشيعة الرافضة جاؤوا في فترات زمنية مختلفة، وهذه التعريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسية للتقية عندهم وهي:

* أن معنى التقية أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يبطن.
* أن التقية تستعمل مع المخالفين، ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.

* أن التقية تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.
* أن التقية إنما تكون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال، وهذه أربعة أحكام هي محور عقيدة التقية عندهم^(٦).

٢- وأما مكانتها عند الشيعة الرافضة: فهي تحتل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة، دلت عليها روايات عديدة جاءت في أمهات الكتب عندهم، فقد روى الكليني وغيره عن جعفر الصادق أنه قال: التقية من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له^(٧).

(٢) «مسند أحمد» (١٥٣/٥).

(٤) «الكشكول» (٢٠٢/١).

(٦) «بذل المجهود» (٦٣٨/٢).

(١) هذا المعنى صحح الألباني - رحمه الله - معظمه.

(٣) «تصحيح الاعتقاد» ص (١١٥).

(٥) «كشف الأسرار» ص (١٤٧).

(٧) «أصول الكافي» (٢١٩/٢)، و«المحاسن» ص (٢٥٥).

وعن أبي عبد الله أنه قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في البيذ والمسح على الخفين^(١).

وفي المحاسن: عن حبيب بن بشير عن أبي عبد الله أنه قال: لا والله ما على الأرض شيء أحب إليّ من التقية، يا حبيب: إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب: من لم يكن له تقية وضعه الله^(٢).

وفي أمالي الطوسي عن جعفر الصادق أنه قال: «ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية»^(٣).

وفي «الأصول الأصيلية»: عن علي بن محمد من مسائل داود الصرمي قال: قال لي: يا داود لو قلت لك إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً^(٤).

وعن الباقر أنه سئل: من أكمل الناس؟ قال: أعلمهم بالتقية، وأقضاهم لحقوق إخوانه^(٥). وعنه أيضاً أنه قال: أشرف أخلاق الأئمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقية^(٦).

فدللت هذه الروايات على مكانة التقية عندهم، ومنزلتها العظيمة في دينهم؛ إذ التقية عند الشيعة الرافضة من أهم أصول الدين، فلا إيمان لمن لا تقية له والتارك للتقية كالتارك للصلاة، بل إن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام، فالتقية تمثل تسعة أعشار دينهم، وسائر أركان الإسلام وفرائضه تمثل العشر الباقي^(٧)، وقد ذكر صاحب «الكافي» أخبارها في (باب التقية)^(٨)، و(باب الكتمان)^(٩) و (باب الإذاعة)^(١٠)، وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم فيها مائة وتسع روايات في باب عقده بعنوان (باب التقية والمداراة)^(١١).

(١) «أصول الكافي» (٢/٢١٧)، و«بذل المجهود» (٢/٢٣٦).

(٢) «المحاسن» للبرقي ص (٢٥٧).

(٣) «أمالي الطوسي» ص (٢٨٧).

(٤) «الأصول الأصيلية»، لعبد الله شبر ص (٣٢٠).

(٥) «الأصول الأصيلية» ص (٣٢٤).

(٦) المصدر السابق ص (٣٢٣).

(٧) «بذل المجهود» (٢/٦٣٧).

(٨) «أصول الكافي» (٢/٢١٧).

(٩) المصدر السابق (٢/٢٢١).

(١٠) المصدر السابق (٢/٣٦٩).

(١١) «بحار الأنوار» (٧٥/٣٩٣ - ٤٤٣).

٣ - وأما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها :

أ - أن الشيعة الرافضة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة ، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار ، مع أن علياً عليه السلام بايعهم وصلى خلفهم ، وجاهد معهم وزوج عمر ابنته أم كلثوم وتسرى من جهاده مع أبي بكر ، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئاً مما فعله أبو بكر وعمر ، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها ، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه ، فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية^(١) ، واستخدموا مبدأ التقية لتفسير أحداث تاريخهم فذهبوا إلى أن سكوت علي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما جميعاً كان تقية ، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية كان تقية ، واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم ، وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث التي تناقض عقيدتهم بالتقية^(٢) .

ب - أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم يسهون ولا يخطئون ولا ينسون ، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم ، وحتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة ، حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه ، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي^(٣) ، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله ، فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم على الأئمة . روى صاحب «الكافي» عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله -عليه السلام- : ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال : إننا نجيب الناس على الزيادة والنقصان^(٤) .

قال شارح «الكافي» : أي زيادة حكم عند التقية ، ونقصانه عند عدمها . . ولم يكن ذلك مستنداً إلى النسيان والجهل ؛ بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم ، وأنفع لبقائهم إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع وصار ذلك سبباً لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام^(٥) .

(٢) «دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» ص(٢١٧) .

(٤) «أصول الكافي» (١/٦٥) .

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٨٤) .

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٨٥) .

(٥) «شرح جامع» للمازندراني (١/٦٥) .

ج - تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة ومحاولة التعقيم على حقيقة مذهب أهل البيت، بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم وإنما يفعلونه تقية فيسهل عليهم بهذه الحيلة أقوال الأئمة، والدس عليهم، وتكذيب ما يروى عنهم من حق، فتجدهم مثلاً يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملاً من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة، فاتقى في كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه، وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن علي - وهو من أهل البيت - يروي عن علي رضي الله عنه، كما تنقله كتب (الاثنا عشرية) نفسها، أنه غسل رجله في الوضوء، ولكن من يلقبونه بـ (شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث، ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية، فهو يورد الحديث في «الاستبصار» عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: جلست أتوضأ فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتدأت الوضوء، إلى أن قال: وغسلت قدمي، فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع ولا تخلل بالنار^(١)، فأنت ترى أن علياً كان يغسل رجله في وضوئه، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكد عليه بأن يخلل أصابعه، والشيعنة تخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدي علي رضي الله عنه في ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر في أمر هذه الروايات ودراستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة^(٢): (التقية).

ولهذا قال الطوسي: هذا خبر موافق للعامة - يعني أهل السنة - وقد ورد مورد التقية؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا - عليهم السلام - القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به^(٣) لا يعمل به. وفي النكاح جاءت عندهم

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٨٧).

(١) «الاستبصار» (١/٦٥، ٦٦).

(٣) «الاستبصار» (١/٦٥، ٦٦).

روايات في تحريم المتعة، ففي كتبهم عن زيد ابن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة^(١)، وقال شيخهم الحر العاملي أقول: حملة الشيخ^(٢)، وغيره على التقية يعني في الرواية؛ لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية^(٣).

وفي قسمة الموارث أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئاً^(٤)، ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك، وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبدالله قال: سألته عن الرجل هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئاً؟ أو يكون في ذلك في منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئاً؟ فقال: يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركت^(٥)، قال الطوسي: نحمله على التقية؛ لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه^(٦).

د - وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين، لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط، يقول إمامهم (أبو عبد الله): ما سمعت مني يشبه قول الناس؛ فيه التقية، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه^(٧)، وقد كان من آثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة^(٨)، ووضعوا لهم ميزاناً، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن من خالف العامة فيه الرشاد^(٩).

وقد اعترف صاحب «الحدائق» بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل، بسبب التقية حيث قال: فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل؛ لامتزاج أخباره بأخبار التقية، كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن

(١) تهذيب الأحكام للطوسي (١٨٤/٢).

(٢) إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة المراد به شيخهم الطوسي.

(٣) «وسائل الشيعة» (٤٤١/٧).

(٤) «الاستبصار» للطوسي (١٥١/٤ - ١٥٥).

(٥) «بحار الأنوار» (٢٥٢/٢).

(٦، ٥) المصدر السابق (١٥٤/٤).

(٧) المصدر نفسه (٩٨٩/٢).

(٨) «أصول الشيعة الإمامية» (٩٨٩/٢).

يعقوب الكليني في جامعه «الكافي»؛ حتى إنه خطأً العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار، والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار^(١).

وأما تطبيق التقية عندهم فهي خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة، وقد اعترف يوسف البحراني بأن الأئمة: يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يقل بها قائل من المخالفين^(٢).

٥ - مفهوم التقية عند أهل السنة:

إن مفهوم التقية في الإسلام غالباً، إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] قال ابن جرير الطبري: التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا غيرهم^(٣)، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة^(٤).

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولا سيما أهل السنة، حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرره شيخهم المفيد، وكما تلحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة؛ لأنهم يرون أهل السنة أشد كفرةً من اليهود والنصارى؛ لأن منكر إمامة الاثني عشر أشد من منكر النبوة^(٥).

والتقية رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثنائها - سبحانه - من مبدأ النهي عن موالاته الكفار فقال سبحانه: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] فنهى الله سبحانه عن موالاته الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ

(٢) «الحدائق الناضرة» (٥/١).

(١) «الحدائق الناضرة» يوسف البحراني (٥/١).

(٣) «تفسير الطبري» (٣١٦/٦).

(٥) المصدر نفسه (٩٧٨/٢).

(٤) «تفسير القرطبي» (٥٧/٤)، و«فتح القدير» (٣٣١/١).

اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴿آل عمران: ٢٨﴾ أي من يرتكب نهى الله فقد برئ من الله، ثم قال سبحانه: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا من خاف من بعض البلدان والأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته^(١).

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: أجمعوا على أن من أكره على الكفر، حتى خشى على نفسه القتل، فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ألا يحكم عليه بالكفر^(٢)، ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل.

قال ابن بطال: وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل، أنه أعظم أجراً عند الله^(٣)، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم^(٤).

والتقية في دين الإسلام -دين الجهاد والدعوة- لا تمثل نهجاً عاماً في سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي - غالباً - حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه، أما في المذهب الشيعي فتعد طبيعة ذاتية في بنية المذهب، وحالة مستمرة وسلوكاً جماعياً دائماً^(٥)، وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة، أن تقيتهم إنما هي الكذب والنفاق ليس إلا.

وقد فرق ابن تيمية - رحمه الله - بين تقية النفاق والتقية في الإسلام فقال: لست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه...، فالؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فقبله، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، ومع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون؛ حيث لم يكن موافقاً

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٣٧١).

(٢) «فتح الباري» (١٢/٣١٤).

(٣) المصدر السابق (١٢/٣١٧).

(٤) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٧٩).

(٥) المصدر نفسه (٢/٩٨١).

لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه شيئاً، وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أرغم على النطق بكلمة الكفر فيعذره الله بذلك، والمنافق والكذاب لا يعذر بحال، ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطراً ويكتم إيمانه يعاملهم - بمقتضى الإيمان الذي يحمله - بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافقاً لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفاراً، وبخلاف الرافض الذي لا يترك شيئاً يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه^(١).

ولقد لخص الشيخ سلمان العودة الفروق بين التقية عند أهل السنة والرافضة فقال: إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل، أما عند الشيعة فواجب مفروض حتى يقوم القائم من آل البيت، وينتهي العمل بها عند أهل السنة بمجرد زوال السبب الداعي إليها، أما عند الشيعة فواجب جماعي مستمر لا ينتهي العمل به حتى يخرج مهديهم الذي لا يخرج أبداً، وتقية أهل السنة هي مع الكفار في الغالب، وقد تكون مع الفساق الظلمة، أما تقية الشيعة فهي أصلاً مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة، إن التقية عند أهل السنة حالة ممقوتة يلجأ إليها المسلم دون رضا واطمئنان إليها، أما عند الشيعة فقد أصبحت خلة مدوحة مرضية، جاء في مدحها من النصوص عن أئمتهم الكثير والكثير^(٢).

تاسعاً: المهدي المنتظر بين الشيعة والسنة :

١ - عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة:

من أبرز عقائد الشيعة الرافضة التي تكاد تمتلئ بها كتبهم عقيدة المهدي المنتظر، ويقصد الرافضة الإمامية بالمهدي المنتظر: محمد بن الحسن العسكري وهو الإمام الثاني عشر عندهم ويطلقون عليه الحجة، كما يطلقون عليه القائم^(٣)، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥هـ واختفى في سرداب (سر من رأى)^(٤)، سنة ٢٦٥هـ، وهم

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/٩٩٥). (٢) «العزلة والخلطة»، لسلمان بن فهد العودة ص (١٤٩).

(٣) «الإرشاد» للمفيد ص (٣٦٣)، و«كشف الغمة» للأربلي (٢/٤٣٧)، و«بذل المجهود» (١/٢٣٧).

(٤) «بذل المجهود» (١/٢٣٧)، و«معجم البلدان» (٣/١٧٣).

ينتظرون خروجه في آخر الزمان؛ لينتقم لهم من أعدائهم وينتصر لهم^(١)، وما زال الشيعة الرافضة يزورونه بسرداب (سر من رأى) ويدعونه للخروج^(٢)، وهذا المهدي الذي يدعيه الرافضة معدوم ولا وجود له، فالحسن العسكري الذي ينسبون إليه المهدي مات ولم يعقب أحداً، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وقد صاحب عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة الرافضة، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل، ويعتقدون أن المهدي من ولد الحسين^(٣)، ويروون العجائب في ولادته^(٤)، ويقولون: عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان^(٥)، ويخرج الصحابة من قبورهم ويعذبهم^(٦)، ويقتل العرب، وقريش^(٧)، ويهدم الكعبة والمسجد النبوي، وكل المساجد^(٨)، ويدعو إلى دين جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد^(٩) ويستفتح المدن بتابوت اليهود^(١٠) وتنبع له عينان من ماء ولبن، ويصير الرجل من الشيعة الرافضة بقوة أربعين رجلاً، ويمد لهم في أسماعهم وأبصارهم، ويحكم بحكم آل داود^(١١).

وعقيدة الشيعة الرافضة في مهديهم المنتظر باطلة، وقد دل على بطلانها عدة أوجه:

أ - ثبوت عدم ولادة هذا المهدي، فقد اقتضت حكمة العلي القدير أن يموت الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الرافضة وليس له ولد، فكانت فضيحة كبيرة وخذلاناً عظيماً للشيعة الرافضة؛ إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه في الإمامة؟ فعقيدة الشيعة الرافضة تنص على أن الذي يخلف الإمام بعد موته ولده، ولا يجوز أن تكون الإمامة في الإخوة بعد الحسن والحسين^(١٢)، وعدم ولادة المهدي ثابتة في كتب الشيعة أنفسهم^(١٣).

(١) «المفيد» ص (٣٤٦)، و«كشف الغمة» ص (٤٤٦/٢)، و«بذل المجهود» (١/٢٣٧).

(٢) «مصايح الجنات»، لمحسن العصفور ص (٢٥٥).

(٣) «الغيبة» ص (١١٥)، و«بذل المجهود» (١/٢٣٨). (٤) «بذل المجهود» (١/٢٣٩).

(٥) «بحار الأنوار» (٥٢/٢٩١). (٦) «بحار الأنوار» (٥٢/٣٨٦).

(٧) المصدر نفسه (٥٢/٣٥٥). (٨) «الرجعة» للإحساني ص (١٨٤).

(٩) «الغيبة» ص (١٥٤). (١٠) «بذل المجهود» (١/٢٤٧).

(١١) «بذل المجهود» (١/٢٤٩). (١٢) «كمال الدين وتمام النعمة» للصدوق ص (٤١٤).

(١٣) «أصول الكافي» (١/٥٠٥)، و«بذل المجهود» (١/٢٦٧).

ب - لا معنى لاختفاء المهدي: لو سلمنا جدلاً بولادة هذا المهدي، فإنه لا معنى لاختفائه هذه الفترة الطويلة في السرداب، وإذا ما سئل الشيعة الراضية عن الحكمة من اختفائه في السرداب وعدم خروجه للناس، فإنهم يعللون ذلك بأنه يخشى على نفسه القتل^(١)، وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة أدلة منها: أنه قد جاءت في كتبكم أنه سيكون منصوراً ومؤيداً من الله تعالى، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها، فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويعيش حتى زمن نزول عيسى بن مريم عليه السلام^(٢)، كما أن قولكم هذا يترتب عليه أن المهدي، إن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد؛ ليأمن على نفسه من القتل، وعندئذ لا حاجة في خروجه، وهذه الدول تستطيع أن تحمي المهدي لو خرج فلماذا لم يخرج؟ إن من لا يستطيع أن يحمي نفسه من القتل فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره؛ فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف تنتظرون ممن هذه صفته أن ينتقم لكم من أعدائكم وينصركم عليهم نصراً مؤزراً، وبهذا تكون قد بطلت دعواهم، بأن العلة من عدم خروج المهدي هي: الخوف من القتل، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدي أصلاً؛ إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسي^(٣)، فتكون دعوى وجود المهدي باطلة بشهادة علمائهم، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله^(٤).

ج - أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدي؛ وما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الراضية في المهدي المنتظر: أن هذا المهدي الذي تدعيه الراضية لم تحصل به مصلحة في شيء من أمور الدين أو الدنيا، ولم يستفيع منه المسلمون بشيء لا الراضية ولا غيرهم، قال ابن تيمية - رحمه الله - : إن هذا المعصوم الذي يدعونه في وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمئة وخمسين سنة^(٥) فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومائتين، وله خمس سنين عند بعضهم وأقل من

(٢) «بحار الأنوار» (٥٢/١٩١).

(١) «الغيبة» ص (١٩٩).

(٤) «بذل المجهود» (١/٢٧١).

(٣) «الغيبة» ص (١٩٩)، و«بذل المجهود» (١/٢٧١).

(٥) هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية أما الآن فقد مضى عليه ما يزيد على ألف ومائة وخمسين عاماً.

ذلك عند آخرين ، ولم يظهر عنه شيء مما يفعله الإمام المعصوم ، فأى منفعة للوجود في مثل هذا لو كان موجوداً ، فكيف إذا كان معدوماً؟ والذين آمنوا بهذا المعصوم أي لطف وأي منفعة حصلت لهم به نفسه في دينهم أو دنياهم ، إلى أن قال : وهذا الذي تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم ، وإما معدوم عند العقلاء ، وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به في دين ولا في دنيا^(١) ، والشيعه الاثنا عشرية في هذا العصر نقضوا هذه العقيدة عملياً من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه ، وهي تجويز الحكم والولاية للمسلم العادي غير المعصوم أو عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل .

٢ - عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي :

بينت الأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يخرج في آخر الزمان رجلاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين ، يملك سبع سنين يملأ الأرض عدلاً وسلاماً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط ، وتخرج الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها ، ويعطي المال بغير عدد ، ومن هذه الأحاديث :

أ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث وتخرج الأرض نباتها ويعطي المال صحاحاً^(٢) ، وتكثر الماشية ، وتعظم الأمة ، ويعيش سبعاً أو ثمانياً^(٣) ، يعني : حججاً^(٤) .

ب - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً ، قال : ثم يخرج رجل من عترتي - أو من أهل بيتي - يملؤها قسطاً ، وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وعدواناً^(٥) .

(١) «منهاج السنة» (٨/٢٦١ ، ٢٦٢) .

(٢) بمعنى الصحيح ، «النهاية» لابن الأثير (٣/١٢) .

(٣) «المستدرک» (٤/٥٥٧ ، ٥٥٨) ، قال الألباني : سنده صحيح ، رجاله ثقات ، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (٧١١) .

(٤) «المهدي وفق أشراط الساعة» ، لمحمد إسماعيل ص (٣٣) .

(٥) «السلسلة الصحيحة» (١٥٢٩) وحكم الألباني بتواتره .

ج - وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم - ثم ذكر شيئاً لا أحفظه - فقال: فإذا رأيتموه، فبايعوه، ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي»^(١) قال ابن كثير - رحمه الله -: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، يكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء كما يزعم جهلة الرافضة من أنه موجود فيه إلى الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان؛ فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان، إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقىمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سوداً أيضاً وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء يقال لها: العقاب، إلى أن قال: والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره، وخروجه من ناحية المشرق ويباع له عند البيت كما دلت على ذلك بعض الأحاديث^(٢).

د - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم»^(٣).

هـ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة إلى أن قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: صلِّ بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة»^(٤).

(١) سنن ابن ماجه (١٣٦٧/٢)، و«مستدرک الحاكم» (٤٦٤/٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) «النهاية»، الفتن والملاحم (٣١/١).

(٣) «البخاري»، كتاب أحاديث الأنبياء (٤٩١/٦) مع الفتح.

(٤) «مسلم»، كتاب الإيمان (١٩٣/٢) مع شرح النووي.

والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجلاً منهم .

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة، وصلاته بالمسلمين، وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أنه يتقدم ليصلي بهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه، وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله، ويقال له: المهدي، والسنة يفسر بعضها بعضاً .

و - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «منا الذي عيسى ابن مريم يصلي خلفه»^(١) .

ز - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المهدي مني أجلى الجبهة، أفنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين»^(٢) ، ولا توجد أي صلة أو علاقة بين مهدي السنة ومهدي الشيعة الرافضة، وهناك بعض الفوارق بينهما منها:

* أن المهدي عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم، واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أما مهدي الشيعة الرافضة، فاسمه محمد بن الحسن العسكري .

* أن المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن رضي الله عنه، ومهدي الشيعة الرافضة من ولد الحسين .

* أن المهدي عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية، ولم يوجد في الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشيء من ذلك، أما مهدي

(١) رواه أبو نعيم في «أخبار المهدي»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥/ ٧١٧٠) .

(٢) (سنن أبي داود)، كتاب المهدي، رقم (٤٢٦٥) .

الشيعة الرافضة فإن حملة وولادته كانت في ليلة واحدة، ودخل في السرداب وعمره تسع سنوات ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومائة وخمسين سنة وهو في السرداب .

* أن المهدي عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين، ولا يفرق بين جنس وجنس، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة والانتقام من أعدائهم، ويكره العرب وقریشاً فلا يعطيهم إلا السيف ولا يكون من أتباعه عربي، كما دلت ذلك رواياتهم .

* أن مهدي السنة يحب صحابة النبي صلوات الله عليهم، ويرضى عنهم ويتمسك بسنتهم، كما يحب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الحسن الجميل، أما مهدي الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبي صلوات الله عليهم ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم، ثم يحرقهم - على حد زعمهم - وكذلك يبغض أمهات المؤمنين، ويحدّ أحب نساء النبي صلوات الله عليهم الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، على حد زعمهم .

* أن مهدي أهل السنة يعمل بسنة النبي صلوات الله عليهم فلا يترك سنة إلا أقامها، ولا بدعة إلا قمعها، أما مهدي الشيعة الرافضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد .

* أن مهدي السنة يقيم المساجد ويعمرها، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيهدم المساجد ويخربها، فيهدم المسجد الحرام والكعبة، ومسجد النبي صلوات الله عليهم، ولا يبقي مسجداً واحداً على وجه الأرض، كما صرحوا بذلك في رواياتهم .

* أن مهدي السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليهم، أما مهدي الشيعة الرافضة فيحكم بحكم آل داود .

* أن مهدي السنة يخرج من المشرق، أما مهدي الشيعة الرافضة، فيخرج من سرداب سامراء .

* أن مهدي السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبي ﷺ ، وأقوال العلماء قديماً وحديثاً، أما مهدي الشيعة الراضية فوهم من الأوهام لم يخرج ولن يخرج في يوم من الأيام^(١).

عاشراً: عقيدة الرجعة عند الشيعة الراضية:

الرجعة من أصول المذهب الشيعي، فمن رواياتهم: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا^(٢). وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنها حق^(٣)، وقال المفيد: وانفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات^(٤)، وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية^(٥)، وأنها من ضروريات مذهبهم، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها، وتحديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة، وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة^(٦)، ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت^(٧)، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة، ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال: بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند (الاثنا عشرية) عامة للإمام وكثير من الناس، ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث^(٨)، وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند (الاثنا عشرية) فهو يشمل ثلاثة أصناف:

١ - الأئمة الاثني عشر؛ حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

(١) «بذل المجهود» (١/٢٥٦، ٢٥٧).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/١١٠٣).

(٣) «الاعتقادات» ص (٩٠).

(٤) «مجمع البيان» (٥/٥٢)، و«الإيقاظ من الهجمة» ص (٣٣).

(٥) «مجمع البحرين» (٤/٣٣٤).

(٦) «القاموس» (٣/٢٨)، و«مجمع البحرين» (٤/٣٣٤).

(٧) «روح المعاني» (٥/٢٧)، و«ضحى الإسلام» (٣/٢٣٧) أحمد أمين.

٢ - ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - في نظرهم - من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر) فبيعت خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، من قبورهم يرجعون لهذه الدنيا - كما يزعم الشيعة الرافضة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها، فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب .

٣ - عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً، وهم الشيعة عموماً، ولأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضاً وهم كل الناس ما عدا المستضعفين^(١) .

ولهذا قالوا في تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة^(٢)، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت^(٣) في صورهم التي كانوا عليها^(٤) .

واتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه؛ ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي يتفردون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطني، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيما تعسف في هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودليلاً على زيف معتقدهم، وبرهاناً على بطلان مذهبهم، وإليك مثلاً على تفسيرهم للآيات، حيث يرى شيخ المفسرين عندهم، أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] حيث يقول ما نصه: هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة؛ لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك^(٥)، ومع أن الآية حجة عليهم، فهي تدل على نفي الرجعة على الدنيا؛ إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقاتدة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل

(٢) «أوائل المقالات» ص (٥١) .

(٤) «أوائل المقالات» ص (٩٥) .

(٥) «تفسير القمي» (٧٦/٢) وضع عنواناً في أعلى الصفحة: أعظم دليل على الرجعة .

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (١١٠٥/٢) .

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (١١٠٥/٢) .

يوم القيامة^(١)، وهذا كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إيس: ٣١ وقوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ إيس: ٥٠، وزيادة (لا) هنا لتأكيد معنى السفي من ﴿حرام﴾، وهذا من أساليب التنزيل البديعة المتناهية في الدقة. وسر الإخبار بعدم الرجوع مع وضوحه، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم، وفوات أمّنتهم الكبرى وهي حياتهم الدنيا^(٢)، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فهي رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب^(٣)، أي: ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء^(٤).

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن الكريم، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ٩٩، ١٠٠ فقولته سبحانه: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقاً^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الأنعام: ٢٧، ٢٨.

فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار يجابون، لما سبق في قضائه، أنهم إليها لا يرجعون، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع^(٦)، وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة - وكان من أصحاب علي رضي الله عنه - قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون ولو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه^(٧)، والقول

(٢) «تفسير القاسمي» (١١/٢٩٣).

(٤) «فتح القدير» (٣/٤٢٦).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/١١٢٢).

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٢٠٥).

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/١١١٢).

(٥) «مختصر التحفة» ص (٢٠١).

(٧) «مسند أحمد» (٢/٣١٢) قال أحمد شاكراً: إسناده صحيح.

بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء ﴿وَأَنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال (الاثنا عشرية) مع مهديهم الذي يزعمون وجوده، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة، من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله كلما توعد كافراً أو ظالماً إنما توعد به يوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة^(١).

الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى:

من أصول (الاثنا عشرية) القول: بالبداء على الله سبحانه وتعالى حتى بالغوا في أمره فقالوا: ما عبد الله بشيء مثل البداء^(٢)، وما عظم الله عز وجل بمثل البداء^(٣)، ولو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه^(٤)، وما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر الله بالبداء^(٥)، ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند (الاثنا عشرية) هو الملقب عندهم بثقة الإسلام وهو شيخهم الكليني (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ)، حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من «الكافي»، وجعله ضمن كتاب التوحيد، وخصص له باباً بعنوان: (باب البداء) وذكر فيه ستة عشر حديثاً من الأحاديث المنسوبة للأئمة^(٦).

وإذا رجعت إلى اللغة العربية لتعرف معنى البدء تجد أن القاموس يقول: بدا بدواً وبداءً: ظهر. وبدا له في الأمر بدواً وبداء وبداءة: نشأ له فيه رأي^(٧)، فالبداء في اللغة له معنيان:

(٢، ٣) «أصول الكافي» (١/١٤٦).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/١١٣٣).

(١) «أصول الشيعة الإمامية» (٢/١١٢٤).

(٤، ٥) المصدر نفسه (١/١٤٨).

(٧) «القاموس المحيط» (٤/٣٠٢).

١- الظهور بعد الخفاء، تقول: بدا سور المدينة أي: ظهر.

٢- نشأة الرأي الجديد. قال الفراء: بدا لي بداء أي: ظهر لي رأي آخر، قال

الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي^(١). وكلا المعنيين ورد في

القرآن، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبُكُمْ بِهِ

اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. ومن الثاني قوله: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَهُ

حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل، وحدث

الجهل وحدث العلم وكلاهما محال على الله سبحانه، ونسبته إلى الله سبحانه

من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثنا عشرية هذا من أعظم العبادات

وتدعي أنه ما أعظم الله عز وجل بمثل البداء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم^(٢).

هذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود؛ فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود

وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله

سبحانه^(٣)، ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي أخذها

من (توراته) في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع وتحت مظلة

الدعوة إلى ولاية علي عليه السلام، ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء وأن الله

تبدو له البداوات^(٤)، ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارانية أتباع

المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام

به، والتزامه عقيدة^(٥).

وكان شيوخ الشيعة يمينون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم، والدولة ستكون

لهم، حتى إنهم حدوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر، فلما

مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود، اشتكى الأتباع من ذلك

فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنه قد بدا لله سبحانه ما

اقتضى تغيير هذا الوعد^(٦).

(١) «الصحاح» (٢٢٧٨/٦)، و«لسان العرب» (٦٦/١٤).

(٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١١٣٥/٢).

(٣) «أصول الشيعة الإمامية» (١١٣٦/٢).

(٤) «التنبيه والرد» للملطي ص (١٩).

(٥) «أصول الشيعة الإمامية» (١١٣٦/٢).

(٦) «تفسير العياشي» (٢١٨/٢)، و«بحار الأنوار» (٢١٤/٤).

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الرافضة من عقيدة البداء لله التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى، والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة منها قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴿الأنعام: ٥٩، ٦٠﴾. وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿الملك: ١٤﴾.

قال ابن تيمية - رحمه الله - : قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت . . . لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي أحدها: أنه خالق لها، والخلق هو الإبداع بتقدير، ذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكوينها في الخارج، الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة المشيئة، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به .

الثالث: أنها صادرة عنه، وهو سببها التام، والعلم بأصل الأمر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه .

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الدقيق، خبير يدرك الخفي، وهذا هو مقتضى العلم بالأشياء، مستغن بنفسه عنها، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته^(١)، وقد دلت الآيات كذلك على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ﴿الفرقان: ٢﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ ﴿الأعلى: ٢، ٣﴾ فهذه الآيات الكريمات فيها أعظم رد على الشيعة الرافضة الذين زعموا أن الله تعالى لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تجديد المصلحة، فالله تعالى قبل أن يخلق هذا الخلق قدره، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره، ولا تدبيره، ولا يتجاوز ما

كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات، ووجود الكائنات ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون^(١).

وقد دلت السنة على إثبات صفة العلم لله تعالى، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(٢)، وهذه الأمور التي جاءت في الحديث أمور مستقبلية دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها، وقال النبي ﷺ: «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»^(٣)، وقد جاءت في كتب الشيعة في ذلك الركام الهائل من الأباطيل روايات قد تكون وثيقة الصلة بعلماء آل البيت؛ لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة، وقد تكون من آثار الشيعة المعتدلة، فعن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله - عليه السلام - يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال: من قال هذا فأخزاه الله، قلت: رأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق^(٤).

الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة:

أئمة أهل البيت كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة، وبعدهم عن الحق، وهم من أشد الناس ذمًا ومقتًا لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم، وكثرة كذبهم عليهم، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الشيعة الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم، فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الشيعة الرافضة وتأصيلهم عقيدة أهل السنة^(٥):

(١) «بذل المجهود» (١/ ٣٤٠). (٢) «لبخاري» رقم (٤٦٩٧). (٣) «مسلم» رقم (١٦).

(٤) «التوحيد» لابن بابويه ص (٣٣٤)، و«أصول الكافي» (٤٨/١) رقم (١٠).

(٥) «لانتصار للصحب والآل» ص (١١٢).

١ - ما ثبت عن علي عليه السلام وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة:

خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر عليه السلام (١)، وعنه عليه السلام قال: لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلدته حد المفتري (٢)، وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند تشييعه: ما خلُق أحد أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ذهب أنا وأبو بكر وعمر» وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما (٣)، وهذه الآثار - الثابتة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام تناقض عقيدة الشيعة في الشيخين، كما تقدم، وتدلل على براءة علي عليه السلام من الشيعة الرافضة ومن عقيدتهم، وتولية للشيخين وسائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحبه لهم - كما بينا سابقاً - وإقراره للشيخين بالفضل عليه، وعقوبته من فضله عليهما، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر رضي الله عنه، وعن سائر أصحاب النبي الطيبين المطهرين من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الرافضة، والخوارج المارقين ثم من بعد علي عليه السلام جاءت أقوال أبنائه، وأهل بيته، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم وانتقادهم لعقيدة أهل السنة (٤).

٢ - قول الحسن بن علي عليه السلام:

عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة. قال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة لو علمنا أنه مبعوث، ما زوجنا نساءه، ولا اقتسمنا ماله (٥).

وروى أبو نعيم: قيل للحسن بن علي عليه السلام: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة، قال: كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من جاريت، ويسالمون من سألت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم (٦).

(١) «لللكائي» (٧/١٣٦٦ - ١٣٩٧).

(٣) «البخاري»، رقم (٣٦٨٥).

(٥) «سير أعلام النبلاء» (٣/٢٦٣).

(٢) «السنة» لابن أبي عاصم ص (٥٦١).

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (١١٤).

(٦) «حلية الأولياء» (٢/٣٧).

٣ - قول الحسين بن علي عليه السلام:

كان يقول في شيعة العراق - الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر، ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه-: اللهم إن أهل العراق غروني، وخذعوني، صنعوا بأخي ما صنعوا، اللهم شتت عليهم أمرهم وأحصهم عدداً^(١)، ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده عليه السلام هو وعامة من كان معه من أهل بيته، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة، فكان مقتله عليه السلام معيبة عظيمة، ومأساة جسيمة يتفطر لها قلب كل مسلم^(٢).

٤ - قول علي بن الحسين، رحمه الله:

ثبت عنه أنه قال: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيئاً^(٣)، وعنه رحمه الله: أنه جاءه نفر من أهل العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان عليهم السلام، فلما فرغوا قال لهم: ألا تخبروني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون؟ قالوا: لا. قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر: ١٠. اخرجوا فعل الله بكم!!^(٤).

٥ - قوله محمد بن علي (الباقر):

عن محمد بن علي أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣٠٢/٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣٩٠/٤).

(٣) «الحلية» (١٣٧/٣).

وعمر رضي الله عنه أحسن ما يكون من القول^(١)، وعنه - رحمه الله - أنه قال لجابر الجعفي: إن قومًا بالعراق يزعمون أنني أمرتهم بذلك، فأخبرهم أنني أبرأ إلى الله تعالى منهم، والله بريء منهم، والذي نفس محمد بيده لو وليت، لتقربت إلى الله بدمائهم لا نالني شفاعته محمد، إن لم أكن أستغفر الله لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله غافلون عنهما^(٢)، وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: والله إنني لأتولاهما، وأستغفر لهما. وما أدركت أحدًا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما^(٣).

٦ - قول زيد بن علي، رحمه الله:

عن زيد بن علي أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكرين: ثم تلا ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٤، ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي رضي الله عنه^(٤) فإن شئت فتقدم، وإن شئت فتأخر^(٥).

٧ - قول جعفر بن محمد (الصادق):

عن عبد الجبار بن عباس الهمداني، أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم، فأبلغوا عني من زعم أنني إمام معصوم مفترض الطاعة، فأنا منه بريء^(٦)، ومن زعم أنني أبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأنا منه بريء، وعن سالم سأل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: يا سالم تولهما وأبرأ من عدوهما؛ فإنهما كانا إمامي هدى، ثم قال جعفر: أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي، لا نالني شفاعته محمد صلوات الله عليه يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما^(٧)، وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: ما أرجو من شفاعته علي شيئًا، إلا وأنا أرجو من شفاعته أبي مثله، لقد ولدني مرتين^(٨).

(٢) «الاعتقاد» للبيهقي ص (٣٦١).

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/٤٠٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/٤٠٣).

(٤) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٧/١٣٠٢).

(٥) «النهج عن سب الأصحاب» للمقدسي ص (٧٥).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٦/٢٥٨).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٦/٢٥٩).

(٨) «سير أعلام النبلاء» (٦/٢٥٥).

وعنه - رحمه الله - أنه سئل عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلتا من ثمار الجنة^(١)، وعنه أنه قال - برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما^(٢)، قال الذهبي معقباً على هذا الأثر: قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، أشهد بالله إنه لبار في قوله غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة^(٣).

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت، الطيبين الطاهرين، الذين تدعي الشيعة الرافضة إمامتهم وولايتهم، وينسبون إليهم عقيدتهم موضحة ومبينة موقفهم من الشيعة الرافضة، ومن دينهم، وبراءتهم منهم ومن كل ما يفعلونه بهم من عقائدهم الفاسدة، ومطاعنهم على خيار الصحابة، وأمهات المؤمنين. إن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة السنة، ظاهراً وباطناً، في كل كبير وصغير، فهي عقيدتهم التي بها يدينون، وعليها يوالون ويعادون، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم، فرحمهم الله رحمة واسعة وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب^(٤).

الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة:

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع، وانحراف عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجال التفسير والتوحيد والحديث وغيرها، وأنها تصيب المسلمين في صميم دينهم، وفي أصول اعتقادهم، وكل دعوة تقريب تستلزم ضمناً الاعتراف بهذه الكتب، التي لا يصل الكيد الاستشراقي والتبشيري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام، بل إن الاستشراق والتبشير من معينها يرتوي، وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتأميره على الدين وأهله؛ ولهذا فإن

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٦٠).

(١) «الانتصار للصحب والآل» ص (١١٩).

(٤) «الانتصار للصحب والآل» ص (١٢٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٦٠).

هناك علاقة وثيقة بل تشابهاً تاماً بين شبهات المستشرقين والمبشرين وآراء الشيعة والروافض ، وليس هذا بجديد - وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة ، فمن قديم كان الأعداء يستخدمون (آراء) الشيعة الروافض تكأة لهم في محاربة الإسلام وأهله ، بل كان جنود الشيعة الروافض أمضى سلاحاً في يد الأعداء وكان التشيع الرافضي مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاقد وموتور ، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازراتهم للأعداء ، ومن أبرز الأسباب في ذلك : أن هؤلاء الشيعة الروافض لا يؤمنون بشرعية حكومة إسلامية إلا حكومة المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرناً ، ولهذا وجد الأعداء مدخلاً إلى قلوبهم من هذا الطريق^(١) ، قال ابن تيمية : وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين ؛ ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق وقتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان ، والعراق ، والشام ، والجزيرة وغيرها ، كانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين ، وكذلك كانوا بالشام وحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام كانت الرافضة من أعظم المعاونين لهم ، فهم دائماً يوالون الكفار ، من المشركين والنصارى ويعاونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم^(٢) ، ويكفي للتأكيد على ذلك شواهد تاريخية منها :

١- مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد ٦٥٦هـ:

وملخص الحادثة أن ابن العلقمي كان وزيراً للخليفة العباسي المستعصم وكان الخليفة على مذهب أهل السنة ، كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة ، وإبادة أهل السنة ، وإقامة دولة على مذهب الشيعة الرافضة ، فاستغل منصبه وغفلة الخليفة ، لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة ، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل :

أ- المرحلة الأولى: إضعاف الجيش ، ومضايقة الناس ؛ حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين ، وتقليلهم .

(٢) «نهج السنة» (٢/٤٠٤) .

(١) «مسألة التقريب» (٢/٢٦١ - ٢٧٨) .

قال ابن كثير: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل. فلم يزل يجتهد في تقليصهم، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف^(١).

ب - المرحلة الثانية: مكاتبة التتار، يقول ابن كثير: ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال^(٢).

ج - المرحلة الثالثة: النهي عن قتال التتار وتبسيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم^(٣)، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه؛ لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم، ونصفه للخليفة، فخرج الخليفة إليه في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء، والأمراء والأعيان. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتار. وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هؤلاء، وأن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، ونصير الطوسي^(٤)، ثم مالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه، من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال إنه بضعة عشر ألف إنسان أو أكثر أو أقل، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتار، وقتلوا الهاشميين، وسبوا نساءهم من

(١) (٢، ١) «البدية والنهاية» (٢٠٢/١٣).

(٣) «منهاج السنة» (٣٨/٣).

(٤) كان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الأموات، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية «البدية

والنهاية» (٢٠١/١٣).

العباسيين، وغير العباسيين، فهل يكون موالياً لآل رسول الله صلوات الله عليهم من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين؟! (١).

وقتل الخطباء والأئمة حملة القرآن، وتعطلت المساجد، والجماعات، مدة شهور ببغداد (٢).

وكان هدف ابن العلقمي: أن يزيل السنة بالكلية وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يبني للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم، فلم يقدره الله على ذلك، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة، وأتبعه بولده (٣).

٢- الدولة الصفوية:

في الدولة الصفوية- والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي- فرض تشيع الاثنا عشرية على الإيرانيين قسراً، وجعله المذهب الرسمي لإيران وكان إسماعيل قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق (٤)، ويشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر (٥)، ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم وسيلة لامتحان الإيرانيين، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع والأسواق وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح (٦)، ولقد أزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو، وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم علي الكركي (٧)، الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني والذي قربه الشاه طهماسب، ابن الشاه

(٢) «البداية والنهاية» (١٣/٢٠٣).

(١) «منهاج السنة» (٣/٣٨).

(٣) «البداية والنهاية» (١٣/٢٠٢، ٢٠٣).

(٤) «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق» لعلي الوردني ص (٥٦).

(٥) «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية»، كامل الشيبني ص (٤١٣).

(٧) المصدر نفسه (٣/١٤٧٦).

(٦) «أصول الشيعة الإمامية» (٣/١٤٧٥).

إسماعيل وجعله الأمر المطاع في الدولة، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال بأن كتابه (حق اليقين) كان سبباً في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين^(١)، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة؛ فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع^(٢).

ولا ينسى الجانب الآخر من أثر الدولة الصفوية، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية العثمانية، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسيسين، مع محاربتهم للسنّة وأهلها^(٣).

هذه بعض آثار دولهم وأفرادهم في هذا المجال، ومن كلمات ابن تيمية - رحمه الله - الخالدة والمهمة في هذا الموضوع والتي إذا طبقتها على الواقع، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ، رأيت صدقها كالشمس قوله - رحمه الله -: فليُنظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتناً وشرّاً، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشور وإيقاع الفساد بين الأمة^(٤)، ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشور العظيمة التي لا تشابهها فتن، إنما تخرج عنهم^(٥).

فمع من نتحد يا معشر أهل السنة؟ مع من يطعن في قرآننا ويفسره على غير تأويله، ويحرف الكلم عن مواضعه ويكفر الصديق والفاروق رضي الله عنهما وأم المؤمنين وأحب نسائه إليه عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة رضي الله عنهم ويخادع المسلمين باسم التقية!!^(٦).

(١) (٣، ٢) «أصول الشيعة الإمامية» (١٤٧٨/٢).

(٥) المصدر السابق (٣/٢٤٥).

(١) «عقائد الشيعة» لرونلدسن ص (٣٠٢).

(٤) «منهاج السنة» (٣/٢٤٣).

(٦) «مسألة التقريب» (٢/٢٨٠).

٣- من التجارب المعاصرة في التقريب :

أ - تجربة مصطفى السباعي :

بذل الدكتور مصطفى السباعي عدة مساع مع بعض علماء الشيعة في مسألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين، وكان يرى أن من أكبر العوامل في التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضاً وأن تصدر الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى التقارب، كما يرى عدم إصدار الكتب التي تثير ثائرة أحد الطرفين، وقام مصطفى السباعي بزيارة أحد مراجع الشيعة الكبار ومن يعتبر عندهم من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب والدعوة إلى توحيد الصف وجمع الكلمة، وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي، فلقبه متحمساً لهذه الفكرة ومؤمناً بها واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامي بين علماء السنة والشيعة لهذا الغرض، كما قام السباعي بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للعرض نفسه، وخرج من هذه الاتصالات فرحاً جداً؛ لحصوله على تلك النتائج، وما كان يخطر ببال السباعي رحمه الله أو يدور بخلده ما تنطوي عليه نفوس القوم من أهداف، وما يرمون إليه من وراء دعوة التقريب من خطط، حتى فوجئ السباعي - كما يقول - بعد فترة بأن هذا الموسوي المتحمس للتقريب، قام بإصدار كتاب في أبي هريرة رضي الله عنه مليء بالسباب والشتائم بل انتهى فيه إلى القول: بأن أبا هريرة رضي الله عنه كان منافقاً كافراً وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار^(١)، ثم يقول السباعي: لقد عجبت من موقف عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً؛ ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي^(٢)، ويذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب، هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس، مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة، وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب

(٢) المصدر السابق ص (١٠).

(١) «مسألة التقريب» ص (٩).

أسلافهم من تلك الروايات والأخبار^(١)، ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة^(٢)، ويذكر السباعي: أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك، ويتسترون وراء التقريب ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين في التقريب، ولكن كتاباً ككتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة، لا يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلًا لجهود الساعين إلى التقريب، ويقول: لست أحصر المثال بكتاب: (أبي هريرة) المذكور، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة، ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير مما يؤجج نيران التفرقة من جديد^(٣)، هذه تجربة الشيخ السباعي رحمه الله ومحاولته أفلست أمام تعصب شیوخ الشيعة، وإصرارهم في عدوانهم على خير جيل وجد في خير القرون^(٤).

لقد أصبح التقريب في مفهوم الشيعة الراضية، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار أهل السنة، وأن يستمروا في نيلهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وأن يسكت أهل السنة عن بيان الحق، وإن سمع الروافض الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين: إن الوحدة في خطر^(٥).

ب - تجربة الشيخ موسى جار الله:

هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا، فهو موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم

(١) «مسألة التقريب» ص (٩، ١٠).

(٤) «مسألة التقريب» (٢/١٩٨).

(٣) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» ص (١٠).

السوفيتي، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون على الثلاثين مليون نسمة، ثم هب عليه إعصار الشيوعية، فأصبح بعيداً عن دياره وأهله، له تأليف رسائل وكتب، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران، قال عن نفسه: كان بوسعي أن أجدو كاتب روسيا الأول، وأحد زعماء الطليعة فيها لو أنني تخليت عن إيماني، ولكنني أثرت أن أشتري الآخرة بالدنيا^(١).

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة، وأن يوحد أهل السنة والشيعة وبذل جهوداً في هذا الجانب عظيمة، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعتها باهتمام، كما يذكر أنه طالع «أصول الكافي وفروعه»، و«من لا يحضره الفقيه»، وكتاب «الوافي» و«مرآة العقول» و«بحار الأنوار» و«غاية المرام» وكتباً كثيرة غير هذه الكتب^(٢) ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها، ومدارسها ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجراتها، وأقام بالنجف أيام الحرم ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء، وخرج هذا العالم بنتيجة علمية، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها، هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها، وكان أوّل مساعيه في التقريب: لقاءه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران، وجرى بينهما بعض الحديث، ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة ٢٦/٨/١٩٣٤م، وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف، وأخرى إلى علماء الكاظمية، فكتب فيها:

أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام، بأمل الاستفادة بقلب سليم صادق، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام الشيعة الإمامية الطائفة المحقة -

(١) «مسألة التقريب» (٢٠١/٢).

(٢) «الوشية» ص (١٩)، و«مسألة التقريب» (١٩٩/٢).

يعني على زعمهم^(١) - وعامة أهل السنة والجماعة، راجياً إجابة الأساتذة جميعاً أو فرادى، وكل ببيانه البليغ، وبتوقيع يده مؤكداً بخاتمه، ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور منكرة، مشيراً إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره، فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الرافضة تحول بين الأمة والائتلاف مثل:

* تكفير الصحابة . اللعنات على العصر الأول .

* تحريف القرآن الكريم .

* حكومات الدول الإسلامية وقضاتها، وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة .

* كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة .

* الجهاد في كتب الشيعة مع غير الإمام المفترض طاعته حرام، مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير، ولا شهيد إلا في الشيعة، والشيعة شهيد ولو مات على فراشه والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون . ثم قال الشيخ بعدما نقل شواهد هذه المسائل من كتب الشيعة المعتمدة مخاطباً شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل، عقيدة الشيعة فيها يقين، فهل يبقى لتوحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل، وهذه عقيدة الشيعة؟ وهل يبقى بعد هذه المسائل، وبعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهلها من أثر؟ وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية، ولهم هذه العقيدة في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي؟ ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:

- رد الشيعة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشاد .

ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم في دين الإسلام .

- وما في كتب الشيعة من أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشيعة،

وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكفر من اتبعهما .

- وغلو الشيعة في التقية .

- ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة في كتب الشيعة مثل:
- أن النبي عليه السلام طلق عائشة، فخرجت من كونها أم المؤمنين.
 - أن القائم إذ يقوم يقيم الحد على عائشة رضي الله عنها انتقاماً لأمه ابنة النبي عليه السلام، فاطمة عليها وعلى أبيها وأولاده الصلاة والسلام.
 - أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.
 - ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العدا، وأن ما في كتب الشيعة من حكايات العدا بين الصديق والفاروق رضي الله عنهما، وبين علي كلها موضوعة.
 - وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية.
 - وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب عليها؛ لأنها تدين بولاية إمام عادل وذكر مسائل أخرى، ثم قال: فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين، فماذا كان جواب الشيعة على هذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشيعة؟ عرضاً على سبيل الاستيضاح عملاً بأمر الله في كتابه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جواباً من أحد إلا من كبير مجتهدي الشيعة بالبصرة قد قام بوظيفته وتفضل علي بكل أجوبته في كتاب نزيد صفحاته على تسعين بكلمات في الطعن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة، ثم كتب الشيخ موسى كتابه «الوشيعه في نقد عقائد الشيعة» بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة، ويقول: إنني أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضي به حقوق العصر الأول علي وعلى كل الأمة^(١).

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعه) وفي نصحه

لشيوخ الشيعة ، أن ذلك أول تديير في التأليف والتقريب ، فإن شيوخ الشيعة يرون أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفينًا ، ويستفزه مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز ، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل ، أن في ذلك فضحًا لأغراضهم ومآربهم ، وكشفًا لاستغلالهم لجمهور البسطاء من الشيعة دينيًا باسم النيابة عن المعصوم المنتظر ، وماليًا باسم خمس هذا المنتظر^(١) .

٤ - المنهج السليم للتقريب:

هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح ، المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع ، وكشف مؤامرات الشيعة الرافضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنة والرد على الشبهات الموجهة لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان ، ولا بد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الرافضة وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة ، وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد وأن يكون جهدًا جماعيًا مخططًا له .

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل ، وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفهم الإسلام الصحيح ، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت : كأمير المؤمنين علي وأبنائه وأحفاده من العلماء ، ولا بد من الوقوف في وجه المد التبشيري الرافضي الذي يشين لأهل البيت الأطهار- والذي ينشط اليوم بشكل قوي في العالم الإسلامي ، وفي أوروبا وأمريكا- حتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء ، ويعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يفرقوا .

وإذا كان لا يجدي مع بعض علماء الشيعة الرافضة الاحتجاج عليهم بالقرآن

(١) «مسألة التقريب» .

والسنة والإجماع، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة في ذلك، فلا يعني ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السنة وصحته، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله في تلك الأصول، فذلك سيحد من انتشار عقيدة الروافض بين أهل السنة بإذن الله تعالى.

وعلينا أن نبحث عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها، وهذا المنهج لم يسلكه علماءنا المتقدمون، الذين اهتموا بالرد على الروافض وتفنيد حججهم ودحض دعاواهم، ولعل السبب في ذلك، أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذبوع والانتشار وكانت موضع التداول الخاص بهم، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين ونسبت للمتقدمين، أو زيد عليها في العصور المتأخرة «الدولة الصفوية»، أيًا كان السبب هذا أو ذاك أو جميعاً فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت ودان بقدسيته وأمن بصحتها الكثير من الشيعة الرافضة، فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها، ويردون بها السنة الصحيحة بل نصوص الكتاب الظاهرة، بل منهم من يصدق أساطيرها التي تمس كتاب الله العظيم، وتزعم الوحي للأئمة وعلم الغيب، فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم وكشف ضلالهم من رواياتهم، ومنطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم^(١)، وقد قامت جهود مشكورة في هذا المجال وظهرت بعض الكتب: كـ«الإمامة والنص»، لفيصل نور، «ثم أبصرت الحقيقة» لمحمد سالم الخضر، و«أصول الشيعة الإمامية الاثنا عشرية»، للدكتور ناصر عبد الله بن علي القفاري، و«دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين» للدكتور أحمد جلي. إن هذا المسلك ينبغي أن يدرس بعناية واهتمام، فإن القارئ لكتب الشيعة يتلمس خيوطاً بيضاء وسط ركام هائل من الضلال، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحقة للأئمة الموافقة للكتاب والسنة الصحيحة من الضياع والتيه الذي يعيشونه، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب^(٢)، كما أنه ينبغي التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية

(١) «مسألة التقريب» (٢/ ٢٨٢، ٢٨٣).

(٢) «مسألة التقريب» (٢/ ٢٩٦).

الصادقة، واحترامهم وتقديرهم، والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم، كالذي قام به السيد حسين الموسوي في كتابه: (لله ثم للتاريخ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار)، وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتابه: (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه)، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت، يقتفي آثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات^(١)، وأن كل واحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف رضي الله عنهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أولى بالاتباع، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا^(٢)، وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسناها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها^(٣)، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم، قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضي الله عنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً في حياتهم، أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم^(٤) وزيارة القبور أياً كانت سنة مشروعة بالكيفية الماثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشيد القبور وسترها، والتمسح بها، والحلف بغير

(١) «النهج المبين لشرح الأصول العشرين» د. عبد الله الوشلي ص (١٢٦).

(٢) «النهج المبين لشرح الأصول العشرين» د. عبد الله الوشلي، ص (١٥٧).

(٣) المصدر نفسه ص (٢٤٣). (٤) المصدر نفسه ص (٢٥٩).

الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة^(١)، والعرف الخاطيء لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها والوقوف عندها، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء^(٢) والإسلام يحزر العقل، وَيَحْتُ عَلَى النظر في الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها، فهو أحق الناس بها^(٣)، ولا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين، وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض، برأي أو معصية، إلا أن يكون أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يتحمل تأويلاً غير الكفر^(٤).

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عموماً على فهم الإسلام الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهج أهل السنة والجماعة، الذي أصل لأصوله رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدون المهديون، ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السنة ليس عندهم بدع بحمد الله، ومستندهم القرآن والسنة الصحيحة ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك، مما قد يجعل الدين عرضة للمساومة، أما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشيء الكثير، لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى، والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدي أمير المؤمنين علي وعلماء أهل البيت رضي الله عنهم جميعاً.

وذكر العلماء: أن أهل السنة عليهم إنكار بدع المبتدعة وإن كان المبتدع متعبداً بها معتقداً صوابها، ولا بأس أن نقيد إنكارنا على هذه البدع بالقيد المصلحي

(١) «النهج المبين لشرح الأصول العشرين» د. عبد الله الوشلي ص (٢٧٩).

(٢) المصدر نفسه ص (٣٠٥). (٣) المصدر نفسه ص (٣٢٣). (٤) المصدر نفسه ص (٣٤٣).

وفق قاعدة الترجيح بين المفسد ، والمصالح المتعارضة ؛ بأن نحتمل المفسدة اليسيرة من أجل درء المفسدة الكبيرة ، ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصاً على جلب المعروف الأكبر ، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء ، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة في وقت من الأوقات أو في مكان من الأماكن سداً للذريعة وخروجاً عن أصل الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والاقتيال بين أهل بلد يتكافؤ فيه عدد الشيعة مع عدد أهل السنة ، وأما في الأحوال الاعتيادية التي لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساعاً أو واجباً^(١) .

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشة بدع المبتدعة ، وأن يترفقوا معهم وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها ، أو نجاتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم ، وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد ، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث ، لا يمكن أن يطرد دائماً ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء ، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد ، والأقوال الشاذة في كل الأحوال ، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي نترفق معها في الكلام ، والثانية التي نغلظ لها الكلام إنما يكون كامناً في مدى اعتماد القائل على نص شرعي يتكون من شبهة له ، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان ، وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار من تجاهه أولى ، وربما كان الإغلاظ له أوجب^(٢) .

إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية ، هم الذين يقدرون المواقف السياسية ، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد ، الذي تضبطه قواعد السياسة الشرعية ، وهذا لا يمنع العلماء

(١) «سالة التقريب» (٢/ ٣٦٠) .

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٣٦١) .

والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة، التي يجتهد دعائها في نشرها بالليل والنهار والسر والإعلان، بدون ملل ولا كلل، ولقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم؛ حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها.



المبحث الرابع

الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه أولاً: في أعقاب النهروان :

كان قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلاً قوياً، وحجة ظاهرة على أنه مصيب في قتاله لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»^(١).

فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة في قتال أهل الشام لما يتقن لديهم بهذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، إلا أنه بالرغم من ذلك فإن الذي حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التي رسمها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هي الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج؛ لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه، وغاية يسعى إلى الوصول إليها، وما حربه للخوارج إلا تأمينا للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن في العراق من الذراري في أثناء غيابه - كما ذكر ذلك في خطبته - ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن؛ إذ لم يستطع رضي الله عنه غزو الشام حتى استشهد^(٢)، فلقد كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان، تسببت في ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة حرب أهل الشام في صفين؛ فإن حربهم ليست كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يتمت الأطفال ورملت النساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم، وتميل إليه نفوسهم وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق^(٣)، ومن العضلات التي

(١) «مسلم» (٢/٧٤٥، ٧٤٦).

(٢، ٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص (٣٤٥).

أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، خروج فرقة تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرؤون من علي ويكفرونه^(١)، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئاً وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش علي فقط^(٢)، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه - كما بينا - بحزم وقوة، ولاشك أن مباينة الخوارج وقتالهم أضعف جانب علي كثيراً، ثم تتابعت الفتوق على علي من بعد، فخرج الخريت بن راشد، وقيل: اسمه الحارث بن راشد في قومه من بني ناجية، وكان من ولاية علي على الأهواز، فدعا إلى خلع علي، فأجابه خلق كثير واحتوى على البلاد وجبى الأموال، فبعث إليه علي جيشاً بقيادة معقل بن قيس الرياحي فهزمه وقتله^(٣)، وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج، وانتفض أهل الأهواز، ولا بد أن علياً واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روي عن الشعبي في هذا الخصوص قوله: لما قتل علي[ؑ] أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانتفضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمي البصرة، وانتفض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج في كسره، وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فارس^(٤).

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بثتى الوسائل سراً وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف، فأرسل جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه سيطر عليها وضمها إليه وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

* انشغال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالخوارج.

* عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مصر - محمد بن أبي بكر - لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي

(١) «نظام الخلافة في الفكر الإسلامي» لمصطفى حلمي ص (١٥، ١٦).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد علي ص (٣٥٠).

(٣) «تاريخ الطبري» (٦/٢٧ - ٤٧).

(٤) «تاريخ الطبري» (٦/٥٣).

الأنصاري، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق فهزموه.

* اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان رضي الله عنه في مصر في الرأي، فساعده في السيطرة عليها^(١).

* بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقربها من الشام.

* طبيعتها الجغرافية فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتداداً طبيعياً، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية رضي الله عنه، قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوثة إلى شمال الجزيرة العربية، ومكة والمدينة وإلى اليمن ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردت على أعقابها عندما أرسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من يصددها^(٢)، وعمل معاوية رضي الله عنه على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علي رضي الله عنه، فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه عامل علي في مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي رضي الله عنه ومستشاريه فيه فعزله^(٣)، وكان عزل سعد بن قيس مكسباً كبيراً لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل علي رضي الله عنه على فارس ففشل في ذلك^(٤)، وقد استطاع معاوية رضي الله عنه أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعددهم به، ولما يرونه من علو أمر معاوية وتفرق أمر علي رضي الله عنه؛ إذ يقول في إحدى خطبه: ألا إن بسراً قد أطلع من قبل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقتكم عن حركم وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، استعملت فلائناً ففعل وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلائناً فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم إني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرحني منهم^(٥).

(١) «مصنف عبد الرزاق»، و«الطبقات» لابن سعد (٣/٨٣)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص

(٢٣٥١) سند صحيح.

(٢) «تاريخ خليفة» ص (١٩٨) بدون سند.

(٤) «الاستيعاب» (٢/٥٢٥، ٥٢٦).

(٣) «ولاة مصر» ص (٤٥، ٤٦).

(٥) «التاريخ الصغير» للبخاري (١/١٢٥) بسند منقطع وله شواهد.

ثانياً: استنهاض أمير المؤمنين علي همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية رضي الله عنه:

لم يستسلم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل، فقد بذل جهده في استنهاض همة جيشه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصاحة وبيان، فخطبه الحماسية المشهورة التي اشتهرت عنه، وتعتبر من عيون التراث لم يقلها من فراغ أو خيال، بل مرّ تجرعه وواقع أليم عاصره، فمن خطبه التي قالها لما أغير على أطرافه قال: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجنته^(١) الوثيقة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماء^(٢)، وضرب على قلبه بالأسداد^(٣)، وأدب^(٤) الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف^(٥) ومنع النصف^(٦). ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم^(٧) إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، حتى شنت عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان، وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار^(٨)، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها^(٩)، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة^(١٠)، فيتنزع حجلاًها وقلبها وقلائدّها ورعاثها^(١١)، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع^(١٢)، والاسترحام، ثم

(١) الجنة بالضم: الوقاية.

(٢) ديث: ذلّ، الصغار: الذل والصغر، والقماء: الذل والصغار.

(٣) الأسداد: الحجب التي تحجب عنه الهدى والرشاد.

(٤) أدب الحق منه: تحوّل الأمر عنه إلى الحق فألّت به الكوارث.

(٥) سيم الخسف: أصبح محلّ الإذلال والمهانة.

(٦) منع النصف: النصف: العدل أي حرم العدل.

(٧) عقر الدار: وسطها وأصلها، وتواكلتم: وكل واحد منكم أمر الجهاد إلى الآخر.

(٨) الأنبار: بلدة شرقي الفرات.

(٩) مسالح: جمع مسلحة وهي الثغر.

(١٠) المعاهدة: الذمية وهي غير المسلمة المقيمة في بلاد المسلمين.

(١١) الحجّل: الخلل، والقلب: السوار، الرّعات: جمع رعنة وهو القرط.

(١٢) الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء.

انصرفوا وافرین^(١)، ما نال رجل منهم كلمٌ ولا أريق له دم، فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي جديراً.

فيا عجباً والله يُميتُ القلب ويَجلبُ الهمَّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حَقِّكم فقبحاً لكم وترحاً^(٢) حين صرتم غرضاً يُرمى، يُغار عليكم ولا تُغيرون، وتغزون ولا تُغزون، ويعصى الله وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرِّ قلتُم: هذه حمارة القيظ^(٣)، أمهلنا يسبِّح عتاً الحرِّ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلتُم: هذه صبارة القرِّ^(٤)، أمهلنا ينسلخ عتاً البرد، كل هذا فراراً من الحرِّ والقرِّ، فإذا كنتم من الحرِّ والقرِّ تفرّون فإذا أنتم والله من السيف، أفرُّ يا أشباه الرجال ولا رجال^(٥)، حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال^(٦)، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرّت ندماً، وأعقت سدماً^(٧)، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً^(٨)، وشحتتم صدري غيظاً، وجرّتموني نغبَ التّهام أنفاساً^(٩)، وأفسدتهم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب.. لله أبوهم، وهل أحد منهم أشدُّ لها مراساً مني^(١٠)، وأقدم فيها مقاماً مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا ذا قد ذرّفتُ على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع^(١١).

(١) وافرین: تامين لم ينقص عددهم. الكلم: الجرح.

(٢) ترحاً: همماً أو حزناً أو فقراً.

(٣) القيظ: الحر: حمارة القيظ: شدته، ويسبخ: يخفف.

(٤) صبارة القر: شدة البرد، القر: البرد.

(٥) يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.

(٦) حلوم: عقول، ربّات الحجال: كناية عن النساء.

(٧) سدماً: الهم المشوب بالأسف والغيظ.

(٨) القيح: ما في القرحة من الصديد، شحتتم صدري: ملأتموه.

(٩) النغب: جمع نغبة (كجرعة): الجرعة، والتّهام: الهم.

(١٠) المراس: المعالجة والمزاولة والمعاناة.

(١١) «البيان والبيان» للجاحظ ص (٢٣٨، ٢٣٩).

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قذائف ساخنة فوق رؤوس أولئك القوم، الذين حرموه من قطف ثمار جهاده وتحقيق النصر الذي كان يسعى له، وقد صاغها بأسلوب أدبي رائع، يهز بعباراتها المشاعر، ويحرك بألفاظها مكامن النفوس، بعيداً عن الغموض والإيهام، كما أنها خالية من السجع والصناعة اللفظية^(١).

إن الخطب التي تثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وأعني بها التي تتحدث عن خلافته، تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهري لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضي الله عنه تجاه ما يلاقه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهروان، ولكن معظم الخطب التي نسبت إليه رضي الله عنه لا تصح، فعدد من العلماء يقولون عن خطب علي رضي الله عنه في نهج البلاغة إنها من تأليف ووضع الشريف الرضي^(٢). فلا بد من إعمال منهج نقدي دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدراً تاريخياً.

ومن ناحية أخرى أخذ علي رضي الله عنه يذكر أصحابه بفضائله، ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثنا عدد من شهود عيان، أن علياً رضي الله عنه ناشد الناس في الرحبة من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم: «ألستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من وآله و عاده من عاده»، فقام اثنا عشر رجلاً - وفي رواية - ستة عشر رجلاً فشهدوا بذلك^(٣)، وهذا يذكرنا بعثمان رضي الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام أهكذا يكون جزاؤه؟ مع اختلاف المناسبات، وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضي الله عنه أن يحقق ما يريد؛ إذ لم يستطع أن يغزو الشام بسبب التفكك والتصدع الذي حدث في داخل جيشه وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء، فاضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنة أربعين للهجرة أن يوافق

(١) «الأدب الإسلامي»، لنايف معروف ص (٥٩).

(٢) «ميزان الاعتدال» (١٢٤/٣)، وله نقد جيد في هذا الموضوع، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (٣٥٥).

(٣) «فضائل الصحابة» (٧٠٥/٢) إسناده صحيح.

لمعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه على أن يكون العراق له ، والشام لمعاوية ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو^(١) ، قال الطبري في تاريخه : وفي هذه السنة - ٤٠ هـ - جرت بين علي وبين معاوية رضي الله عنه المهادنة - بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهما ، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام ، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو^(٢) .

ثالثاً: دعاء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الله عز وجل أن يعجل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه معاوية ، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر ، فمعاوية أرسل بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن في العام الذي استشهد فيه علي رضي الله عنه^(٣) ، ولما لم يتمكن علي رضي الله عنه من تجهيز الجيش بما يصبو ويريد ورأى خذلانهم كره الحياة وتمنى الموت ، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته ، فمما روي عنه أنه خطب يوماً فقال : اللهم إني قد سئمتهم وسئمونني ، ومللتهم وملونني ، فأرحني منهم وأرحهم مني ، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم ، ووضع يده على لحيته^(٤) ، وقد ألح علي رضي الله عنه في الدعاء في أيامه الأخيرة ، فعن جندب قال : ازدحموا على علي رضي الله عنه ، حتى وطئوا على رجله فقال : اللهم إني قد مللتهم وملونني وأبغضتهم وأبغضوني ، فأرحني منهم وأرحهم مني^(٥) .

وفي رواية أخرى عن أبي صالح قال : شهدت علياً وضع المصحف على رأسه حتى سمعت تققع الورق ، فقال : اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني ، اللهم إني قد مللتهم وملونني ، وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير أخلاقي ، فأبدلهم بي شراً مني ، وأبدلني بهم خيراً منهم ومث قلوبهم ميثه الملح في الماء^(٦) .

(١) «خلافة علي بن أبي طالب» ، لعبد الحميد ص (٣٥٦) . (٢) «تاريخ الطبري» (٦ / ٥٦) .

(٣) «التاريخ الصغير» للبخاري (٤١/١) ، و«خلافة علي بن أبي طالب» ، لعبد الحميد ص (٤٣١) .

(٤) «مصنف عبد الرزاق» (١٥٤/١٠) بإسناد صحيح ، و«الطبقات» (٤/٣) بإسناد صحيح .

(٥) «الأحاديث الثماني» لابن أبي عاصم (٣٧/١) بإسناد حسن ، و«خلافة علي» ص (٤٣٢) .

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٣/١٤٤) .

وفي رواية فلم يلبث إلا ثلاثاً أو نحو ذلك، حتى قتل رحمه الله^(١)، وقال الحسن ابن علي: قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله سنح لي الليلة في منامي، فقلت: يارسول الله صلّى الله عليه وآله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد^(٢)؟ قال: «ادع عليهم» قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني لهم. قال الحسن رضي الله عنه: فخرج فضربه الرجل^(٣).

رابعاً: علم أمير المؤمنين رضي الله عنه بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبي صلّى الله عليه وآله التي تعد من دلائل نبوته صلّى الله عليه وآله إخباره بأن علياً سيكون من الشهداء؛ فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان على حراء، هو صلّى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»^(٤).

وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن علياً سيستشهد بأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضاً، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد صلّى الله عليه وآله، وبأنه لا ينطق عن الهوى وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجل عليه عن طريق الوحي، وقد أطلع النبي صلّى الله عليه وآله علياً على ما سيحدث له، وقد آمن علي بذلك وأيقن، فكان يتحدث للناس بذلك، فمما حدث من ذلك في العراق، إذ يروي عنه أبو الأسود الدؤلي، يقول أبو الأسود: سمعت علياً يقول: أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف، فقال علي: وايم الله لقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله قبله يقوله، قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه^(٥)، وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه

(١) «المجن» ص (٩٩) لأبي العرب، و«خلافة علي»، لعبد الحميد ص (٤٣٢).

(٢) الأود: العوج، اللدد: الخصومة.

(٤) «مسلم» (٤/١٨٨٠).

(٣) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٤٩).

(٥) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» للذهبي ص (٦٤٨).

الخلافة من عاده في مرضه وهو أبو فضالة الأنصاري البدري رضي الله عنه ؛ إذ قال علي رضي الله عنه : إني لست ميتاً في مرضي هذا، أو من وجعي هذا، إنه عهد إلي النبي صلوات الله عليه أني لا أموت حتى تخضب هذه - يعني لحيته - من هذه ، يعني هامته^(١) ، وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتابه (دلائل النبوة)^(٢) ، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية»^(٣) ، وعن عبد الله بن داود قال : سمعت الأعمش ، عن سلمة بن سهيل عن سالم بن أبي جعدة ، عن عبد الله بن سبيع قال : سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول : ما ننتظر إلا شقياً، عهد إلي رسول الله صلوات الله عليه لتخضبن هذه من دم هذا، قالوا : أخبرنا بقاتلك حتى نبير عترته . قال : أنشد الله رجلاً قتل بي غير قاتلي^(٤) ، وقد تمثل رضي الله عنه بأبيات شعر فقال :

أَشَدُّ حَيَاةً لِمَمَاتٍ
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَأَقْبِيكَ
وَلَا تَجْزَعُ مِنَ الْقَتْلِ
إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ^(٥)

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا؛ إذ تفيد أن علياً رضي الله عنه يعرف هذا الشقي الذي سيقته، فيروي عبدة السلماني - بسند صحيح إليه - يقول : كان عليٌّ إذا رأى ابن ملجم قال :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي
عُذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِي^(٦)

(١) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٣٣) طرق الرواية صحيحة بمجموعها .

(٢) «دلائل النبوة» (٦/٤٣٨ - ٤٤١)، تحقيق : عبد المعطي قلعجي .

(٣) «البداية والنهاية» (٧/٣٢٣ - ٣٢٥) .

(٤) «كتاب الشريعة» للأجري (٤/٢١٠٥) تحقيق : الدميحي ، إسناده حسن .

(٥) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» للذهبي ص (٦٤٨) .

(٦) «طبقات ابن سعد» (٣/٣٣ ، ٣٤) إسناده صحيح .

وفي رواية أخرى: قال علي رضي الله عنه عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد^(١)، وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم بأنه مقتول فاعتذر عن ذلك، فعن عبد الله بن سبع، قال: سمعت علياً يقول: لتُخضبنَّ هذه من هذا، فما ينتظر بي الأشقي؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نُبير عترته^(٢)، قال: إذن تالله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا: فاستخلف علينا. قال: لا ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالوا: فما تقول لربك إذا أتيت؟ - وقال وكيع مرة: إذا لقيته؟ - قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم^(٣).

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق عليه السلام يقول: «إنك ستضرب ضربة ههنا - وأشار إلى صدغيه - فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود»^(٤).

خامساً: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر:

لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزد الأيام والليالي إلا إيلاً وحسرة، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان وأجمع أهل السير والمؤرخون على ذكر رواية مشهورة^(٥) لا تسلم من انتقادات؛ لاحتوائها على عناصر متضاربة وأخرى مختلفة، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت - مثل غيرها - إلى إضافات وزيادات في الفترات المتأخرة، ويبدو من خلال المصادر

(١) «الاستيعاب» (١٢٧/٣).

(٢) «مسند أحمد» (٣٢٥/٢) الموسوعة الحديثية حسن لغيره.

(٤) «خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» ص (١٦٣ - ١٦٤)، حكم المحقق أحمد ميرين البلوشي - رحمه الله - على هذه الرواية بالصحة.

(٥) «الطبقات» لابن سعد (٣/٣٥)، و«تاريخ الطبري» (٦/٥٨ إلى ٦٦) بسند منقطع، و«مروج الذهب» (٢/٤٢٣)، و«الطبراني الكبير» (١/٥٥ - ٥٨)، و«مجمع الزوائد» (٦/٢٤٩)، و«تاريخ الإسلام»، و«الخلفاء الراشدون» للذهبي ص (٦٤٩)، و«وفيات الأعيان» (٧/٢١٨)، و«البداية والنهاية» (٧/٣٢٥).

والدراسات أن هناك إجماعاً على أن عملية قتل علي تمت على أيدي عناصر خارجية، انتقاماً لضحايا معركة النهروان، أما بقية المعلومات الخاصة بالعملية مثل قصة الحب بين ابن ملجم وقطام، والدور المزعوم للأشعث الكندي - وسيأتي بيان براءته بإذن الله لاحقاً - وغيرها فيصعب قبولها والتصديق بها، وإليك تفصيل مقتله ﷺ:

١ - اجتماع المتآمرين:

كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا، فذاكروا أمر الناس، وعابوا علي ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهروان، فترحموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً، لإخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب - وكان من أهل مصر - وقال البرك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان، أن يثبت كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب^(١).

٢ - خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشحنة:

فأما ابن ملجم المرادي فكان عداده في كندة، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهروا شيئاً من أمره؛ فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تيم الرباب - وكان علي قتل منهم يوم النهروان - فذكروا قتلاهم، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قطام ابنة الشحنة وقد قُتل أبوها وأخوها يوم

(١) «تاريخ الطبري» (٥٩/٦).

النهر، وكانت فائقة الجمال - فلما رآها التبست بعقله، ونسي حاجته التي جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي، قال وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب، قال: هو مهر لك، فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريدني قالت: بلى التمس غرته؛ فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنتك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها. قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي، فلك ما سألت، قالت: إني أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: «وردان» فكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئاً إداً، كيف تقدر على عليّ، قال: أكمّن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، قال: ويحك لو كان غير عليّ لكان أهون عليّ، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي صلّى الله عليه وآله وما أجدني أنشرح لقتله. قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه فجاؤوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة، فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل عليّ، قالت: فإذا أردتم فأتوني، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها عليّ سنة ٤٠ هـ فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسياهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف، فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له: عويمر، وفي يد شبيب السيف، فأخذه، وجثم عليه

الحضرمي، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه، وسيف شبيب في يده، خشي على نفسه، فتركه، ونجا شبيب في غمار الناس، فشدوا على ابن ملجم، فأخذوه إلا أن رجلاً من همدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله، فصرعه، وتأخر علي، ورفع في ظهره جعدة ابن هبيرة بن أبي وهب، فصلى بالناس الغداة، قال علي: علي بالرجل، فأدخل عليه، ثم قال: أي عدو الله، ألم أحسن إليك؟ قال: بلى، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، فقال علي رضي الله عنه: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلقه (١).

٣ - محمد بن الحنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي:

قال ابن الحنفية: كنت والله وإني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثيرين من أهل مصر، يصلون قريباً من السدة، ما هم إلا قيام وركوع وسجود، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره؛ إذ خرج علي للصلاة الغداة، فجعل ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فما أدري أخرج من السدة، فتكلم بهذه الكلمات أم لا، فنظرت إلى بريق، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فرأيت سيفاً، ثم رأيت ثانياً، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل جانب. قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي، فدخلت فيمن دخل من الناس، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي (٢).

وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه؛ إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله، لا بأس على أبي، والله مخزبك، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف، وسمّته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل مصر ما بقي منهم أحد (٣).

٤ - وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشورى:

عن عبد الله بن مالك، قال: جُمع الأطباء لعلي عليه السلام يوم جرح، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السَّكُونِي، وكان صاحب كسرى يتطبَّب، فأخذ أثير رئة شاة حارة، فتبَّع عِرْقًا منها، فاستخرجه فأدخله في جراحة علي، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإنك ميت^(١).

وذكر أن جندب بن عبد الله دخل على علي فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، إن فقدناك - ولا نفقدك - فنباع الحسن؟ قال: ما أمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر^(٢).

٥ - وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين عليهما السلام:

دعا أمير المؤمنين علي حسنًا وحسينًا، فقال: أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمد بن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك^(٣)؟ قال نعم، قال: فإني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك؛ لعظيم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما. ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه، وقال للحسن: أوصيك أي بُني بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء؛ فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش^(٤).

فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا؛ فإني سمعت أبا القاسم يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»، وانظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تُعنوا أفواههم، ولا يضيعن بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ، ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه، والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة؛ فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة؛ فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم؛ فإن رسول الله ﷺ أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم، كيفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّي الأمر أشراككم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتبادل، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم. أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله ثم لم ينطق إلا (بلا إله إلا الله) حتى قبض ﷺ في شهر رمضان سنة أربعين^(١)، وجاء في

(١) «تاريخ الطبري» (٦/٦٤).

رواية أنه قتل في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان^(١)، وتحمل هذه الرواية على اليوم الذي فارق فيه الدنيا؛ لأنه بقي ثلاثة أيام بعد أن ضربه الشقي^(٢).

٦ - نهي أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله:

فقد قال عليه السلام: احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص^(٣).

وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره؛ فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت^(٤)، وفي رواية أخرى زيادة، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين^(٥)، وقد كان علي ينهى الحسن عن المثلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين، تقولون: قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين، ألا لا يُقتلن، انظر يا حسن، إن مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل؛ فإني سمعت رسول الله صلوات الله عليه يقول: «إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور»^(٦).

وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت، منها الصحيح ومنها الضعيف، فالرواية التي فيها أمر علي عليه السلام بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد فكلها فيها أمر علي عليه السلام بقتل الرجل إن مات من ضربته ونهاهم عما سوى ذلك، فهذه الروايات يعضد بعضها بعضاً، وتنهض للاحتجاج بها، هذا من جهة، كما أن أمير المؤمنين علي لم يجعله مرتدًا، فيأمر بقتله، بل نهاهم عن ذلك لما هم بعض المسلمين بقتله وقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئت فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه^(٧).

(١) «التاريخ الكبير» للبخاري (٩٩/١) بسند صحيح.

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٣٩).

(٣) «فضائل الصحابة» (٥٦٠/٢) بسند حسن.

(٤) «المحن» لأبي العرب ص (٩٤) للذهبي، و«خلافة علي بن أبي طالب» ص (٤٣٩).

(٥) «الطبقات» (٣٥/٣)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي.

(٦) «تاريخ الطبري» (٦٤/٦).

(٧) «منهاج السنة» (٢٤٥/٥) (٤٠٥/٧)، و«منهج ابن تيمية في مسألة التكفير» ص (٣٠٩).

وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض علي رضي الله عنه بعث الحسن إلى ابن ملجم، فقال للحسن: هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما، فإن شئت خليت بيني وبينه، ولك الله علي إن لم أقتله - أو قتلته ثم بقيت - أن آتيك حتى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: أما والله حتى تعاین النار ثم قدمه فقتله^(١)، ثم إن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار، ولكن هذه الرواية منقطعة^(٢).

والصحيح من الروايات والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت، أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن بن ملجم ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبوارى، فقال محمد ابن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعونا نشتف منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك، وجعل يقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق: ١ حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقطع، فجزع، فقليل له في ذلك. فقال: ما ذاك بجزع ولكني أكره أن أبقى في الدنيا فؤاقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه، وكان أسمر، حسن الوجه، أفلج، شعره من شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السجود^(٣).

وقال الذهبي عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل علي رضي الله عنه، خارجي مُقتَرٍ، .. شهد فتح مصر، واختط بها مع الأشراف، وكان ممن قرأ القرآن والفقه، وهو أحد بني تدول وكان فارسهم بمصر، قرأ القرآن على معاذ بن جبل، وكان من العباد، ويقال: هو الذي أرسل صبيغاً التميمي إلى عمر رضي الله عنه فسأله عما سأله من مستعجم القرآن .. إلى أن قال الذهبي: ثم أدركه الكتاب، وفعل ما فعل،

(١) «تاريخ الطبري» (٦/٦٤).

(٢) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٤٠).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٣/٣٩)، و«الأخبار الطوال» ص (٢١٥).

وهو عند الخوارج من أفضل الأمة، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطان الخارجي:

يَا ضَرْبَةَ مَنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
إِنِّي لِأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسِبُهُ
أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيْزَانًا

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجو له النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنه، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه، وحكمه حكم قاتل عثمان وقاتل الزبير، وقاتل طلحة، وقاتل سعيد بن جبير، وقاتل عمّار وقاتل خارجة، وقاتل الحسين، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل^(١).

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضُرب فيها علي قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه، فوقع السيف في إليته، فأخذ، فقال: إن عندي خيراً أسرك به، فلإن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخاً لي قتل علياً في مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى؛ إن علياً يخرج ليس معه من يحرسه، فأمر به معاوية فقتل، وبعث معاوية إلى الساعدي - وكان طبيياً - فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة، فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد، وتبرأ منها؛ فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني، فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد، وأما عمرو بن بكر فجلس لعمر بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة،

(١) «تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» ص (٦٥٤).

وكان صاحب شرطته، وكان من بني عامر بن لؤي، فخرج ليصلي، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو، فضربه فقتله، فأخذته الناس، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو. قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، فقدمه عمرو فقتله^(١).

٧ - مدة خلافة أمير المؤمنين علي، وموضع قبره وسنّه يوم قتل:

كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خياط، أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، ويقال: ثلاثة أيام، ويقال: أربعة عشر يوماً^(٢)، والذي يظهر أنها أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام؛ وذلك لأنه بويح بالخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام خمس وثلاثين، وكانت وفاته شهيداً في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة^(٣).

وقد تولى غسل أمير المؤمنين علي عليه السلام الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص^(٤)، وصلى عليه الحسن بن علي عليه السلام، فكبر عليه أربع تكبيرات^(٥)، وفي رواية دون إسناد: كبر عليه تسع تكبيرات^(٦).

وأما موضع قبره، فقد اختلف فيه، وذكر ابن الجوزي عدداً من الروايات في ذلك ثم قال: والله أعلم أي الأقوال أصح^(٧)، ومن الروايات التي جاءت في هذا الشأن ما يلي:

* أن الحسن بن علي عليه السلام دفنه عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر^(٨).

(٢) «التاريخ» ص (١٩٩).

(١) «تاريخ الطبري» (٦/٦٥).

(٤) «المنتظم» (٥/١٧٥)، و«الطبقات» (٣/٣٧).

(٣) «التاريخ الكبير» للبخاري (١/٩٩) بسند صحيح.

(٦) «المنتظم» (٥/١٧٥).

(٥) «الطبقات» (٣/٣٣٧، ٣٣٨).

(٧) «المنتظم» (٥/١٧٨).

(٨) «الطبقات» (٣/٣٨)، و«خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٤١).

* ورواية مثلها، أنه دفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً وعمي موضع قبره^(١).

* رواية تذكر أن ابنه الحسن رضي الله عنه نقله إلى المدينة^(٢).

* رواية تذكر أن المشهد الذي بالنجف هو قبر علي رضي الله عنه، وأنكرها بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعي قاضي الكوفة (ت ١٧٨هـ) ومحمد ابن سليمان الحضرمي (ت ٢٩٧هـ)^(٣) وفي الحقيقة إن ابتداء ما يسمى مشهد علي رضي الله عنه ، بالنجف كان أيام بني بويه في عهد الدولة العباسية وكانوا من الشيعة الروافض، وقد صنع الشيعة ذلك على عاداتهم في القرن الرابع، وأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي رضي الله عنه بل قيل: هو قبر المغيرة بن شعبة، قال ابن تيمية: وأما المشهد الذي بالنجف، فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي رضي الله عنه بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي رضي الله عنه ولم يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم، وحكمهم بالكوفة إنما اتخذ ذلك مشهداً في ملك بني بويه - الأعاجم - بعد موت علي رضي الله عنه بأكثر من ثلاثمائة سنة^(٤)، وقال: وأما مشهد علي فعامة العلماء على أنه ليس قبره، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة؛ وذلك أنه إنما أظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي رضي الله عنه في إمارة بني بويه^(٥).

واختلف في سنه يوم قتل، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة، وقيل: وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل: وهو ابن ثلاث وستين سنة، وذلك أصح ما قيل فيه^(٦).

٨ - خطبة الحسن بن علي رضي الله عنه بعد مقتل أبيه:

عن عمرو بن حُبْنَشِي، قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه،

(١) «المنتظم» (١٧٧/٥)، و«تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء» ص (٦٥١).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٣٧/١).

(٣) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٤٤١).

(٤) «الفتاوى» (٥٠٢/٤)، و«دراسات في الأهواء والفرق والبدع» ص (٢٨٠).

(٥) «الفتاوى» (٤٤٦/٢٧). (٦) «تاريخ الطبري» (٦٧/٦).

فقال: لقد فارقتكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ولا أدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه ويعطيه الراية فلا ينصرف^(١) حتى يُفتح له، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله^(٢).

٩ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على علي رضي الله عنه:

عن ربيعة الجُرشي: أنه ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص فقال له سعد: أتذكر علياً، إن له مناقب أربعاً لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من كذا وكذا، وذكر حُمَرَ النعم وقوله صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية»، وقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٣). ونسي سفیان واحدة.

١٠ - عبد الله بن عمر يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان رضي الله عنه، فذكر من محاسن عمله، قال: لعلّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن عليّ فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: لعلّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك انطلق، فاجهد على جهدك^(٤).

١١ - استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنه:

ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية رضي الله عنه جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدريين ما فقدت الناس من الفضل والفقهِ والعلم^(٥)، وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعني عنك^(٦)، وقد طلب

(١) فلا ينصرف: فلا يرجع.

(٢) «فضائل الصحابة» (٧٣٧/٢) إسناده صحيح.

(٣) «فضائل الصحابة» (٧٩٨/٢) إسناده حسن. (٤) «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» للعدوي ص (١٤٠).

(٦) «الاستيعاب» (١١٠٨/٣).

(٥) «البداية والنهاية» (١٣٣/٨).

معاوية رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصّدائى أن يصف له علياً رضي الله عنه، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنّه، قال: أما إذ لأبد من وصفه فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً^(١)، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، ويستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استبأناه، ونحن والله - مع تقريبه إيانا وقربه منا - لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويُقرب المساكين، لا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد أنه لقد رأيتَه في بعض مواقفه - وقد أرخى الليل سدوله^(٢)، وغارت نجومه - قابضاً على لحيته، يتململ تملل السقيم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرِّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّفت! هيهات هيهات، قد بايتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك كثير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق. فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها^(٣)، وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأبا بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتني بعلي ومعاوية فأدخلا بيتاً وأجيف^(٤) الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة^(٥). وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فلا داعي لدخولك أنت بينهما رضي الله عنهما^(٦).

(١) سدوله: سدلته.

(٢) أجيف الباب: ردّ وأغلق.

(٣) المصدر نفسه (٨/١٣٣).

(١) «الاستيعاب» (٣/١١٠٧).

(٣) «الاستيعاب» (٣/١١٠٨).

(٥) «البداية والنهاية» (٨/١٣٣).

١٢ - ما قاله الحسن البصري، رحمه الله:

سئل الحسن البصري - رحمه الله - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة، وذا فضلها، وذا سابقتها، وذا قرابتها من رسول الله صلوات الله عليه، لم يكن بالنؤومة^(١) عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمها ففاز منه برياض مؤنقة؛ ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢).

١٣ - ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل - رحمه الله - : كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخيين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان رضي الله عنه فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزادوا فأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم، فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القول في علي والخلافة، والخلافة وعلي^(٣)، أتحسبون أن الخلافة تزين علياً؟ بل زينها علي^(٤).

١٤ - براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه:

ذهبت بعض الروايات إلى اتهام الأشعث بن قيس، قال اليعقوبي: إن عبدالرحمن بن ملجم نزل على الأشعث بن قيس، فأقام عنده شهراً يستحد سيفه^(٥)، وذكر ابن سعد في الطبقات، قال: وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة، التي عزم فيها أن يقتل علياً صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الأشعث: فَصَحَكَ الصبح، فقام عبد الرحمن ابن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسيافهما ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي^(٦)، وهذه روايات ضعيفة^(٧).

(١) النؤومة: الخامل الذكر الذي لا يؤبه له.

(٢) (٤٤٣) قارنخ مدينة السلام «(١/٤٦٢)».

(٣) «(٣/١١١٠)» الاستيعاب.

(٤) «(٣/٣٦٦)» الطبقات.

(٥) قارنخ اليعقوبي «(٢/٢١٢)».

(٦) «خلافة علي بن أبي طالب»، لعبد الحميد ص (٣٥٣).

إن اتهام الأشعث ليس عليه دليل؛ وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي رضي الله عنه نجده مخلصاً ووفياً، فهو أول من حارب أهل الشام في أثناء القتال على الماء، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم فهو الذي أبلغ علياً رضي الله عنه أن الخوارج يقولون: إن علياً تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم وقاتلهم في النهروان، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وآل بيته، فزوج ابنته من الحسن بن علي رضي الله عنه، وعندما أراد الحسن أن يبيني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث^(١)، وقد مات الأشعث من بعد مقتل علي بأربعين ليلة، وصلى عليه الحسن بن علي بن أبي طالب^(٢)، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس^(٣)، ولم ينقل عن آل علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة أو كاشفوا أحداً من آل الأشعث بهذا السب، ويظل قتل علي عملاً من تدبير الخوارج جاء في الأرجح ثأراً لقتلى النهروان^(٤).

١٥ - خطورة الفرق الضالة والفرق المنحرفة علي المسلمين:

إن الفرق الضالة والطوائف المنحرفة عندما تنتشر في بلاد الإسلام تعرض أهله للخطر، وتهدد الأمن والاستقرار وتشكك الناس في عقيدتهم، وتعيث في الأرض فساداً وخراباً، وتلك هي حال الخوارج المارقين الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وكفّروه، وقتله نفرٌ منهم على حين بغتة كما بينّا ذلك من قبل، زاعمين أنهم يشرون أنفسهم بهذا الفعل ابتغاء مرضاة الله، وما عندهم في ذلك مستند ولا برهان، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين، وإذا تبين لنا مما سبق أن الخوارج قد تسببوا في قتل علي رضي الله عنه، وعرفنا مناهجهم الفاسدة فالواجب على أمة الإسلام أن تحذر منهم، وتحارب مناهجهم، ويقوم العلماء والدعاة بواجبهم في ذلك ليستقر الأمن، وتظهر أنوار السنة، وتخدم نيران البدعة، وفعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجماعة، ومقارعة

(١) «تهذيب الكمال» (٣/٣٩٣، ٣٩٤)، و«الطبقات» (٦/٢٣).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٣/٤٤٤).

(٣) «تهذيب التهذيب» (٢/٣٠٠).

(٤) «دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين» د. محمد بطاينة ص (٥٢).

البدعة والمبتدعين وهذا كله من أسباب نهوض المجتمعات، وهذه هي الطريقة المثلى لجمع الشمل ووحدة الصف، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل، وجد أن الدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين، وقام بها الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعز به الإسلام قديماً وحديثاً، وهذا بخلاف الدول التي قامت على البدعة، وأشاعت الفوضى والفرقة والمحدثات، وفرقت الشمل، فهذه سرعان ما تندثر، وتنقرض^(١).

١٦ - الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين

الصادقين:

الكشف عن الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين، دلّ عليه قول عبد الرحمن بن ملجم - عن سيفه -: والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل مصر ما بقي منهم أحد^(٢).

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافر الذي يكنّه هؤلاء الخوارج لا على عموم المؤمنين فحسب، بل على القادة الكبار من أمثال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، الذي تجتمع في شخصه رضي الله عنه أعظم المناقب وأجل السجايا، وانظر - رعاك الله - كيف تورّد المناهج الباطلة، والأفكار المنحرفة أصحابها إلى دركات من التعاسة والشقاء، عندما يقاتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان^(٣).

١٧ - تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها:

إن البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحب العدل ويسعى إليه، فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقابل شبيب بن بجرة فيقول له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك

(١) «سير الشهداء دروس وعبر»، لعبد الحميد السحيباني ص (٧٧).

(٢) «تاريخ الطبري» (٦٢/٦).

(٣) «سير الشهداء دروس وعبر» ص (٧٨).

أمك، لقد جئت شيئاً إداً، كيف تقدر على علي؟! قال: أكنن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفيناً أنفسنا، وأدركننا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غير علي لكان أهون علي، قد عرفت بلاءه في الإسلام، وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، وما أجدني أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟! قال: بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، تقول رواية الطبري: فأجابه (١).

فانظر - رعاك الله - كيف يؤثر أصحاب الآراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطونهم ويجلسون معهم؟ إنه على الرغم من أن شبيهاً لم ينشرح صدره لقتل علي رضي الله عنه لما يعلمه من بلائه في الإسلام وسابقته مع النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكره بقتل علي رضي الله عنه لإخوانه من الخوارج المارقين، فأثار فيه العاطفة تجاههم، برغم أنهم قُتلوا بالحق لا بالباطل، فاستجاب لصاحبه، وانقاد له، فكانت النتيجة: إفساد الأفكار، وتلويث السمعة، والخسران المبين، وذلك يدعو كل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان على نهج هؤلاء من فاسدي الاعتقاد، ملوثي الأفكار، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة، وإنه إن لم يرض بهذه السبل القويمة وخالط أولئك المنحرفين في عقيدتهم فسيعض أصابع الندم، ولات ساعة مندم (٢) كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ الفرقان: ٢٧-٣٠.

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، العالم الرباني، الذي أفنى عمره كله خاشعاً لله تعالى، أوهاً منيباً، وخط لنا طريقاً مباركاً للاقتداء والتأسي به.

سادساً: ما قيل في أمير المؤمنين عليّ رضِيَ اللهُ عنه من رثاء:

١ - ما قاله أبو الأسود الدؤلي، وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية أولها:

ألا يا عين ويحك أسعدينا
تبكي أم كلثوم عليه
ألا قل للخوارج حيث كانوا
أفي شهر الصيام فجعتمونا
قتلتم خير من ركب المطايا
ومن لبس النعال ومن حذاها
فكل مناقب الخيرات فيه
لقد علمت قريش حيث كانت
إذا استقبلت وجه أبي حسين
وكنّا قبل مقتله بخير
يقيم الحق لا يرتاب فيه
وليس بكاتم علماً لديه
كأن الناس إذ فقدوا عليّاً

٢ - ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر له:

سائل قريشاً به إن كنت ذا عمه
من كان أقدم إسلاماً وأكثرها
من وحّد الله إذ كانت مكذّبة
من كان يقدم في الهيجاء إن نكلوا
من كان أعدلها حكماً وأبسّطها
إن يصدقك فلن يعدوا أبا حسن
إن أنت لم تلق أقروماً ذوي صلف

٣ - ما قاله بكر بن حماد التاهرتي^(١) ردًّا على شاعر الخوارج عمران بن حطان^(٢) :

قال شاعر الخوارج عمران بن حطان :

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إني لأذكره حيناً فأحسبه
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
أوفى البرية عند الله ميزانا

فقال بكر بن حماد التاهرتي معارضاً في ذلك :

قل لابن ملجم والأقدار غالبية
قتلت أفضل من يمشي على قدم
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
صهر النبي ومولاه وناصره
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً
ذكرت قاتله والدمع منحدر
إني لأحسبه ما كان من بشر
أشقى مراداً إذا عدت قبائلها
كعافر الناقة الأولى التي جلبت
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
فلا عفا الله عنه ما تحمله
لقوله في شقي ظل مجترماً
يا ضربة من تقي ما أراد بها
بل ضربة من غوي أوردته لظى
كأنه لم يرد قصداً بضربته

هدمت ويلك للإسلام أركاننا
وأول الناس إسلاماً وإيماننا
سنَّ الرسول لنا شرعاً وتبياننا
أضحت مناقبه نوراً وبرهاننا
ليثاً إذا لقي الأقران أقراننا
فقلت سبحان رب الناس سبحاننا
يخشى المعاد ولكن كان شيطاننا
وأخسر الناس عند الله ميزانا
على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قبل المنية أزماناً فأزماننا
ولا سقى قبر عمران بن حطاننا
ونال ما ناله ظلماً وعدواننا
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
فسوف يلقي بها الرحمن غضباننا
إلا ليصلي عذاب الخلد نيراننا^(٣)

(١) بكر بن حماد التاهرتي نسبة إلى تاهرت «المغربية رحل إلى المشرق وسمع مسند بن مسدد بن سرهد ورواه عنه في المغرب وكان معاصراً للبخاري وكان شاعراً. الإصابة (٣/١٧٧).

(٢) عمران بن حطان الدوسي البصري من رؤساء الخوارج ومن الشعراء المفلقين توفي سنة ٨٤هـ الإصابة « (٣) الاستيعاب (٣/١١٢٩).

وهكذا خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم، وقد طويت بوفاته صفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها، فقد عرف فيه التاريخ رجلاً فذاً من طراز فريد، كانت همته في رضا الله تعالى، وكان همه انتصار الإسلام، وأعظم أمانيه سيادة أحكام الله في دنيا الناس، وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته.

إن دراسة عهد الخلفاء الراشدين، تمد أبناء الجيل بالعزائم الراشدية، التي تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية، وبهجتها وبهاءها، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله، وتساعد الدعاة والعلماء وطلاب العلم على التأسّي بذلك العهد الراشدي ومعرفة خصائصه ومعاله وصفات قادته وجيله، ونظام حكمه ومنهجه في السير في دنيا الناس وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضاري من جديد.

هذا وقد انتهت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهراً بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣م والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل، ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢٠].

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده، متبرئاً من حولي وقوتي؛ فالله هو المتفضلُّ وهم المكرم وهو المعين وهو الموفق، فله الحمد على ما من به عليّ أولاً وآخراً، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعا، وأن يثيبي على كل حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته

ورضوانه من دعائه؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى. وأختتم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبُّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

وَأَقْرُبُكَ وَأَنَا أُنِيبُ إِلَيْكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ



* الخاتمة *

وبعد، فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب الذي سميته: «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، شخصيته وعصره»، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ فله الحمد حتى يرضى، وله الحمد عند الرضا وله الحمد بعد الرضا، وما كان فيه من خطأ فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ وعسى ألا أحرم من الأجر وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه في دعائه؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى .

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وبقول الشاعر أبي محمد القحطاني:

قل إن خير الأنبياء محمد	وأجل من يمشي على الكثبان
وأجل صحب الرسل صحب محمد	وكذاك أفضل صحبه العمران (١)
رجلان قد خلقتا لنصر محمد	بدمي ونفسي ذانك الرجلان
فهما اللذان تظاهرا نبينا	في نصره وهما له صهران
بنتاهما أسنى نساء نبينا	وهما له بالوحي صاحبتان
أبواهما أسنى صحابة أحمد	يا حبذا الأبوان والبنتان
وهما وزيراه اللذان هما	لفضائل الأعمال مستبقان
وهما لأحمد ناظره وسمعه	وبقربه في القبر مضطجعان
كانا على الإسلام أشفق أهله	وهما لدين محمد جبالان
أصفاهما أقواهما أخشاهما	أقاهما في السر والإعلان

(١) العمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

أوفاهما في الوزن والرجحان
هو في المغارة والنبي اثنان
من شرعنا في فضله رجلان
وإمامهم حقاً بلا بطلان
قد جاءنا في النور والفرقان
بكرم مطهرة الإزار حصان
وعروسه من جملة النسوان
هي حبه صدقاً بلا إدهان
وهما بروح الله مؤتلفان
دفع الخلافة للإمام الثاني
بالسيف بين الكفر والإيمان
ومحا الظلام وباح بالكتمان
في الأمر فاجتمعوا على عثمان
وتراً فيكمل ختمة القرآن
أعني علي العالم الرباني
ليث الحروب منازل الأقران
وبنى الإمامة أيما بنيان
من بعد أحمد في النبوة ثان
وهم هما محمد سبطان
لله در الأصل والغصنان
وسعيدهم وعباد الرحمن
وامدح جماعة بيعة الرضوان
وامدح جميع الآل والنسوان
بسيوفهم يوم التقى الجمعان
وكلاهما في الحشر مرحومان

أسناهما أزكاهما أعلاهما
صديق أحمد صاحب الغار الذي
أعني أبا بكر الذي لم يختلف
هو شيخ أصحاب النبي وخيرهم
وأبو المطهرة التي تنزيهاها
أكرم بعائشة الرضا من حرة
هي زوج خير الأنبياء وبكره
هي عرسه هي أنسه هي إله
أوليس والدها يصابي بعلها
لما قضى صديق أحمد نحبه
أعني به: الفاروق فرّق عنوة
هو أظهر الإسلام بعد خفائه
ومضى وخلق الأمر شورى بينهم
من كان يسهر ليلة في ركعة
ولي الخلافة صهر أحمد بعده
زوج البتول أخت الرسول وركنه
سبحان من جعل الخلافة رتبة
واستخلف الأصحاب كي لا يدعي
أكرم بفاطمة البتول وبعلمها
غصنان أصلهما بروضة أحمد
أكرم بطلحة والزبير وسعيدهم
وأبي عبدة ذي الديانة والتقى
قل خير قول في صحابة أحمد
دع ما جرى بين الصحابة في الوغى
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم

تحوي صدورهم من الأضغان
عثمان فاجتمعوا على العصيان
قد بئس من مولاه بالخسران
فإله ذو عفو وذو غفران

والله يوم الحشر ينزع كل ما
والويل للركب الذين سعوا إلى
ويل لمن قتل الحسين، فإنه
لسنا نكفر مسلمًا بكبيرة

ويقول الشاعر:

أنا المسكين في مجموع حالاتي
والخير إن يأتنا من عنده يأتي
ولا عن النفس لي دفع المضرات
كما الغنى أبدًا وصف له ذات
وكلهم عنده عبء له آت

أنا الفقير إلى رب البريات
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة
والفقر لي وصف ذات لازم أبدًا
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم

ويقول الشاعر:

أبعد الخير على أهل الكسل
تشتغل عنه بما لا حول
يعرف المطلوب يحقر ما بذل
كل من سار على الدرب وصل

اطلب العلم ولا تكسل فما
احتفل للفقه في الدين ولا
واهجر النوم وحصله فمن
لا تقل قد ذهبت أربابه

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ

أَسْتَغْفِرُكَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ



أحاديث ضعيفة وموضوعة

في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١ - إن الله أوحى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي أنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين.

(موضوع): السلسلة الضعيفة للألباني رقم (٣٥٣).

٢ - السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب.

(ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة رقم (٣٥٨) وضعيف الجامع رقم (٣٣٣٤).

٣ - علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره ومخذول من خذله.

(موضوع): السلسلة الضعيفة للألباني رقم (٣٥٧) وضعيف الجامع (٣٧٩٩).

٤ - لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن ود يوم الخندق، أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة.

(كذب): السلسلة الضعيفة برقم (٤٠٠).

٥ - اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيك، فرد عليه شرقها (وفي رواية) اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت.

(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٩٧١) للألباني.

٦ - إن الله أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله من هم؟ (وفي رواية: سمّهم لنا)، قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر وسلمان والمقداد، أمرني بحبهم، وأخبرني أنه يحبهم.

(ضعيف): السلسلة الضعيفة للألباني برقمي (١٥٤٩، ٣١٢٨)، وضعيف الجامع

(١٥٦٦)، وضعيف سنن الترمذي (٧٧١)، وضعيف سنن ابن ماجه (٢٨)،

والمشكاة (٦٢٤٩).

- ٧ - أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابها.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٢٩٥٥) .
- ٨ - أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب صليت قبل الناس لسبع سنين.
(باطل): ضعيف سنن ابن ماجه برقم (٢٣) .
- ٩ - رحم الله علياً الله أدار الحق معه حيث دار.
(ضعيف جداً): السلسلة الضعيفة (٢٠٩٤)، وضعيف الجامع (٣٠٩٥)، وضعيف سنن الترمذي (٧٦٧)، وضعيف المشكاة (٦١٢٥) .
- ١٠ - علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض.
(ضعيف): ضعيف الجامع برقم (٣٨٠٢) .
- ١١ - علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين.
(ضعيف): ضعيف الجامع (٣٨٠٥) .
- ١٢ - ليلة أسري بي انتهيت إلى ربي عز وجل فأوحى إلي في علي بثلاث: أنه سيد المسلمين وولي المتقين وقائد الغر المحجلين.
(موضوع): السلسلة الضعيفة (٤٨٨٩) .
- ١٣ - يا أنس: انطلق فادع لي سيد العرب - يعني علياً - فقالت عائشة: ألسنت سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه لكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٨٩٠) .
- ١٤ - أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٨٩١) .

- ١٥ - أنا المنذر، وعلي الهادي، بك يا علي يهتدي المهتدون بعدي.
(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم (٤٨٩٩) .
- ١٦ - لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله صفوتي من خلتي أيدته بعلي ونصرته.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٠٢) .
- ١٧ - من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه وإلى يحيى في زهده وإلى موسى في بطشه فليُنظر إلى علي.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٠٣) .
- ١٨ - تقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين: بالطرقات والنهروانات والشعفات.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٩٠٧) .
- ١٩ - نزلت هذه الآية ﴿يَأْيُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧ يوم غدیر خم في علي.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٢٢) .
- ٢٠ - لما نصب رسول الله علياً بغدير خم فنأدى له بالولاية هبط جبريل بهذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ المائدة: ٣٠ .
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٢٣) .
- ٢١ - هذا أخي ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، يعني: علياً.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٣٢) .
- ٢٢ - أشدكم الله: هل فيكم أحد أخي رسول الله بينه وبينني - إذ آخى بين المسلمين - غيري؟ قالوا: اللهم لا.
(موضوع): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩٤٩) .
- ٢٣ - لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي.
(مكذوب): على علي منهاج السنة (٧٠ / ٥) .

٢٤ - حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة.

(مكذوب): علي علي منهاج السنة (٧٣/٥).

٢٥ - الثقلان كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا والآخر عترتي وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فسألت ذلك لهما ربي فلا تقدمهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم.

(ضعيف): السلسلة الضعيفة برقم (٤٩١٤).

٢٦ - معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب.

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم (٤٩١٧).

٢٧ - إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا.
هذا الحديث باطل:

فيه عبد الغفار بن القاسم: قال عنه الذهبي: أبو مريم الأنصاري رافضي، ليس بثقة، قال علي بن المديني: كان يضع الحديث ميزان الاعتدال (٦٤٠/٢).

٢٨ - إن وصيي وموضع سري هو علي بن أبي طالب، وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب.

رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤١/٩) وعزاه إلى الطبراني وقال: فيه ناصح ابن عبد الله وهو متروك.

٢٩ - أنا دار الحكمة وعلي بابها.

رواه الترمذي وأبو نعيم سكت عن قول الترمذي: هذا حديث غريب منكر. ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث رقم (٣٧٢٣) وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، مشكاة المصابيح (١٧٧٧/٣) وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب، الموضوعات (٣٤٩/١).

٣٠- أنت يا علي وشيعتك (أولئك هم خير البرية).

فيه أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي، قال عنه الحافظ ابن حجر: رافضي كذبه يحيى ابن معين (التقريب ٢١٠١).

٣١- أوحى الله إلي في علي ثلاثاً: أنه سيد المؤمنين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. قال الحافظ: قال الحاكم في المناقب: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف جداً ومنقطع أيضاً، إتحاف المهرة (١/٣٤٤). وقد رد الذهبي هذا الحديث كما في تعليقه على الحديث المستدرک (٣/١٣٩) قائلاً بأن عمر بن الحصين العقيلي وشيخه يحيى بن العلاء الرازي متروكان، بل صرح بأن الحديث موضوع، وانظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم (٣٥٣).

٣٢- يخ بخ لك يا علي أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

فيه علي بن زيد بن جدعان، قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف، الشجرة في أحوال الرجال ص (١٩٤) قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/٢٢٦). هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به. ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم، كشف الأستار (٤٩٠) وقال الدارقطني: ليس بالقوي، سنن الدارقطني (١/١٠٣).

٣٣- رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار.

رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، المستدرک (٣/١٢٥) فيه المختار بن نافع التميمي قال الذهبي تعقيماً على الحاكم: المختار ساقط. وقال الحافظ: المختار ضعيف (التقريب ٦٥٢٢).

٣٤- علي أخي في الدنيا والآخرة.

(ضعيف): انظر: ضعيف الجامع للألباني (١/٣٨٠).

٣٥- علي باب حطة ومن دخله كان آمناً.

(موضوع): فيه حسين الأشقر. قال البخاري: فيه نظر، التاريخ الكبير (٢/٢٨٦٢) وقال: عنده مناكير التاريخ الصغير (٢/٣١٩). انظر: السلسلة الضعيفة للألباني (٣٩١٣).

٣٦ - علي خير البشر فمن أبي فقد كفر.

(موضوع): قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة، تسديد القوس (٨٩/٣). قال الذهبي: هذا حديث منكر، ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي، ميزان الاعتدال (٥٢١/١) وابن الجوزي في الموضوعات (٣٤٨/١).

٣٧ - لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي مرتين أو ثلاثاً.

ضعفه الألباني، ضعيف أبي داود ص (٤٩١).

٣٨ - مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.

رواه الطبراني في الكبير (٣٧/٣)، والهيثمي (١٦٨/٩) في إسناده عبد الله بن داهر والحسن بن أبي جعفر وهما متروكان، قاله الهيثمي.

٣٩ - من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل غرس قضبانها بيديه فليتول علي بن أبي طالب.

صححه الحاكم (١٢٨/٣) وتعقبه الذهبي وفيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيى بن العلي الأسلمي، قال الحافظ في التقریب (٧٦٧٧): شيعي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي فسماه المحاربي، واستغل عبد الحسين في «المراجعات» ذلك أبشع استغلال.

٤٠ - ما صب الله في صدري شيئاً إلا صبته في صدر علي.

حديث موضوع، الموضوعات (١٣١/١)، وأسنى المطالب (١٢٦٢).

٤١ - محبك محبي ومحبي محب الله ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله.

قال الحافظ: رواه ابن عدي وهو باطل، [لسان الميزان (١٠٩/٢)].



* المصادر والمراجع *

(أ)

- ١- الإباضية في موكب التاريخ ، علي يحيى معمر ، مكتبة وهبة .
- ٢- أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، د/ إبراهيم علي شعوط ، المكتب الإسلامي ، الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٣- الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية ١٩٧٥م .
- ٤- أبو موسى الأشعري، الصحابي العالم المجاهد، لمحمد طهماز، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١ دمشق .
- ٥- إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، لمحمد الخضري، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٦- آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د/ وهبة الزحيلي، دراسة مقارنة، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- ٧- أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله، للسالوس علي أحمد السالوس، دار وهدان للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .
- ٨- أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري، د/ عبد العزيز محمد نور ولي، دار الخضير، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٩- الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله، لعبد السلام السليمان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية .
- ١٠- أحداث وأحاديث فتنة الهرج، د/ عبد العزيز دخان، دار التابعين بالقاهرة، ٢٠٠٢م .
- ١١- الإحسان في صحيح ابن حبان، لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ١٢- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ .
- ١٣- الأحكام السلطانية، لأبي يعلى: محمد بن الحسين تعليق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٠٣هـ .

- ١٤- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٥- إحياء علوم الدين، للغزالي.
- ١٦- أخبار القضاة، لو كيع محمد بن خلف بن حيان، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
- ١٧- الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة د/ جمال الدين الشيال، مكتبة المتنبي، بغداد.
- ١٨- الأخلاق والسير، لابن حزم.
- ١٩- أخلاق النبي في القرآن والسنة، د/ أحمد الحداد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٠- الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري، د/ سليمان ابن صالح بن سليمان آل كمال، منشورات جامعة أم القرى.
- ٢١- الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي، د/ محسن باقر الموسوي، الغدير، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٢٢- أدب الدين والدنيا، للماوردي.
- ٢٣- الأدب الإسلامي في عهد النبوة، لنايف معروف، دار النفائس، بيروت، لبنان.
- ٤٢- الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، د/ حبيب يوسف مغنية، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.
- ٢٥- إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، نشر المكتب الإسلامي.
- ٢٦- الأساس في السنة وفتيها، لسعيد حوى، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٧- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق د/ علي نويهض، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢٨- الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار، لابن عبد البر، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- ٢٩- استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، دراسة نقدية، د. خالد ابن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٣١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، مطبعة الشعب.
٣٢. الإشراف على مذاهب أهل العلم، للحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، بتحقيق محمد نجيب سراج الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
٣٣. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٣٤. أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، لمحمود المصري، مكتبة أبي حذيفة السلفي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٥. أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ.
٣٦. أصول الإسماعيلية، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربية خليل أحمد جلو، جاسم، محمد الرجب، بغداد، مكتبة المثنى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.
٣٧. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، عرض ونقد د. ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، دار الرضا للنشر والتوزيع، الجزيرة بمصر، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٨. الاعتصام، للشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت سنة ١٤٠٢هـ.
٣٩. الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر، نشاط آباد فيصل آباد، باكستان.
٤٠. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٠٢هـ.
٤١. الإعجاز والإيجاز، لأبي منصور الثعالبي، دار الرائد العربي، بيروت.
٤٢. إعلاء السنن، للمحدث الناقد ظفر أحمد العثماني على ضوء ما أفاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف علي التهانوي بتحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية باكستان.

- ٤٣- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.
- ٤٤- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية صيدا بيروت، طبعة ١٤٠٧هـ.
- ٤٥- أعلام النصر المبين، لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي، تحقيق د/محمد أمحزون، دار الغرب، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٤٦- إفادة الأخيار ببراءة الأبرار، محمد العربي التباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
- ٤٧- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ٤٨- الأم، للشافعي، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٩- الإمام علي بن أبي طالب، لمحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٥٠- الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥١- الإمام الصادق، لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي.
- ٥٢- الإمامة والرد على الرافضة، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق وتعليق د/علي ابن محمد بن ناصر الفقيهي، طبع مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٥٣- الإمامة والسياسة، المنسوب لابن قتيبة، مؤسسة الحلبي، القاهرة.
- ٥٤- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، لعبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
- ٥٥- الأموال، لأبي عبيد، تحقيق: محمد خليل هرأس، مكتبة الكليات الأزهرية.
- ٥٦- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأحمد السيد يعقوب الرفاعي، دار الفضيلة، القاهرة، الطبعة الأولى.
- ٥٧- انتصار الحق، مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية، لمجدي محمد علي، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥٨. الانتصار للصحب والأك من افتراءات السماوي الضال، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٥٩. أنس بن مالك الخادم الأمين، لعبد الحميد طهمان، دار القلم، دمشق.
٦٠. أنساب الأشراف، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.
٦١. الأنساب، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد عوامة، الطبعة الأولى، نشر محمد أمين دمج، بيروت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٦٢. الانسراح ورفع الضيق بسيرة أبي بكر الصديق، د. علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٦٣. الأنصار في العصر الراشدي، سياسياً وعسكرياً وفكرياً، د/ حامد محمد خليفة، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد لم تطبع، من صورة مصورة.
٦٤. الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف، د/ حامد محمد خليفة، مطابع الدوحة، المدينة الرياضية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٦٥. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلائي، تحقيق محمد زاهد الكوثري، الطبعة الثانية، مؤسسة الخانجي ١٣٨٢هـ.
٦٦. أهل الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله عنه، لرياض العبد الله، دار الرشيد، بيروت، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٦٧. آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة، لعبد الهادي الحسيني.

(ب)

٦٨. الباعث الحديث، شرح اختصار علوم الحديث، لإسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الثانية ١٣٧٠هـ.
٦٩. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للعلامة علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، الناشر زكريا علي يوسف.
٧٠. بدائع الفوائد، لابن القيم، مكتبة الرياض.
٧١. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، طبعة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، مطبعة الكليات الأزهرية.

٧٢- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي دار الريان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٣- بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، لعبد الله الجميلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٤- بيعة علي بن أبي طالب، لأم مالك الخالدي، حسن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، الطبعة الثالثة، عمان.

٧٥- البيان والتبيين، للجاحظ، لأبي عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(ت)

٧٦- تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: محمد محيي الدين الأصغر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٧٧- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

٧٨- التاريخ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث.

٧٩- تاريخ الأدب العربي في الجاهلية و صدر الإسلام، نكلسن رينولد، ترجمة صفاء خلوصي، بغداد: مطبعة المعارف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٨٠- تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين، لمحمد أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨١- التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر، د/ عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدعوة الإسكندرية، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨٢- تاريخ الخلفاء، للسيوطي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨٣- تاريخ خليفة بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ودار القلم، بيروت ١٣٩٧هـ.

- ٨٤- تاريخ الدعوة الإسلامية، لمحمد جميل عبد الله المصري، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٨٥- تاريخ دمشق، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى.
- ٨٦- التاريخ السياسي، د/ علي معطي، مؤسسة المعارف بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٨٧- التاريخ الصغير، للبخاري، لمحمد إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار المعرفة بيروت.
- ٨٨- تاريخ الطبري، لأبي جعفر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٨٩- تاريخ العرب، مطول، د/ فيليب حتّي، ترجمة إدوارد جرجي، د/ جبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت ١٩٤٩م.
- ٩٠- تاريخ عمرو بن العاص، لحسن إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى ١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م.
- ٩١- تاريخ القضاء في الإسلام، د/ محمد الزحيلي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٩٢- تاريخ القضاة، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلفاء، للإمام القاضي محمد ابن سلامة ابن جعفر الشافعي، مطبوعات جامعة أم القرى.
- ٩٣- التاريخ الكبير، للبخاري، مؤسسة الثقافة، بيروت.
- ٩٤- تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قضاةها العلماء من غير أهلها ووارديها، لأبي بكر أحمد ابن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- ٩٥- تاريخ المذاهب، لأبي زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى.
- ٩٦- تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، دار بيروت، لبنان.
- ٩٧- تبصير المؤمنين بفتح النصر والتمكين في القرآن الكريم، لعلي محمد الصلّائي، دار الصحابة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- ٩٨- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان.

٩٩. تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، تأليف د/ محمد أمحزون ، دار طيبة ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
١٠٠. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
١٠١. تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، بيروت ، دار إحياء التراث .
١٠٢. تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، لسعد الله بن جماعة ، دار الكتب العلمية .
١٠٣. التذكرة في أحوال الموتى والأخرة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، حققه وخرَّج أحاديثه فؤاد أحمد زمزلي ، دار الكتاب العربي .
١٠٤. تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء، د/ صبحي محمصاني ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م .
١٠٥. تفسير البغوي، المسمى معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ، ومروان سوار ، دار المعرفة بيروت .
١٠٦. تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة، د/ محمد عبد الله علي الخضير ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٠٧. تفسير السعدي، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: محمد زهري النجار ، المؤسسة السعدية .
١٠٨. التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، د/ حكمت ابن بشير ابن ياسين ، دار المائر ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
١٠٩. تفسير الفخر الرازي، لأبي عبد الله محمد بن عمر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية .
١١٠. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .
١١١. تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

- ١١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١١٣- تقريب التهذيب، لابن حجر.
- ١١٤- التكنيز جذوره وأسبابه، د/ نعمان عبد الرزاق السامرائي، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١١٥- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، بتحقيق محمود مهدي استانبولي ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ١١٦- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مراجعة: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١١٧- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، للقاضي أبي علي محمد بن الطيب الباقلائي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١١٨- التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حققه د/ محمود يوسف زايد، دار الثقافة الدوحة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١١٩- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد اللطفي، مكتبة المثني، بغداد ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ١٢٠- تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، لأبي يعلي محمد، الفراء، تحقيق دار النبلاء عمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ١٢١- تهذيب تاريخ دمشق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٢٢- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، عن طبعة حيدر آباد.
- ١٢٣- تهذيب الأسماء واللغات، للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- ١٢٤- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف عبد الرحمن المزي، بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- ١٢٥- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للشيخ عبد الرحمن السعدي.

١٢٦. التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د/محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤١٠هـ.

١٢٧. تيسير العزيز لشرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة.

١٢٨. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، للدكتور علي محمد الصلابي، دار النشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(ث)

١٢٩. الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد، مكتبة مدينة العلم، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

١٣٠. ثم أبصرت الحقيقة، محمد سالم الخضر، دار الإيمان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار الإيمان للطباعة والنشر.

(ج)

١٣١. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، دار الفكر، دار الكتب الإسلامية ١٤٠٢هـ.

١٣٢. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٣٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للحافظ الخطيب البغدادي تحقيق د/محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٣٤. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ.

١٣٥. جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن القيم الجوزية، دار القلم، بيروت، لبنان.

١٣٦. جمع الجوامع بحاشية العطار، للإمام ابن السبكي مع شرح الجلال المحلي/ دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٧. الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، لمحمد خير هيكل، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٣٨. جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، لمحمد السيد الوكيل دار المجتمع، المدينة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(ح)

١٣٩. الحجج الدامغة لذئف المراجعاء، لأبي مريم بن محمد الأعظمي.
١٤٠. الحجفة في بيان الحجفة وشرح عقيدة أهل السنة، للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل الأصفهاني، د/ محمد ربيع مدخلي، ومحمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ١٤١- حفة من التاريخ، لعثمان الخميس، دار الإيمان، الإسكندرية.
١٤٢. حقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد ناصر الغامدي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٤٣. الحكم والتحكم في خطاب الوحي، لعبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٤٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٥. الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، لمحمد حسين الزبيدي، القاهرة ١٩٧٠م.
١٤٦. الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، د/ محمد ضيف الله بطاينة، دار طارق، دار الكندي، الأردن.

(خ)

١٤٧. الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ٣، ١٣٨٢هـ.
١٤٨. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق أحمد مسيرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٤٩. خلاصة التشريع الإسلامي، لعبد الوهاب خلاّف، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٥٠. خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، لمحمد كنعان، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٨م.
١٥١. الخلافة بين التنظير والتطبيق، لمحمود المرادوي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٥٢. الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري، ليحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٥٣. خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لعبد الحميد علي ناصر فقيهي، رسالة علمية قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لم تطبع حتى الآن، أشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري.
١٥٤. خلافة علي بن أبي طالب، رتبه وهذبه د/ محمد بن صامل السلمي، مستخرج من البداية والنهاية، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
١٥٥. الخلفاء الراشدون، لعبد الوهاب النجار، دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٥٦. خلفاء الرسول، لخالد محمد خالد، دار ثابت، القاهرة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٥٧. الخوارج، لناصر العقل، دار الوطن الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
١٥٨. الخوارج، دراسة ونقد لمذاهبهم، لناصر بن عبد الله السعوي، دار المعارج الدولية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٥٩. الخوارج في العصر الأموي، د/ نايف معروف، دار الطليعة بيروت، الطبعة الرابعة.
١٦٠. الخوارج والشيعة، يوليوس فلهاوزن.
١٦١. الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة، أنور عيسى، لم تطبع.
١٦٢. الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، محب الدين الخطيب، الطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٣هـ.
- (د)
١٦٣. دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، للأعظمي محمد لقمان الأعظمي الندوي، دار العبيكان الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٦٤. دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار إشبيلية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٦٥. دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، د/ عبد الرحمن الشجاع ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م . دار الفكر المعاصر - صنعاء .
١٦٦. دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين، د/ أحمد محمد جلي ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
١٦٧. دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، د. محمد ضيف الله بطاينة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ١٦٨- الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي، وداد علي قزاز ، مجلة المسكوكات ، مديرية الآثار العامة ، بغداد ، الجزء (١) ، المجلد الأول ، ١٩٦٩م .
١٦٩. الدر المنثور في التفسير بالماثور، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
١٧٠. الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
١٧١. دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي ، لسليمان العودة ، رسالة نشرت على الإنترنت .
١٧٢. الدور السياسي لأصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر ، معهد الفكر العالمي .
١٧٣. دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين، لأسماء محمد أحمد زيادة ، دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
١٧٤. الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، د/ حمدي شاهدين ، دار القاهرة .
١٧٥. الدولة الأموية، ليوسف العشي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ - ١٩٨٥م .
١٧٦. الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، لفتحي عبد الكريم ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

(ذ)

١٧٧. ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى ، لمحب الدين الطبري ، دار المعرفة ، بيروت .

(ر)

١٧٨. رجال الفكر والدعوة ، للندوي ، دار ابن كثير .

- ١٧٩- رجال الكشي، لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، قدم له وعلق عليه أحمد السيد الحسيني.
- ١٨٠- الرسالة التدمرية، لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.
- ١٨١- الرواة الذين تأثروا بابن سبأ، د/ سعد الهاشمي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٨٢- روايات تاريخ الصحابة في ميزان الجرح والتعديل، د/ عبد العزيز صغير دخان، طبعة أولى ١٩٩٨م الشوكاني، باليمن.
- ١٨٣- روح المعاني، للألوسي.
- ١٨٤- روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، الطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.
- ١٨٥- رياض النفوس للمالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، طبعة عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٨٦- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري، المكتبة القيمة، القاهرة.

(ز)

- ١٨٧- زاد المعاد، لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.
- ١٨٨- الزبير بن العوام الثروة والثورة، للدكتور عبد العظيم الديب، مكتبة ابن تيمية، البحرين.
- ١٨٩- الزهد، لابن المبارك.
- ١٩٠- الزهد، للإمام أحمد بن حنبل.
- ١٩١- زواج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حقيقة وليس افتراءً، تأليف، أبي معاذ الإسماعيلي.

(س)

- ١٩٢- سيل السلام، للأمير الصنعاني.
- ١٩٣- سفراء النبي صلوات الله عليهم، لمحمود شيت خطاب مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- ١٩٤- السلسلة الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي.
- ١٩٥- السلسلة الضعيفة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٩٦- السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: د/ عطية الزهراني، دار الراجعية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ١٩٧- السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ١٩٨- السنة ومكانتها في التشريع، د/ مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٩٩- سنن ابن ماجه، للمحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.
- ٢٠٠- سنن أبي داود، للإمام أبي داود سليمان السجستاني، تحقيق وتعليق: عزت الدعاس ١٣٩١هـ، سوريا.
- ٢٠١- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الفكر ١٣٩٨هـ.
- ٢٠٢- سنن النسائي، لأحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي بشرح جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، ط ١، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م دار الفكر بيروت.
- ٢٠٣- سنن سعيد بن منصور، دار الصمعي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٠٤- سورة الحجرات، د/ ناصر العمر، دار الصديق صنعاء الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٠٥- السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات، فان فولتن ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ٢٠٦- السياسة المالية لعثمان بن عفان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.
- ٢٠٧- السياسة في إصلاح الراعي والرعية، لابن تيمية - المطبعة السلفية ومكتبها، القاهرة ١٣٨٧هـ.
- ٢٠٨- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- ٢٠٩- سير السلف، لأبي القاسم الأصفهاني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢١٠- سير الشهداء، دروس وعبر، لعبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٢١١- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لمحمد أبي شهبه، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٢١٢- السيرة النبوية الصحيحة، د/ أكرم العمري، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مكتبة المعارف والحكم، بالمدينة المنورة.
- ٢١٣- السيرة النبوية، لابن هشام، أبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، بدون تاريخ.
- ٢١٤- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د/ مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- ٢١٥- السيف اليماني في نحر الأصفهاني، لوليد الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، دار الوفاء، مصر.
- ٢١٦- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشيخ محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمود إبراهيم الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ١٤٥٥هـ - ١٩٨٥م.
- (ش)
- ٢١٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر.
- ٢١٨- شرف أصحاب الحديث، الخطيب البغدادي، تحقيق: سعيد أوغلي، نشر دار إحياء السنة النبوية.
- ٢١٩- شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق د/ أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.
- ٢٢٠- شرح الصدور ببیان بدع الجفائز والقبور، لأبي عمر عبد الله بن محمد الحمادي، مكتبة الصحابة، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- ٢٢١- شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذري، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ.
- ٢٢٢- شرح صحيح مسلم، للإمام النووي، بيروت، دار الفكر، طبعة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٢٢٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق حسن تميم، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤م.
- ٢٢٤- شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمد محمد سعيد الخطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية.
- ٢٢٥- الشرك في القديم والحديث، لأبي بكر محمد زكريا، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٢٦- الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري تحقيق د/ عبد الله ابن سليمان الدميحي، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٢٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.
- ٢٢٨- الشورى بين الأصالة والمعاصرة، لعز الدين التميمي دار البشير، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٢٢٩- الشيخان أبو بكر الصديق وعمر من رواية البلاذري في أنساب الأشراف، تحقيق د/ إحسان صديق العمدة، المؤتمن للنشر، السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٣٠- الشيعة والسنة، لإحسان إلهي ظهير.
- ٢٣١- الشيعة والقرآن، لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

(ص)

- ٢٣٢- الصارم المسلول، على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٢٣٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور، الطبعة الثانية القاهرة ١٤٠٢هـ.
- ٢٣٤- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د/ يوسف القرضاوي - كتاب الأمة (٢)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- ٢٣٥- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٢٣٦- صحيح التوثيق في سيرة علي بن أبي طالب، لمجدي فتحي السيد، دار الصحابة بطنطا، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٢٣٧- صحيح سنن ابن ماجة، للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٣٨- صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- ٢٣٩- صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٢٤٠- صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٢٤١- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- ٢٤٢- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.
- ٢٤٣- الصحيح المسند في فضائل الصحابة، لأبي عبد الله مصطفى العدوي، دار ابن عقان، السعودية، الخبر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٢٤٤- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للألباني، دار الصميعي السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٤٥- صحيح النسائي، للألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٤٦- صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٤٧- الصواعق المحرقة على أهل الرافض والضلال والزندقة، لأبي العباس أحمد ابن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٤٨- صيد الخاطر، لابن الجوزي.

(ض)

٢٤٩- ضحى الإسلام، لأحمد الأمين.

(ط)

٢٥٠. الطبقات لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٢٥١. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن القيم الجوزية.

(ظ)

٢٥٢. ظاهرة التكفير، الأمين الحاج محمد أحمد، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، جدة،

السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٥٣. ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، لمحمد عبد الحكيم، الطبعة الأولى ١٤١١هـ -

١٩٩١م.

(ع)

٢٥٤. عائشة والسياسة، لسعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ -

١٩٧١م.

٢٥٥. عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، لسليمان بن حمد العودة، دار

طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

٢٥٦. عبد الله بن سبأ الحقيقية المجهولة، لمحمد علي المعلم.

٢٥٧. عبقرية علي، لعباس محمود العقاد، المكتبة العصرية - بيروت.

٢٥٨. العثمانية، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط ١.

٢٥٩. عثمان بن عفان، لصادق عرجون، الدار السعودية، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٦٠. عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ -

١٩٩١م.

٢٦١. عدة الصابرين، و ذخيرة الشاكرين، لابن القيم دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦٢. العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوي، لمحمد يوسف الفاروقي،

مجمع البحوث الإسلامية - الجامعة الإسلامية - إسلام آباد، باكستان، ١٩٨٢م.

٢٦٣. العزلة والخُلطة أحكام وأحوال، لسلمان بن فهد العودة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ -

١٩٩٣م.

٢٦٤. عصر الخلافة الراشدة، د/أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،

الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- ٢٦٥- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليميني تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدي، مكتبة دار العلوم، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٢٦٦- عقائد الشيعة، رونلدرسن دوايت تعريب (ع م) القاهرة، مكتبة الخانجي ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- ٢٦٧- عقيدة الإمام ابن قتيبة، د/ علي بن نفيح العلياني، مكتبة الصديق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، السعودية.
- ٢٦٨- العقيدة والشريعة الإسلامية، جولد تسهير أجناس، ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة.
- ٢٦٩- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د/ ناصر علي عائض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٢٧٠- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط، د/ سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، مكتبة البخاري، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٧١- علي بن أبي طالب، لخالد البيطار.
- ٢٧٢- علي بن أبي طالب، لعبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٢٧٣- علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين، د/ محمد عمر الحاجي، دار الحافظ بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- ٢٧٤- علي بن أبي طالب، د/ علي شرفي، دار الكندي أربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- ٢٧٥- عمّار بن ياسر، لأسامة بن أحمد سلطان، المكتبة المكية، السعودية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٧٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني.
- ٢٧٧- عمرو بن العاص الأمير المجاهد، د/ منير محمد الغضبان، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٢٧٨- عمرو بن العاص، لعبد الخالق سيد أبو رابية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٧٩- عمرو بن العاص، لمحمود العقاد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

- ٢٨٠- العواصم من التواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيّض، دار الثقافة، قطر، الدوحة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
 ٢٨١- عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(غ)

- ٢٨٢- غزوة الحديبية، لأبي فارس، دار الفرقان، الأردن.
 ٢٨٣- الغلو في الدين، د/الصادق عبد الرحمن الغرياني، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
 ٢٨٤- غياث الأمم في تياث الظلم، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

(ف)

- ٢٨٥- فتاوى في التوحيد: لعبد الله بن جبرين.
 ٢٨٦- فتح الباري، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
 ٢٨٧- فتوح الشام، محمد عبد الله الأزدي، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر، نشر مؤسسة القاهرة ١٩٧٠م.
 ٢٨٨- فتح العزيز شرح الوجيز، للإمام أبي القاسم عبد الكريم محمد الرافعي، المطبوع في هامش المجموع.
 ٢٨٩- فتح المغيث شرح آلاية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
 ٢٩٠- فتح التدبير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ.
 ٢٩١- فتنة مقتل عثمان بن عفان، لمحمد عبد الله الغبان مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
 ٢٩٢- الفتنة الكبرى علي وبنوه، لطف حسين، دار المعارف بمصر ١٩٦٦.
 ٢٩٣- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، لقاسم عاشور، دار طويق، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ٢٩٤- فرسان في عصر النبوة، لأحمد خليل جمعة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م -
اليمامة دمشق .
- ٢٩٥- الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، تعليق: محمد محيي الدين
عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح، مصر .
- ٢٩٦- فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لعلي محمد الصلابي، دار الصحابة،
الإمارات، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م .
- ٢٩٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، مصر .
- ٢٩٨- فصول من السيرة النبوية، لعبد المنعم السيد .
- ٢٩٩- فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار ابن الجوزي،
السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ٣٠٠- فقه الإمام علي بن أبي طالب، لأحمد محمد طه، رسالة مقدمة لجامعة بغداد قسم
الدراسات الإسلامية الدينية، لم تطبع .
- ٣٠١- فقه التمكن في القرآن الكريم، لعلي محمد الصلابي، دار الوفاء المنصورة، الطبعة
الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- ٣٠٢- فقه السيرة النبوية، لمحمد سعيد رمضان، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩١م، دار الفكر،
دمشق، سوريا .
- ٣٠٣- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، لكامل الشيبلي، مكتبة النهضة، بغداد، مطابع دار
التضامن ١٣٨٦هـ .
- ٣٠٤- فن الحكم الإسلامي، لمصطفى أبي زيد فهمي، المكتب المصري الحديث .
- ٣٠٥- فيض التقدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، دار الفكر للطباعة والنشر،
الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م .
- ٣٠٦- في ظلال الإيمان، لصلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، الطبعة
الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٣٠٧- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون
١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

(ق)

- ٣٠٨- قراءة سياسية للسيرة النبوية، لمحمد قلعي، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.
- ٣٠٩- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- ٣١٠- قصص لا تثبت، لسليمان بن صالح الخراشي، دار الصمعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٣١١- قواعد في التعامل مع العلماء، د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار الوراق، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٢هـ.
- ٣١٢- القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين، دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ.
- ٣١٣- القيادة العسكرية في عهد الرسول صلوات الله عليه وآله وسلم، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(ك)

- ٣١٤- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني، المعروف بابن الأثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م.
- ٣١٥- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، للحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني، دار الفكر للطباعة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
- ٣١٦- كتاب الفتوح، لأبي محمد أحمد بن أعثم، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند ١٣٨٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٣١٧- كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير، لأبي الحسن الماوردي.
- ٣١٨- الكشاف، للزمخشري، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- ٣١٩- الكفاية، لأحمد بن علي الخطيب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الكتاب العربي، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عمر هاشم.

٣٢٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تصنيف: نديم مرعشلي أسامة مرعشلي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

(ل)

- ٣٢١- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت .
- ٣٢٢- لسان الميران، لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢٠١٣هـ .
- ٣٢٣- لطائف المعارف، لابن رجب، دار ابن كثير .
- ٣٢٤- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق، للدكتور علي الوردي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٩م .
- ٣٢٥- لمع الأدلة في عقائد أهل السنة، للجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، بتحقيق فوقية حسين محمود، الناشر، الدار المصرية .
- ٣٢٦- ليس من الإسلام، لمحمد الغزالي، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

(م)

- ٣٢٧- المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت .
- ٣٢٨- المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح، للدمياطي .
- ٣٢٩- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان البستي، لمحمود إبراهيم زيد، دار المعرفة، بيروت .
- ٣٣٠- مجلة البحوث الإسلامية، العدد العاشر .
- ٣٣١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت .
- ٣٣٢- المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، مطبعة الإمام بمصر .
- ٣٣٣- مجموعة الفتاوى، لتقي الدين أحمد بن تيسية الحرّاني، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- ٣٣٤- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي، والخلافة الراشدة، لمحمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٣٥. المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية، للشيخ حسين آل عصفور البحراني، دار المشرق العربي، بيروت، البحرين.
٣٣٦. المحصول في علم الأصول، لفخر الدين محمد عمر بن الحسين الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣٣٧. المحلل بالآثار، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٣٣٨. مختصر التحفة الاثنا عشرية، للسيد محمود شكري الألوسي، مكتبة إيشيق - إستانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٣٩. مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر، دار طيبة، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٤٠. المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة، للزمخشري، تحقيق: سيد إبراهيم صادق دار الحديث، طبعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٣٤١. مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن المقدسي، مكتبة البيان، دمشق ١٣٩٨هـ.
٣٤٢. مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
٣٤٣. المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس، طبعة بالأوفسيت ١٣٢٣هـ، دار صادر بيروت.
٣٤٤. المدينة النبوية، فجر الإسلام والعصر الراشدي، لمحمد محمد حسن شرَّاب، دار القلم - بيروت، الدراسات الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٣٤٥. المراسيل، لابن أبي حاتم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.
٣٤٦. المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن بن علي بن أبي طالب، لأبي الحسن الندوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٤٧. مروج الذهب ومعادن الجواهر، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
٣٤٨. مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ليحيى إبراهيم يحيى، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٤٩- مرويات غزوة الحديبية، لحافظ الحكمي، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٥٠- المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، للطالب فهد عبدالعزيز إبراهيم الفاضل، لم تطبع.

٣٥١- مسائل الإمام أحمد، لأبي داود سليمان بن الأشعث، مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٣هـ.

٣٥٢- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، د/ ناصر بن عبد الله القفاري، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ، السعودية.

٣٥٣- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله النيسابوري بذيله التلخيص، للذهبي، طبعة دار الفكر ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٣٥٤- مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي المثنى التميمي، تحقيق: وتخريج حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، دار المأمون للتراث، دمشق.

٣٥٥- مسند الإمام زيد بن علي، جمع: عبد العزيز بن إسحاق البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٥٦- مسند أحمد، تحقيق أحمد شاكر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، ١٣٦٨هـ.

٣٥٧- مسند أحمد مع الفتوح الرباني، للساعاتي، أحمد عبد الرحمن الساعاتي، في ترتيب الإمام، مطبعة الفتوح الرباني بالقاهرة، الطبعة الأولى.

٣٥٨- مسند الدارمي، لأبي محمد عبد الله الدارمي، دار المغني، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥٩- مشكاة المصابيح، للبغوي.

٣٦٠- مشكاة المصابيح، للألباني.

٣٦١- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، لعبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الهداية، الرياض.

٣٦٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

- ٣٦٣- المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، طبع: الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بومباي، الهند.
- ٣٦٤- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبع: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٣٦٥- المعارف لابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الثالثة - دار المعارف، مصر.
- ٣٦٦- معالم السلوك وفزائية النفوس، لعبد العزيز محمد العبد اللطيف، دار الوطن السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- ٣٦٧- معاوية بن أبي سفيان، صحابى كبير وملك مجاهد، لمير الغضبان، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٦٨- معجم الأدياء، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- ٣٦٩- معجم الطبراني الأوسط، لسليمان بن أحمد الطبراني، دار العربية، بغداد ١٣٩٨هـ.
- ٣٧٠- معجم الطبراني الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٧١- معرفة الصحابة، لأبي نعيم، تحقيق: محمد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدار في المدينة النبوية، ومكتبة الحرمين في الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ٣٧٢- المعرفة والتاريخ، للفسوي، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩٤هـ.
- ٣٧٣- مع الشيعة الاثنا عشرية في الأصول والفروع، د/ علي السالوس دار التقوى، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٧٤- المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق: نور الدين عتر.
- ٣٧٥- المغني، للإمام العلامة ابن قدامة المقدسي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣٧٦- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، يوسف بدوي، دار ابن كثير، بيروت، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٧٧. مفتاح دار السعادة، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٣٧٨. مقاصد الشريعة الإسلامية، د/ محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٧٩. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية.

٣٨٠. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٨١. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٨٢. المقدمة، لابن خلدون.

٣٨٣. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.

٣٨٤. من أصول الفكر السياسي، محمد فتحي عثمان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٣٨٥. مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: لجنة إحياء التراث، طبع دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.

٣٨٦. مناقب الشافعي، للرازي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨٧. مناقب عمر، لابن الجوزي.

٣٨٨. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨٩. المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة ١٣١٣هـ، مطبعة السعادة.

٣٩٠. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للحافظ أبي عبد الله محمد عثمان الذهبي، مكتبة دار البيان، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب.

- ٣٩١- المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، لعبد الآخر حماد الغنيمي، دار الصحابة، بيروت، الطبعة الثالثة جمادى الثانية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٩٢- من معين السيرة، لصالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣٩٣- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد مؤسسة قرطبة.
- ٣٩٤- منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، للدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبي، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٣٩٥- منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله، د/ سليمان بن قاسم العيد، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٣٩٦- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، د/ عبده الحريري، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، لم تطبع.
- ٣٩٧- منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس، لعبد الحاج محمد الحريري رسالة مقدمة لجامعة بغداد.
- ٣٩٨- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لمحمد صامل العلياني السلمي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٩٩- منهج المسعودي في كتابة التاريخ، لسليمان بن عبد الله المديد السويكت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٥٦م.
- ٤٠٠- المهدي وفق أشراط الساعة، للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم، الدار العالمية، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٤٠١- المواعظ والاعتبار، لأحمد بن علي عبد القادر المقرئزي، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ٤٠٢- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار الباز مكة المكرمة.
- ٤٠٣- الموسوعة الحديثية السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- ٤٠٤- الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد بن حنبل، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .
- ٤٠٥- موسوعة فقه علي بن أبي طالب، لقلعجي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
- ٤٠٦- ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت .

(ن)

- ٤٠٧- الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية، لعبد العزيز بن إسحاق البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ .
- ٤٠٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة بدون تاريخ .
- ٤٠٩- نساء أهل البيت، لمنصور عبد الحكيم، المكتبة التوفيقية .
- ٤١٠- نسب قريش، لأبي عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري، دار المعارف، القاهرة .
- ٤١١- نصب الراية لأحاديث الهداية، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي، دار المأمون، القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .
- ٤١٢- نظام الحكم في الإسلام، لعارف أبي عبيد، دار النفائس، الأردن، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
- ٤١٣- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، لظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٤١٤- نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، لحمد محمد الحمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .
- ٤١٥- نظام الحكومة الإسلامية، للكتاني: المسمى التراتيب الإدارية محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسني، الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت .
- ٤١٦- نظام الخلافة في الفكر الإسلامي، د/مصطفى حلمي، دار الدعوة الإسكندرية .
- ٤١٧- النظام السياسي في الإسلام، للدكتور محمد أبي فارس، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .

- ٤١٨- النظم الإسلامية، لصبحي الصالح، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين، بيروت، مايو ١٩٨٠.
- ٤١٩- النظم المالية في الإسلام، لعيسى عبده، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٣٩٦هـ- ١٣٩٧هـ.
- ٤٢٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، مطبعة كوتسا توماسي، القاهرة.
- ٤٢١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.
- ٤٢٢- النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.
- ٤٢٣- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار البلاغة، الطبعة الثامنة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ٤٢٤- النهج المبين للأصول العشرين، لعبد الله القاسم الوشيلي، دار المجتمع، جدة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- ٤٢٥- النهي عن سب الأصحاب، للمقدسي، محمد عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبدالرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.
- ٤٢٦- نيل الأوطار، لمحمد بن علي الشوكاني، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

(هـ)

- ٤٢٧- الهبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، د/ فضل إلهي، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م مؤسسة المجريسي، الرياض.
- ٤٢٨- هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، لأحمد عبد الغني الجمل، دار الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- ٤٢٩- هدي الساري مقدمة فتح الباري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ومكتبتها.

(و)

- ٤٣٠- وسطية أهل السنة بين الفرق، د/ محمد باكريم، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٤٣١- الوسطية في القرآن الكريم، د/ علي محمد الصلابي، مكتبة التابعين، ٢٠٠٠م.
- ٤٣٢- الوصية الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المطبعة السلفية ومكبتها، نشر قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ .
- ٤٣٣- الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، لحامد عبد الماجد قويسني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٤٣٤- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- ٤٣٥- وقائع ندوة النظم الإسلامية، أبو ظبي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ٤٣٦- وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقري، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٢هـ.
- ٤٣٧- ولاة مصر، لأبي يوسف محمد بن يوسف الكندي، تحقيق: د/ حسين نصار، دار صادر، بيروت بدون تاريخ.
- ٤٣٨- ولاية الشرطة في الإسلام، د/ عمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٤٣٩- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، د/ عبد العزيز إبراهيم العمري، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

(ي)

- ٤٤٠- اليهود في السنة المطهرة، لعبد الله الشقاري، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.



الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الإهداء
٥	المقدمة

الفصل الأول

علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة

٢٨	المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته
٢٨	أولاً: اسمه وكنيته ولقبه
٢٩	ثانياً: مولده
٣٠	ثالثاً: الأسرة وأثرها في الأعتاب
٤٣	المبحث الثاني: إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة
٤٣	أولاً: إسلامه
٤٤	ثانياً: كيف أسلم علي؟
٤٤	ثالثاً: بين علي <small>رضي الله عنه</small> وأبي طالب
٤٥	رابعاً: هل كسر علي <small>رضي الله عنه</small> الأصنام مع رسول الله <small>صلوات الله عليه</small> في مكة؟
٤٦	خامساً: هل دفن علي <small>رضي الله عنه</small> أبا طالب بإرشاد رسول الله <small>صلوات الله عليه</small> ؟
٤٦	سادساً: الحس الأمني عند علي <small>رضي الله عنه</small> ودوره في إيصال أبي ذر لرسول الله <small>صلوات الله عليه</small>
	سابعاً: علي <small>رضي الله عنه</small> مع رسول الله <small>صلوات الله عليه</small> في طوافه على القبائل وعرضه للدعوة
٤٨	عليها وحضوره المفاوضات مع بني شيبان
٥٢	ثامناً: تقديمه نفسه فداء للنبي <small>صلوات الله عليه</small>
٥٥	تاسعاً: هجرته

المبحث الثالث: معايشة أمير المؤمنين علي للقرآن الكريم وأثرها عليه في

- حياته ٥٧
- أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر ٥٧
- ثانياً: مكانة القرآن الكريم عنده ٦١
- ثالثاً: ما نزل فيه من القرآن ٦٢
- رابعاً: تبليغه تفسير رسول الله ﷺ لبعض آيات القرآن الكريم ٦٤
- خامساً: الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه ٦٦
- ١- الالتزام بظاهر القرآن الكريم ٦٦
- ٢- حمل المجمل على المفسر ٦٧
- ٣- حمل المطلق على المقيد في القرآن الكريم ٦٨
- ٤- العلم بالناسخ والمنسوخ ٦٨
- ٥- النظر في لغة العرب ٦٩
- ٦- فهم النص بنص آخر ٦٩
- ٧- السؤال عن مشكله ٧٠
- ٨- العلم بمناسبة الآيات ٧١
- ٩- تخصيص العام ٧١
- ١٠- معرفة عادات العرب ومن حولهم ٧٣
- ١١- قوة الفهم وسعة الإدراك ٧٣
- سادساً: تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة ٧٤
- ١- الذاريات ٧٤
- ٢- قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ ٧٤
- ٣- بكاء الأرض على العبد الصالح ٧٤

- ٧٥ ٤- الخشوع في القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم.
- ٧٥ ٥- خليلان مؤمنان، وخليلان كافران.
- ٧٦ ٦- الزهد بين كلمتين من القرآن.
- ٧٦ ٧- أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتدبره في الصلاة.
- ٧٦ ٨- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ آمَنَ أُنَى اللَّهِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨، ٨٩)
- ٧٧ المبحث الرابع: ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ٧٨ أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة.
- ٧٨ ١- وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ولزوم سنته والمحافظة عليها.
- ٨٠ ٢- حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم.
- ٨٢ ٣- الترغيب في هدي النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٨٢ ٤- بيان فضله، وبعض حقوقه على أمته صلى الله عليه وسلم.
- ٨٥ ٥- المعرفة الدقيقة الشاملة للملامح الشخصية النبوية.
- ٨٨ ٦- نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة.
- ٩١ ثانياً: الرواة عن علي بن أبي طالب.
- المبحث الخامس: أهم أعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما بين الهجرة
- ٩٩ والأحزاب.
- ٩٩ أولاً: المؤاخاة في المدينة.
- ١٠١ ثانياً: حركة السرايا.
- ١٠٢ ١- غزوة العشيرة.
- ١٠٢ ٢- غزوة بدر الأولى.
- ١٠٣ ثالثاً: غزوة بدر.
- ١٠٥ رابعاً: زواج علي من فاطمة رضي الله عنها.
- ١٠٦ ١- مهرها وجهازها.

- ٢- زفافها ١٠٧
- ٣- وليمة العرس ١٠٧
- ٤- معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما ١٠٨
- ٥- زهد السيدة فاطمة وصبرها ١٠٩
- ٦- إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ١١٠
- ٧- محبة رسول الله صلى الله عليه وآله للسيدة فاطمة رضي الله عنها وغيرته عليها ١١١
- ٨- صدق لهجتها ١١٣
- ٩- سيادتها في الدنيا والآخرة ١١٣
- خامساً: أولادها: الحسن والحسين رضي الله عنهما ١١٤
- ١- الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١١٤
- ٢- الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١١٦
- ٣- ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهما ١١٨
- سادساً: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت ١٢٠
- سابعاً: ما يخص آل رسول الله صلى الله عليه وآله من الأحكام ١٢١
- ١- تحرم عليهم الزكاة ١٢١
- ٢- لا يرثون رسول الله صلى الله عليه وآله ١٢٢
- ٣- لهم خمس الخمس في الغنيمة والفبيء ١٢٢
- ٤- الصلاة عليهم مع النبي صلى الله عليه وآله ١٢٢
- ٥- لهم مودة خاصة ١٢٢
- ثامناً: علي رضي الله عنه في غزوة أحد ١٢٤
- تاسعاً: علي رضي الله عنه في غزوة بني النضير ١٢٦
- عاشرًا: علي رضي الله عنه في غزوة حمراء الأسد ١٢٦
- الحادي عشر: علي رضي الله عنه وموقفه من حادثة الإفك ١٢٨

- المبحث السادس: أهم أعمال علي رضي الله عنه ما بين الأحزاب إلى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ١٣٠
- أولاً: علي رضي الله عنه في غزوة (الأحزاب) ١٣٠
- ثانياً: علي رضي الله عنه في غزوة بني قريظة ١٣٢
- ثالثاً: علي رضي الله عنه في صلح الحديبية وبيعة الرضوان ١٣٣
- رابعاً: عمرة القضاء ٧هـ وعلي رضي الله عنه وحضانة ابنة حمزة رضي الله عنه ١٣٧
- خامساً: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر ٧هـ ١٣٩
- سادساً: علي رضي الله عنه في فتح مكة وغزوة حنين ٨هـ ١٤٣
- ١- إحباط محاولة تجسس لصالح قريش ١٤٤
- ٢- أجرنا من أجرت يا أم هانئ ١٤٥
- ٣- مقتل الحويرث بن نقيذ بن وهب ١٤٥
- ٤- علي رضي الله عنه في مهمة إصلاحية ١٤٥
- ٥- علي رضي الله عنه في غزوة حنين ١٤٦
- ٦- سرية علي رضي الله عنه لهدم صنم الفلس في بلاد طيئ ١٤٧
- سابعاً: استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه على المدينة في غزوة تبوك ١٤٧
- ثامناً: علي رضي الله عنه ودوره الإعلامي في حجة أبي بكر بالناس ٩هـ ١٤٨
- تاسعاً: علي رضي الله عنه ووفد نصارى نجران، وآية المباهلة ٩هـ ١٥٠
- عاشراً: علي رضي الله عنه داعياً وقاضياً في اليمن ١٠هـ ١٥٢
- ١- قضاؤه في الأربعة الذين تدافعوا عند زبية الأسد ١٥٣
- ٢- ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر ١٥٤
- الحادي عشر: علي رضي الله عنه في حجة الوداع ١٥٤
- الثاني عشر: تشرفه بغسل النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه ١٥٦
- الثالث عشر: قصة الكتاب الذي همّ النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه في مرض موته ١٥٦

الفصل الثاني

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين

- المبحث الأول: علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق رضي الله عنه ١٦٣
- أولاً: مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة ١٦٣
- ثانياً: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر رضي الله عنه في حروب الردة ١٦٦
- ثالثاً: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه ١٦٧
- رابعاً: اقتداء علي بالصديق رضي الله عنه في الصلوات وقبول الهدايا منه ١٧٠
- خامساً: الصديق والسيدة فاطمة رضي الله عنهما وميراث النبي صلوات الله عليه وآله ١٧٣
- سادساً: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر رضي الله عنه ١٨٦
- سابعاً: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق رضي الله عنه ١٨٨
- المبحث الثاني: علي رضي الله عنه في عهد الفاروق رضي الله عنه ١٩٠
- أولاً: في الأمور القضائية ١٩٠
- ثانياً: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية ١٩٣
- ثالثاً: استشارة عمر لعلي رضي الله عنه في أمور الجهاد وشؤون الدولة ١٩٦
- رابعاً: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنه ١٩٨
- خامساً: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٠١
- سادساً: قول عمر لفاطمة رضي الله عنها: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك ٢٠٢
- سابعاً: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنه بينهم ٢٠٣
- ثامناً: ترشيح عمر علي للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده ٢٠٥
- ١- ترشيح علي رضي الله عنه مع أهل الشورى ٢٠٥

- ٢٠٦ ٢- ما قاله علي رضي الله عنه في عمر رضي الله عنه بعد استشهاده.....
- ٢٠٧ ٣- قول علي في عمر رضي الله عنه: إن عمر كان رشيد الأمر.....
- ٢٠٧ ٤- قول علي في عمر رضي الله عنه: إن عمر كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك.....
- ٢٠٨ ٥- حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه.....
- ٢٠٩ ٦- عمر بن الخطاب جعله الله سبباً في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.....
- ٢٠٩ ٧- قول عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب في عمر رضي الله عنه.....
- ٢١٠ المبحث الثالث: علي رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.....
- ٢١٠ أولاً: بيعة علي لعثمان رضي الله عنه.....
- ٢١١ ثانياً: أباطيل رافضية دست في قضية الشورى.....
- ٢١٢ - اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين.....
- ٢١٣ - حزب أموي وحزب هاشمي.....
- ٢١٣ - أكاذيب نسبت بهتائاً وزوراً لعلي رضي الله عنه.....
- ٢١٤ ثالثاً: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنه.....
- ٢١٥ رابعاً: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شؤون دولة عثمان رضي الله عنه.....
- ٢١٥ ١- إقامة علي للحدود في عهد عثمان رضي الله عنه.....
- ٢١٥ ٢- استشارة عثمان لعلي رضي الله عنه وكبار الصحابة في فتح إفريقيا.....
- ٢١٦ ٣- رأي علي رضي الله عنه في جمع عثمان رضي الله عنه الناس علي قراءة واحدة.....
- ٢١٧ خامساً: موقف علي رضي الله عنه في فتنه مقتل عثمان رضي الله عنه.....
- ٢١٨ ١- موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة.....
- ٢٢١ ٢- موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار.....
- ٢٢٣ ٣- المصاهرات بين آل علي وآل عثمان رضي الله عنه.....
- ٢٢٤ سادساً: من أقوال علي رضي الله عنه في الخلفاء الراشدين.....
- ٢٢٥ ١- سيدا كهول أهل الجنة وشبابها.....

- ٢٢٦ ٢- ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه.
- ٢٢٧ ٣- هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان.
- ٢٢٨ ٤- أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي صلى الله عليه وسلم اختصاص عظيم.
- ٢٢٨ ٥- ما يترتب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة.
- ٢٢٩ ٦- قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.
- ٢٣١ سابعاً: وصف لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم.

الفصل الثالث

بيعة علي رضي الله عنه وأهم صفاته وحياته في المجتمع

- ٢٣٥ المبحث الأول: بيعة علي رضي الله عنه.
- ٢٣٥ أولاً: كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه.
- ٢٣٨ ثانياً: أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة.
- ٢٤٢ ثالثاً: بيعة طلحة والزبير لعلي رضي الله عنه.
- ٢٤٤ رابعاً: انعقاد الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه.
- ٢٥٢ خامساً: شروط أمير المؤمنين في بيعته وأول خطبة خطبها.
- ٢٥٣ ١- مبدأ الشورى.
- ٢٥٣ ٢- أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين.
- ٢٥٥ ٣- الحرص على ألا يظل منصب الخليفة شاغراً.
- ٢٥٥ ٤- الرد على بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عن بيعة علي رضي الله عنه.
- ٢٥٧ ٥- أول خطبة خطبها علي رضي الله عنه.
- ٢٥٨ ٦- الترادف بين ألفاظ: الإمام والخليفة وأمير المؤمنين.
- ٢٦٠ ٧- أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين علي هل نقول: رضي الله عنه، أم كرم الله وجهه، أم عليه السلام.

- ٢٦٢ المبحث الثاني: شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه
- ٢٦٣ أولاً: العلم والفقہ في الدين
- ٢٧٤ ثانياً: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه
- ٢٨١ ثالثاً: تواضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ٢٨٤ رابعاً: كرمه وجوده
- ٢٨٧ خامساً: الحياء من الله تعالى
- ٢٨٩ سادساً: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى
- ٢٩٣ سابعاً: شكره لله
- ٢٩٥ ثامناً: دعاؤه لله
- ٢٩٨ تاسعاً: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه
- ٢٩٨ ١- المصدر الأول، كتاب الله تعالى
- ٢٩٩ ٢- المصدر الثاني، السنة المطهرة
- ٢٩٩ ٣- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه
- ٣٠٠ عاشرًا: حق الأمة في الرقابة على الحكام
- ٣٠١ الحادي عشر: الشورى
- ٣٠٢ الثاني عشر: العدل والمساواة
- ٣٠٦ الثالث عشر: الحريات
- المبحث الثالث: حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٣٠٩ أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربهته للشرك
- ٣٠٩ ١- قوله رضي الله عنه: لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه
- ٣١٢ ٢- تعريف أمير المؤمنين علي الناس بأسماء الله وصفاته
- ٣١٤ ٣- تعريف أمير المؤمنين علي الناس بنعم الله المستوجبة لشكره

- ٣١٤ ٤- حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية.....
- ٣١٧ أ- الزيارة الشرعية للقبور.....
- ٣١٨ ب- تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة.....
- ٣١٩ ج- ارتباط المزارات بالتخلف والجهل.....
- ٣٢٠ د- الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة.....
- ٣٢١ هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين؟.....
- ٣٢٥ و- حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على بطلان الاعتقاد بالكواكب.....
- ٣٢٥ ز- إحراق أمير المؤمنين علي عليه السلام لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية.....
- ٣٢٨ ح- كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي وتعريفه للتقوى.....
- ٣٣٠ ط- القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.....
- ٣٣١ ي- كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟.....
- ٣٣١ ثانيًا: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها.....
- ٣٣٥ ثالثًا: أمير المؤمنين علي والشعر.....
- ٣٣٧ ١- في الفرج والشدة.....
- ٣٣٨ ٢- في الصبر.....
- ٣٣٩ ٣- في حرص الناس على الدنيا.....
- ٣٣٩ ٤- في الصداقة.....
- ٣٤٠ ٥- في التواضع والقناعة.....
- ٣٤٠ ٦- في السر وكتمانه.....
- ٣٤١ رابعًا: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس.....
- خامسًا: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صفات خير العباد، وعن تطوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووصف الصحابة الكرام.....
- ٣٤٥ ١- صفات خيار العباد.....
- ٣٤٥

- ٣٤٦ ٢- إجابته لمن سأل عن تطوع النبي عليه السلام
- ٣٤٧ ٣- وصف أمير المؤمنين عليّ للصحابه الكرام
- ٣٤٧ ٤- تنييه أمير المؤمنين عليّ أصحابه على فضائل الأعمال
- ٣٤٨ ٥- معايدة المريض
- ٣٤٨ ٦- تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة
- ٣٤٨ ٧- إني لست كما تقول
- ٣٤٨ ٨- التحذير من الاتقياد للشهوات
- ٣٤٩ ٩- إدخال السرور على المسلم
- ٣٤٩ ١٠- أشد الأعمال ثلاثة
- ٣٤٩ سادساً: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين
- ٣٤٩ ١- جزاء المعصية
- ٣٤٩ ٢- طول الأمل واتباع الهوى
- ٣٥٠ ٣- الرياء
- ٣٥٢ ٤- العجب
- سابعاً: اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة
- ٣٥٦ مع الناس
- ٣٥٨ ١- إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق
- ٣٥٨ ٢- لا تردوا قليل الريح فتحرموا كثيره
- ٣٥٩ ٣- خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها
- ٣٦٠ ٤- من سبق إلى موضع فهو أحق به
- ٣٦٠ ٥- المحتكر عاص ملعون
- ٣٦١ ٦- الخسارة على المال والريح على ما اصطلحوا عليه
- ٣٦١ ٧- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر

- ٣٦١ ٨- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة.
- ٣٦١ ٩- حبسه أهل الشر والفساد.
- ٣٦٢ ١٠- الترهيب من عدم الإنفاق.
- ٣٦٢ ١١- مناداته للصلاة.
- ٣٦٢ ١٢- الاهتمام بالطرق العامة.
- ٣٦٢ ١٣- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها.
- ٣٦٣ قائماً: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

الفصل الرابع

المؤسسة المالية والقضائية

في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

- ٣٦٥ المبحث الأول: المؤسسة المالية.
- ٣٦٩ المبحث الثاني: المؤسسة القضائية.
- أولاً: الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد.
- ٣٧٠ ثانياً: ميزات القضاء في العهد الراشدي.
- ٣٧٣ ثالثاً: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- ٣٧٨ رابعاً: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين علي.
- ٣٧٨ ١- إبقاؤه على أسلوب القضاء.
- ٣٧٨ ٢- عدم نقضه للأحكام الصادرة قبله.
- ٣٧٩ ٣- الأهلية للقضاء.
- ٣٧٩ ٤- مكان القضاء.
- ٣٨٠ ٥- مجانية الحصول على الحكم.

- ٣٨٠ - بذور المحاماة.....
- ٣٨٠ - خامساً: ما يجب على القاضي عند أمير المؤمنين علي.....
- ٣٨٠ - دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية.....
- ٣٨٠ - المساواة بين الخصوم.....
- ٣٨١ - عدم الصياح بالمتخاصمين.....
- ٣٨١ - الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس.....
- ٣٨١ - الشورى.....
- ٣٨٢ - المبحث الثالث: من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.....
- ٣٨٢ - أولاً: في العبادات.....
- ٣٨٢ - أحكام في الطهارة.....
- ٣٨٣ - أحكام في الصلاة.....
- ٣٨٦ - تغسيل الرجل زوجته.....
- ٣٨٧ - الكفن من مال الميت.....
- ٣٨٨ - أحكام متعلقة بالزكاة.....
- ٣٩٠ - أحكام متعلقة بالصيام.....
- ٣٩٢ - من أحكام الحج.....
- ٣٩٥ - طعام المشركين والمجوس غير الذبائح.....
- ٣٩٦ - اللعب بالنرد والشطرنج.....
- ٣٩٧ - نكاح المتعة.....
- ٣٩٧ - العيوب الجسدية في المرأة.....
- ٣٩٧ - من تزوج أختين جهلاً بأنهما أختان.....
- ٣٩٨ - تحريم وطء الزوجة في دبرها.....
- ٣٩٨ - عدة الحامل المتوفى عنها زوجها.....

- ٣٩٩ بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية.
- ٤٠١ **ثانياً: في الحدود**
- ٤٠١ ١- عقوبة المرتد.
- ٤٠٤ ٢- حد الزنى
- ٤٠٤ أ - قصة الرجم.
- ٤٠٥ ب - تأجيل رجم الحامل.
- ٤٠٥ ج - المستكرهه على الزنى.
- ٤٠٥ د - زنى المضطرة.
- ٤٠٦ هـ - درء الحدود بالشبهات.
- ٤٠٦ و - زنى النصرانية.
- ٤٠٧ ز - الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علي رضي الله عنه.
- ٤٠٨ ٣- حد الخمر
- ٤٠٨ أ - شرب الخمر في رمضان.
- ٤٠٨ ب - حكم الموت بإقامة حد الخمر.
- ٤٠٨ ٤- حد السرقة.
- ٤٠٨ أ - اشتراط الحرز.
- ٤٠٩ ب - سرقة ما فيه شبهة ملك.
- ٤٠٩ ج - سرقة الحر.
- ٤٠٩ د - سرقة العبد مولاه.
- ٤٠٩ هـ - إثبات السرقة.
- ٤١٠ و - كشف السارق قبل أن يسرق.
- ٤١٠ ز - تكرار السرقة.
- ٤١٠ ح - قطع اليد وتعليقها.

- ٤١١ ثالثاً: في القصاص والجنايات.
- ٤١١ أ - الاشتراك في القتل العمد.
- ٤١١ ب - من أمر عبده بالقتل.
- ٤١٢ ج - المقتول في الزحام.
- ٤١٢ د - جنابة السائق والقائد الراكب.
- ٤١٣ هـ - ما أنشئت بتعد فأحدثت تلقاً.
- ٤١٣ و - الخطأ في الشهادة.
- ٤١٣ ز - اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأً.
- ٤١٤ ح - من استخدم صغيراً أو عبداً بغير إذن.
- ٤١٤ ط - الفعل المعنوي.
- ٤١٤ ي - جنابة الطيب.
- ٤١٤ ك - الميت من القصاص والحد.
- ٤١٥ ل - قاطع الطريق ألقى القبض عليه.
- ٤١٥ م - قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بريء.
- ٤١٦ ن - امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقتها.
- ٤١٦ س - بدل الإبل في دفع الدية، وكيف تدفع الدية؟
- ٤١٧ ع - دية الكتابي.
- ٤١٧ ف - دية الصلب.
- ٤١٧ ص - عين الأعور.
- ٤١٧ ق - دية الأصابع.
- ٤١٨ رابعاً: في التعزير.
- ٤١٨ ١ - الضرب باليد.
- ٤١٨ ٢ - الجلد دون الحد.

- ٤١٨ ٣- التشهير
- ٤١٩ ٤- الحبس
- ٤١٩ ٥- التقييد
- ٤١٩ ٦- الغمس في الأقدار
- ٤١٩ ٧- القتل
- ٤٢٠ ٨- إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها
- ٤٢١ المبحث الرابع: حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين

الفصل الخامس

مؤسسة الولاية في عهد أمير المؤمنين

- ٤٢٩ المبحث الأول: أقاليم الدولة
- ٤٢٩ أولاً: مكة المكرمة
- ٤٣٠ ثانياً: المدينة المنورة
- ٤٣١ ثالثاً: ولاية البحرين وعمان
- ٤٣١ رابعاً: ولاية اليمن
- ٤٣٢ خامساً: ولاية الشام
- ٤٣٦ سادساً: ولاية الجزيرة
- ٤٣٧ سابعاً: ولاية مصر
- ٤٥٠ ثامناً: ولاية البصرة
- ٤٥٨ تاسعاً: ولاية الكوفة
- ٤٥٩ عاشرًا: ولايات الشرق
- ٤٥٩ - فارس
- ٤٦١ - خراسان

- ٤٦٢ أذربيجان -
- ٤٦٥ المبحث الثاني: تعيين الولاية في عهد علي رضي الله عنه.
- ٤٦٥ أولاً: موقف علي رضي الله عنه من ولاية عثمان رضي الله عنه وتعيينه لأقاربه.
- ٤٦٥ ١- موقف علي رضي الله عنه من ولاية عثمان رضي الله عنه.
- ٤٧٢ ٢- تعيين أمير المؤمنين علي بعض أقاربه على الولايات.
- ٤٧٥ ثانياً: مراقبة أمير المؤمنين علي لعماله وبعض توجيهاته.
- ٤٧٧ ثالثاً: الصلاحيات الممنوحة للولاية في عهد علي رضي الله عنه.
- ٤٧٧ ١- تعيين الوزراء.
- ٤٧٨ ٢- تشكيل مجالس الشورى.
- ٤٨٠ ٣- إنشاء الجيش وتجهيزه.
- ٤٨٠ ٤- ترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلام.
- ٤٨٢ ٥- الحفاظ على الأمن الداخلي.
- ٤٨٢ ٦- تشكيل الجهاز القضائي في الولاية.
- ٤٨٣ ٧- النفقات المالية.
- ٤٨٤ ٨- العمال التابعين للولاية ومتابعتهم.
- ٤٨٦ ٩- أصناف طبقات المجتمع.
- ٤٨٨ ١٠- التربية بالعقاب والثواب.
- ٤٨٩ ١١- دور العرفاء والتقباء في تثبيت نظام الولايات.
- ٤٩٠ رابعاً: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.
- ٤٩٠ ١- التأكيد على العنصر الإنساني.
- ٤٩١ ٢- عامل الخبرة والعلم.
- ٤٩١ ٣- العلاقة بين الرئيس والمرؤوس.
- ٤٩٣ ٤- مكافحة الجمود.

- ٤٩٣ ٥- الرقابة الواعية.
- ٤٩٤ ٦- التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية.
- ٤٩٤ ٧- الضبط.
- ٤٩٤ ٨- المشاركة في صنع القرار.
- ٤٩٥ ٩- حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة.
- ٤٩٦ ١٠- مرفقات ذوي الخبرات.
- ٤٩٧ ١١- الإدارة الأبوية.

الفصل السادس

معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم

- ٥٠٣ المبحث الأول: الأحداث التي سبقت معركة الجمل.
- ٥٠٤ أولاً: أثر السبئية في إحداث الفتنة.
- ٥٠٤ ١- السبئية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله بن سبأ.
- ٥٠٨ ٢- دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة.
- ٥١٢ ثانياً: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه.
- ثالثاً: موقف المطالين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضي الله عنهم ومن كان على رأيهم.
- ٥١٣ ١- السيدة عائشة أم المؤمنين.
- ٥١٧ ٢- طلحة والزبير رضي الله عنهما.
- ٥٢٠ ٣- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.
- ٥٢٣ رابعاً: موقف معتزلي الفتنة.
- ٥٢٥ ١- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.
- ٥٢٥ ٢- محمد بن مسلمة رضي الله عنه.

- ٣- أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ٥٢٥
- ٤- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ٥٢٦
- ٥- سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ٥٢٨
- ٦- عمران بن حصين رضي الله عنه ٥٢٨
- ٧- سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه ٥٢٨
- ٨- أسامة بن زيد رضي الله عنه ٥٢٩
- ٩- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ٥٣٠
- ١٠- صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه ٥٣٠
- ١١- أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ٥٣١
- ١٢- أبو هريرة رضي الله عنه ٥٣١
- ١٣- عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه ٥٣١
- خامساً: موقف المترئين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمر المؤمنين**
- علي رضي الله عنه، ومن معه ٥٣٣
- موقف أمير المؤمنين علي من قتلة عثمان رضي الله عنه ٥٣٤
- محاولة استغناؤه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه ٥٣٦
- سادساً: خروج الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهن ومن معهم إلى البصرة**
- للإصلاح ٥٤٠
- ١- هل أكرهت السيدة عائشة رضي الله عنها على الخروج؟ ٥٤٥
- ٢- هل كانت متسلطة على من معها؟ ٥٤٦
- ٣- موقف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من الخروج للطلب بدم عثمان رضي الله عنه ٥٤٦
- ٤- مرور السيدة عائشة رضي الله عنها على ماء الحوآب ٥٤٨
- ٥- أعمالهم في البصرة ٥٥١
- ٦- مقتل حكيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء ٥٥٢

- ٧- رسائل السيدة عائشة رضي الله عنها إلى الأمصار الأخرى..... ٥٥٤
- ٨- الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة رضي الله عنهم..... ٥٥٤
- سابعاً: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة..... ٥٥٥
- ١- نصيحة عبد الله بن سلام لأمير المؤمنين علي..... ٥٥٧
- ٢- نصيحة الحسن بن علي رضي الله عنهما لوالده..... ٥٥٨
- ٣- استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار..... ٥٥٩
- ٤- اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية..... ٥٦٠
- ٥- تساؤلات على الطريق..... ٥٦١
- ثامناً: محاولات الصلح..... ٥٦٣
- ١- عمران بن حصين رضي الله عنه..... ٥٦٣
- ٢- كعب بن سور رضي الله عنه..... ٥٦٣
- ٣- القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه..... ٥٦٤
- ثاسعاً: نشوب القتال..... ٥٦٦
- ١- دور السبئية في نشوب الحرب..... ٥٦٦
- ٢- الجولة الأولى في معركة الجمل..... ٥٧١
- ٣- الجولة الثانية..... ٥٧٤
- ٤- عدد القتلى..... ٥٧٧
- ٥- هل قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه؟..... ٥٧٩
- ٦- نداء أمير المؤمنين علي بعد الحرب..... ٥٨٠
- ٧- تفقده للقتلى وترحمه عليهم..... ٥٨١
- ٨- مبايعة أهل البصرة..... ٥٨١
- ٩- حديث أبي بكر عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»..... ٥٨٢

- ٥٨٣ ١٠- تاريخ معركة الجمل.
- ٥٨٤ ١١- أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟!
- ٥٨٤ ١٢- اعتذار أبي بكره الثقفي عن إمارة البصرة
- ٥٨٥ ١٣- موقف أمير المؤمنين علي من ينال من عائشة رضي الله عنها
- ٥٨٥ ١٤- دفاع عمّار بن ياسر عن أم المؤمنين رضي الله عنها
- ٥٨٥ عاشرًا: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب
- ٦٠٠ الحادي عشر: سيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه واستشهاده
- ٦١٨ الثاني عشر: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده

*** الجزء الثاني ***

- ٦٢٥ المبحث الثاني: معركة صفين
- ٦٢٥ أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة
- ١- أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه وأهل الشام
- ٦٢٥ ٢- دوافع معاوية رضي الله عنه في عدم البيعة
- ٦٢٦ ٣- معاوية رضي الله عنه يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه
- ٦٢٧ ٤- تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك
- ٦٢٨ ٥- بعد معركة الجمل، أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى معاوية رضي الله عنه
- ٦٣٠ ٦- مسيرة أمير المؤمنين إلى الشام
- ٦٣١ ٧- خروج معاوية رضي الله عنه إلى صفين
- ٦٣٢ ٨- القتال على الماء
- ٦٣٣ ٩- المواقعة بينهما ومحاولات الصلح

- ٦٣٥ ثانياً: نشوب القتال
- ٦٣٥ ١- اليوم الأول.
- ٦٣٦ ٢- اليوم الثاني
- ٦٣٩ ٣- ليلة الهرير يوم الجمعة.
- ٦٤٠ ٤- الدعوة إلى التحكيم.
- ٦٤٤ ٥- مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين.
- ٦٤٦ ٦- فهم العلماء للحديث: «تقتلك الفئة الباغية».
- ٦٤٨ ٧- الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به.
- ٦٤٩ ٨- من هو قاتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه؟
- ٦٥١ ٩- المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة.
- ٦٥٢ ١٠- معاملة الأسرى.
- ٦٥٣ ١١- عدد القتلى.
- ٦٥٤ ١٢- تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم.
- ٦٥٥ ١٣- موقف معاوية رضي الله عنه مع ملك الروم.
- ٦٥٥ ١٤- قصة باطلة في حق عمرو بن العاص رضي الله عنه بصفين.
- ٦٥٧ ١٥- مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين.
- ٦٥٧ ١٦- إصرار قتلة عثمان رضي الله عنه على أن تستمر المعركة.
- ٦٥٨ ١٧- نهى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن شتم معاوية رضي الله عنه ولعن أهل الشام.
- ٦٦٠ المبحث الثالث: التحكيم.
- ٦٦١ أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
- ٦٧٠ ثانياً: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه.
- ٦٧٩ ثالثاً: نص وثيقة التحكيم.
- ٦٨٢ رابعاً: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه.

٦٩١	الإسلامية ؟
٦٩٣	سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب
٦٩٩	سابعاً: التحذير من بعض الكتب التي شوهدت تاريخ الصحابة
٦٩٩	١- الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة
٧٠٢	٢- نهج البلاغة
٧٠٤	٣- كتاب الأغاني للأصفهاني
٧٠٥	٤- تاريخ يعقوبي
٧٠٦	٥- مروج الذهب
٧٠٧	ثامناً: الاستشراق والتاريخ الإسلامي

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة

٧١٣	المبحث الأول: الخوارج
٧١٣	أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم
٧١٦	ثانياً: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج
٧٢١	ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس <small>رضي الله عنهما</small> لهم
	رابعاً: خروج أمير المؤمنين لمناظرة بقية الخوارج وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم من جديد
٧٢٥	خامساً: معركة النهروان
٧٣٠	سادساً: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي <small>رضي الله عنه</small>
٧٣٨	سابعاً: من أهم صفات الخوارج
٧٤٣	١- الغلو في الدين

- ٢- الجهل في الدين..... ٧٤٥
- ٣- شق عصا الطاعة..... ٧٤٦
- ٤- التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم..... ٧٤٦
- ٥- تجويزهم على النبي ﷺ ما لا يجوز في حقه كالجور..... ٧٤٧
- ٦- الطعن والتضليل..... ٧٤٨
- ٧- سوء الظن..... ٧٤٨
- ٨- الشدة على المسلمين..... ٧٤٩
- ثامناً: بعض الآراء الاعتقادية للخوارج..... ٧٥٠
- ١- تكفير صاحب الكبيرة..... ٧٥٠
- ٢- رأيهم في الإمامة..... ٧٥٣
- ثاسعاً: طعنهم في بعض الصحابة، وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما..... ٧٦٠
- عاشراً: من سمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث..... ٧٦٤
- ١- الجهل بالعلوم الشرعية..... ٧٦٥
- ٢- القراءة من الكتب بدون معلم..... ٧٦٦
- ٣- تخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم..... ٧٧٢
- ٤- شيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية..... ٧٧٤
- ٥- التأويلات الخاطئة لبعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين..... ٧٧٤
- ٦- انتشار الفساد بين الناس..... ٧٧٥
- ٧- عدم تركية النفوس..... ٧٧٥
- * أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث..... ٧٧٦
- ١- التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين..... ٧٧٦
- ٢- التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث..... ٧٧٦
- ٣- الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين..... ٧٧٧

- ٧٧٨ ٤- الطعن في العلماء العاملين.
- ٧٨٠ ٥- سوء الظن.
- ٧٨٢ ٦- الشدة والعنف مع الآخرين.
- ٧٨٥ ٧- التكفير.
- ٧٩٣ المبحث الثاني: أمير المؤمنين علي وفكر الشيعة.
- ٧٩٣ أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح، والرفض في اللغة والاصطلاح.
- ٨٠٠ ثانياً: نشأة الشيعة الرافضة وبيان دور اليهود في نشأتهم.
- ٨٠٦ ثالثاً: المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة.
- ٨١١ المبحث الثالث: من أهم عقائد الشيعة الرافضة (الإمامة).
- ٨١٢ أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جحدها.
- ٨٢٣ ثانياً: العصمة عند الشيعة الرافضة.
- ٨٤٥ ثالثاً: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية).
- ٨٥٣ * ما يحتج به الاثنا عشرية من أمر تحديد الأئمة بما جاء في كتب السنة.
- ٨٥٥ * أدلتهم من القرآن على النص.
- ٨٥٥ ١- آية الولاية.
- ٨٦١ ٢- آية المباهلة.
- ٨٦٥ ٣- قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً...﴾.
- ٨٦٧ * أدلتهم من السنة.
- ٨٦٧ ١- خطبة غدیر خم.
- ٨٧٥ ٢- حديث الاستخلاف على المدينة في تبوك.
- ٨٨٠ * بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة.
- ٨٨٠ ١- حديث الطائر.
- ٨٨٢ ٢- حديث الدار.

- ٨٨٤ ٣- حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها.
- ٨٨٦ رابعاً: التوحيد والشيعة (الاثنا عشرية).
- ٨٨٨ ١- نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة.
- ٨٩٠ ٢- الولاية أصل قبول الأعمال عندهم.
- ٨٩١ ٣- اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه.
- ٨٩٢ ١- قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة.
- ٨٩٢ ٢- قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة.
- ٨٩٤ ٣- قولهم إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله.
- ٨٩٦ ٤- قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء.
- ٨٩٧ ٥- قولهم: بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء.
- ٨٩٨ ٦- إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة.
- ٨٩٩ ٧- الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة.
- ٩٠٠ ٨- قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء.
- ٩٠٧ ٩- الغلو في الإثبات (التجسيم).
- ٩٠٩ ١٠- التعطيل عندهم.
- ٩١١ أ - مسألة خلق القرآن.
- ٩١٤ ب - مسألة الرؤية.
- ٩١٦ ١١ - تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل.
- ٩١٨ خامساً: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم.
- ٩١٨ ١- اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم.
- ٩٢٩ ٢- اعتقادهم أن القرآن ليس بحجة إلا بقيم.
- ٩٣٦ ٣- اعتقادهم بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر.
- ٩٤٠ سادساً: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام.

- ١- نماذج للمزاجية في تفسير الآيات عند الشيعة الرافضة: المتعلقة بردة الصحابة
- ٩٤٥ - علي حد زعمهم - والرد على باطلهم.....
- ٩٤٥ أ - آية سورة آل عمران.....
- ٩٤٧ ب - آية سورة المائدة.....
- ٩٤٨ ج - آية سورة التوبة.....
- ٩٥١ د - حديث المذاذاة عن الحوض.....
- ٩٥٦ ٢- عدالة الصحابة.....
- ٩٦٣ ٣- وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم.....
- ٩٦٥ ٤- تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب والسنة.....
- ٩٦٨ ٥- حب أمير المؤمنين علي وأبنائه الصحابة.....
- ٩٦٩ سابعاً: موقف الشيعة من السنة النبوية.....
- ٩٧٨ ثامناً: التقية عند الشيعة.....
- ٩٨٥ تاسعاً: المهدي المنتظر بين الشيعة والسنة.....
- ٩٨٥ ١- عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة.....
- ٩٨٨ ٢- عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي.....
- ٩٩٢ عاشراً: عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة.....
- ٩٩٥ الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى.....
- ٩٩٨ الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة.....
- ١٠٠٢ الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة.....
- ١٠٠٣ ١- مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد ٦٥٦هـ.....
- ١٠٠٥ ٢- الدولة الصفوية.....
- ١٠٠٧ ٣- من التجارب المعاصرة في التقريب.....
- ١٠٠٧ أ - تجربة مصطفى السباعي.....

- ب - تجربة الشيخ موسى جار الله ١٠٠٨
- ٤ - المنهج السليم للتقريب ١٠١٢
- المبحث الرابع: الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
واستشهاده رضي الله عنه ١٠١٨
- أولاً: في أعقاب النهروان ١٠١٨
- ثانياً: استنهاض أمير المؤمنين علي همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية رضي الله عنه ١٠٢١
- ثالثاً: دعاء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الله عز وجل أن يعجل له بالشهادة ١٠٢٤
- رابعاً: علم أمير المؤمنين رضي الله عنه بأنه سيستشهد ١٠٢٥
- خامساً: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر ١٠٢٧
- ١- اجتماع المتأمرين ١٠٢٨
- ٢- خروج ابن ملجم ولقاؤه بقظام ابنة الشحنة ١٠٢٨
- ٣- محمد ابن الحنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي ١٠٣٠
- ٤- وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشورى ١٠٣١
- ٥- وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين رضي الله عنهما ١٠٣١
- ٦- نهي أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله ١٠٣٣
- ٧- مدة خلافة أمير المؤمنين علي، وموضع قبره وسنه يوم قتل ١٠٣٦
- ٨- خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه ١٠٣٧
- ٩- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على علي رضي الله عنه ١٠٣٨
- ١٠- عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٠٣٨
- ١١- استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنه ١٠٣٨
- ١٢- ما قاله الحسن البصري - رحمه الله ١٠٤٠
- ١٣- ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه ١٠٤٠
- ١٤- براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه ١٠٤٠

- ١٥- خطورة الفرق الضالة والمنحرفة على المسلمين ١٠٤١
- ١٦- الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين ١٠٤٢
- ١٧- تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها ١٠٤٢
- سادساً: ما قيل في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من رثاء ١٠٤٤
- ١- ما قاله أبو الأسود الدؤلي، وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية أولها: ١٠٤٤
- ٢- ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر له ١٠٤٤
- ٣- ما قاله بكر بن حماد التاهرتي رداً على شاعر الخوارج عمران بن حطان ١٠٤٥
- الخاتمة ١٠٤٨
- فهرس للأحاديث الضعيفة والموضوعة في أمير المؤمنين علي ١٠٥١
- أهم المصادر والمراجع ١٠٥٧
- فهرس الكتاب ١٠٨٩

جميع التجهيزات الفنية لهذا الكتاب تمت

بدار التابعين للنشر والتوزيع

٤٩٣٨١٤٤